توفيق الفتّاح العليم

في

تيسير خُطب رحموني سليم

الجزء الثّاني

السّيرة النّبويّة

(الغزوات والسّرايا)

جمعه

الشّيخ الفقيه الحاج سليم بن الطّاهر رحموني

إمام أستاذ خطيب ومُدَرِّس بمسجد التّجانيّة بمدينة بسكرة

-الجزائر-

السيرة النّبويّة

الـغـزوات والـسّـرايـا

01- مجالس السيرة لتنوير البصيرة بمعرفة أخبار غزوة العُشَيْرَة

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرّف الأمور بأمره، ومديم النِّعم بشكره، ومستدرِج الكافرين بمكره، الذي قدَّر الأيام دُوَلاً بعدْله، وجعل العاقبة للمتّقين بفضله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كلّه، القاهر فوق عباده فلا يمانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكم بما يريد فلا يدافَع. فسبحانه من إله وعد المؤمنين المخلِصين بالعزّة والكرامة، وأَوْعد الفاسقين المتخاذلين بالحسرة والندامة، قال في سورة آل عمران: ((إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ)). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في أسمائه وصفاته وأفعاله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. والشكر له على ما أولانا من واسع كرمه وفضله. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده المنتخب من بريَّته، ورسوله الداعي لخلقه إلى طاعته، أرسله بالحق المبين، وابتعثه بالشرع المتين، فجلّى غوامض الشبهات، وأنار حنادس الظلمات، وأباد حزب الكفر وأنصاره، وشيَّد أعلام الدين ومناره .

يا سامعِي أخبارِه ومفاخِرِهْ * ومطالِعِي آثارِه ومآثِرِهْ

ومؤمِّلِي وافِي الثوابِ ووافِرِهْ * إنْ شئتُمُ فوزاً بذاك عظيمًا

صلّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

اللهم صلِّ وسلِّ وبارِك على سيِّدِنا محمد. لَبِنَة التمام. وسيّد الرسل الكرام. وعلى آله نجوم الهداية ومصابيح الظلام. وصحابته القائمين بسنّته أتمّ قيام. صلاة تطهّرنا بها من جميع الذنوب والآثام. وترفعنا بها إلى أعلى درجة وأسنى مقام. وتجعلها لنا ذخيرة نجد بركتها يوم العَرض والزحام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)). إنّها

لنعمة عظمى. ومنّة كبرى. أن بعث الله رسوله رحمةً للعالمين. وهدىً للمستبصِرين. ونورًا يبدِّد ظُلم الفتن والجاهليات. فأحيا به قلوبًا ميتة. وأسمع به آذانًا صمَّا. وأنار به أعينًا عميًا. وجعل رسالته خاتمة خالدة. شاملةً لكل أصناف البشر. فبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار. فأعظِم وأنعِم. وأجلّ وأكرِم بذلك الرسول الكريم. سيّدنا ومولانا محمد الأمين. صلى الله عليه وسلم. الذي بلّغ الرسالة. وأدّى الأمانة. ونصح غاية النصح. وجاهد حق الجهاد. فأبان الخير كلَّه ودعا إليه. وأبان الشر كلَّه وحذَّر منه. وسعى الجهد الجهيد. وبَذَل الوُسْع والطاقة في هداية أمّته. والأخذ بأيديهم إلى سُبُل الفوز والنجاة. وصَرَفهم عن كل ما تسوؤهم عاقبته. وكان كما وصفه ربّه بقوله في سورة التوبة: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّ قلوبَ المؤمنين. وأفئدةَ المتّقين. وأرواحَ المحبّين. تحيا عند نَشْرِ أحداث السِّيرة النبوية. وتُنِير بسماع الغزوات المحمّدية. وتتشوَّق إلى بثّ المعجزات المصطفوية. وتتشوّف إلى نَعْت أوصاف نبيّنا صلى الله عليه وسلم الجليلة المُنيفة. وتتشرّف إلى وَصْف أخلاقه العظيمة الشريفة. وإنّ دراسةَ السيرةِ النبوية. ومطالعتَها. والتّدبّرَ في أحداثِها ووقائِعِها. لَمَطْلَبٌ هامٌّ لكلّ مسلِمٍ ومسلمة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو القُدْوَة والأُسْوة. وهو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين. ولقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالإقتداء به صلى الله عليه وسلم. والإهتداء بهديه. والتخلّق بأخلاقه. فقال سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). ولقد كان السلف الصالح من هذه الأمّة الإسلامية يُدْرِكون ما لسيرة خير الأنبياء. عليه الصلاة والسلام. وسِيَرِ الصحابة النبلاء. من آثارٍ حسنة في تربية النشء. وتنشئة جيلٍ صالح لِحَمْل رسالة الإسلام. فمِنْ ثَمَّ كانوا يتدارسون السيرة. ويلقِّنونها للغِلْمان. أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر عن سيّدنا علي زين العابدين السجّاد بن الإمام الحسين السبط رضي الله عنهما قال: كنّا نُعَلِّمُ مغازيَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. كما نُعَلِّمُ السورة من القرآن. وفي شرح المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني قال: رُوِيَ عن إسماعيل بن محمد بن سَعْد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم قال: كان أبي يعلّمنا المغازِيَ والسرايا. ويقول: يا بُنَي هذه شَرَفُ آبائكم فلا تضيّعوا ذِكْرها. وها هو الإمام الزُّهَري عالم الحجاز والشام. وهو من قدماء مَنْ عُنوا بِجَمْع السيرة. بل قيل: أنّ سيرته أوّل سيرة أُلِّفَت في الإسلام. كان يقول: في عِلْم السيرة عِلْم الدنيا

والآخرة. وإنّها لكلمة صِدْقٍ وحقّ. ولا شكّ أنّ في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم من الفوائد والعِبَر. وترقيق القلوب ورَبْطِها بالله تعالى ما لا يوجد إلاّ في القرآن الكريم. لأجل ذلك كانت هذه الوقفة مع غزوة من الغزوات الأولى التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل غزوة بدر الكبرى. أيّها المسلمون. ففي مثل هذا الشهر أعني في شهر جمادى الثانية من السنة الثانية للهجرة كانت غزوة العُشَيْرَة. وهي موضع بين مكة والمدينة من ناحية يَنْبُع على ساحل البحر الأحمر، تبعد عن المدينة المنوّرة تقريبا مائة وعشرون كيلومتر. لقد كانت غزوة العشيرة من أوائل الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الهدف منها ضرب اقتصاد قريش، فبعدما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة. واستقرّ به الْمُقام. وأرسى دعائم دولة الإسلام. شرع صلى الله عليه وسلم في متابعة تبليغ دعوته، فقد أصبح الجوّ مهيّأ أكثر من ذي قبل لنشر الدعوة. ومواجهة الواقفين في سبيلها، وكان من أساليب المواجهة التي نهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يسمّى اليوم بالمواجهة الاإقتصادية، إذ عمد إلى ضرْب اقتصاد المشركين. عن طريق التعرّض لقوافلهم التجارية. المتردّدة بين مكة والشام، حتى يستردّ المسلمون أموالهم التي سلبتها قريش، وذلك بعد أنْ أنزل الله تعالى الإذن لهم بالقتال ولم يفرضه عليهم في بداية الأمر، قال تعالى في سورة الحج: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)). ووِفْق هذه الخُطّة كانت هناك عدد من الغزوات قبل موقعة بدر الكبرى، ومن بينها غزوة العُشَيْرة. وبها بدأ الإمام البخاري كتاب المغازي في صحيحه، ويدلّ له ما جاء عن زيد بن أرقم وقد قيل له: ما أوّل غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ذات العُشَيْرة. والمراد بالسؤال ما أوّل غزوة غزاها وأنت معه. فقال: العُشَيْرة. أيّها المسلمون. في جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة؛ ويقال في مائتين من المهاجرين خاصّة. ولم يُكره أحداً على الخروج، أيْ كان الخروج في هذه الغزوة اختياريّا. فمَن شاء خرج، ومَن شاء قعد، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، حاملاً لواءه عمّه سيّدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقد استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه. وكان الغرض من الغزوة اعتراض عِيرٍ لقريش ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة، يقال إنّ قريشا جمعت جميع أموالها في تلك العير. لم يبق بمكة لا قرشي ولا

قرشية له مثقال فصاعدًا إلا بعث به في تلك العير. إلا حويطب بن عبد العزّى، يقال إنّ في تلك العير خمسين ألف دينار. أيْ وألف بعير. وكان فيها أبو سفيان، أيْ قائدها. وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا للحراسة. منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص، وهي العير التي خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجعت من الشام. وكانت سببا لوقعة بدر الكبرى. فلمّا بلغ الجيش ذا العُشَيْرة من ناحية ينبع وجدوا العير قد فاتتهم بأيام، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، أيّها المسلمون. وكان من نتائج هذه الغزوة عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني الضمرة. وكنّى فيها سيّدنا عليّ رضي الله عنه بأبي تراب. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَنْ عَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: كُنْت أَنَا وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ. فَلَمّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَقَامَ بِهَا؛ رَأَيْنَا أُنَاسًا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ فِي عَيْنٍ لَهُمْ وَفِي نَخْلٍ؛ فَقَالَ لِي عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ هَلْ لَك فِي أَنْ تَأْتِيَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَنَنْظُرُ كَيْفَ يَعْمَلُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إنْ شِئْتَ. قَالَ: فَجِئْنَاهُمْ فَنَظَرْنَا إلَى عَمَلِهِمْ سَاعَةً ثُمّ غَشِيَنَا النّوْمُ. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيّ حَتّى اضْطَجَعْنَا فِي صُورٍ مِنْ النّخْلِ وَفِي دَقْعَاءَ مِنْ التّرَابِ فَنِمْنَا، فَوَاَللّهِ مَا أَهَبّنَا إلّا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُحَرّكُنَا بِرِجْلِهِ. وَقَدْ تَتَرّبْنَا مِنْ تِلْكَ الدّقْعَاءِ الّتِي نِمْنَا فِيهَا، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ؟ لِمَا يَرَى عَلَيْهِ مِنْ التّرَابِ. ثُمّ قَالَ: أَلَا أُحَدّثُكُمَا بِأَشْقَى النّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: أُحَيْمِرُ ثَمُودٍ الّذِي عَقَرَ النّاقَةَ. وَاَلّذِي يَضْرِبُك يَا عَلِيّ عَلَى هَذِهِ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ. حَتّى يَبُلّ مِنْهَا هَذِهِ. وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ. وكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فهو من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام. فقد قُتِل رضي الله عنه شهيدا بالكوفة من أرض العراق. وكان ذلك يوم الجمعة في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. قَتَله عبد الرحمن بن مُلْجَم المرادي لعنه الله. من طائفة الخوارج، وهو أشقى هذه الأمّة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تولّى غَسْلَه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية يصبّ الماء، رضي الله عنهم أجمعين، وصلّى عليه إبنه سيّدنا الحسن رضي الله عنه. ودُفن ليلا كرّم الله وجهه ورضي عنه؛ أيّها المسلمون. فغزوة العُشَيْرة وإن لم تحقّق هدفها المادي وهو الإستيلاء على القافلة التي خرج النبي صلى الله عليه وسلم من أجلها، إلا أنّها وهذا الأهمّ قد أدّت هدفها المعنوي من إبلاغ رسالة إلى قريش. مفادها أنّنا

لن نكون لكم هدفاً سهلا بعد اليوم، وأنّنا سوف نواجهكم ما دمتم تقفون عائقا في وجه الدعوة، وسوف نلاحقكم كما تلاحقون المؤمنين وتضطهدونهم، وإلا فكفّوا أيديكم فهو أسلم لكم .تلك كانت الرسالة، وهي بلا شك قد وصلت لقريش وفهمتها جيّدا، ومن هنا ندرك حِكمة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته العسكرية، ومدى خبرته في إدارة الصراعات، كيف لا وهو النبي الموحى إليه من عند الله سبحانه وتعالى، نسأل المولى عزّ وجلّ أن يعيننا على السير على خطاه صلى الله عليه وسلم، اللهم أحينا على محبّته. وثبّتنا على سنّته. وأمتنا على ملّته. واحشرنا في زمرته. وأكرمنا بشفاعته. صلى الله عليه وسلم، اللهم وأوردنا حوضه، واسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً، وأنِلنا شرف صحبته في عليّين، مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء الصالحين، وحَسُن أولئك رفيقا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

02- إرشاد العَوَام إلى اغتنام شهر رجب الحرام وذِكْرِ سريّة سيّدنا عبد الله ابن جحش إلى نخلة والتي كانت سببا في نزول قول ذي الجلال والإكرام ((يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ)).

الحمد لله الذي عظّم الأشهر الحُرُم. وجعل منها شهره الحرام رجب. وفخّم قدره في الأعصُر الخالية. وأوجب فخره في الإسلام فوجب. سمّاه رجبا. ولقّبه بالأصمّ. إذ لا يُسمَع فيه قعقعة سلاح بين العرب. ورواه بالبِرّ. وصبّ فيه الرحمة. فلقّبه بالأصبّ. وأكثر فيه النعمة. وأزال الغُمّة. وأجاب فيه من طلب. وتفضّل فيه بمواسم الخيرات والطاعات والقُرَب. فسبحانه من إله منّ علينا بالأشهر الفاضلة. وأسبغ علينا فيها نعمه الكاملة. وفتح فيها أبواب التوبة والمغفرة والرحمات. وكسى فيها عباده التائبين من فضله أثواب القَبول والكرامات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. جعل الشهور في كتابه إثنيْ عشر شهرا في العِدّة. منها أربعة حُرُم. أوّلها شهر الله الحرام ذو القِعدة. وثلاثة بعده. ذو الحجة ومحرّم ورجب الذي انفرد عنها وحده. ذلك الدين القيّم. فمن لم يَظلِم فيهنّ نفسه فقد بلغ رُشده. ومن

أطاع ربَّه فيه فقد أنجح قصده. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. الأسوة الحسنة للمقرّبين. والقدوة الطيّبة للصالحين. وصاحب لواء الشفاعة الأعظم للخلائق أجمعين. حتى النبيئين والمرسلين، اختاره الله تعالى مثالاً لأهل طاعته، ونموذجاً قويماً لأهل مودّته، وأمرنا أن نتأسّى به في هديه وسَيْره وسيرته. وقال لنا فيه كما في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)).

مَا مِثْلُ رُتْبَتِهِ الرّفيعةِ رُتْبَةٌ * في الفخْر والعَلْياءِ والإجْلالِ

كَلاَّ ولا أحَدٌ يُبارِي فضْلَه * مِنْ سائرِ الأملاكِ والأرسالِ

صلّوا عليه وأكْثِروا بصلاتِكم * أبدًا لدى الإبْكار والآصالِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. سيّد ولد عدنان. وعلى آله السادة الأعيان. وصحابته الأجلّة الشجعان. صلاة تنوّر بها قلوبنا بنور الصدق والإيمان. وتهب لنا بها درجة أهل الخصوصية والعرفان. وتعطينا بها في جنّة النعيم ما لا عين رأت ولا أُذْن سمعت ولا خطر على قلب إنسان. من الغُرَف والقصور والجوار الحسان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الله تعالى جلّ اسمه. وأحاط بكل شيء علمه. فضّل ما شاء من الشهور. وأجزل فيها للمطيعين طرائف الأجور. وأمطر عليهم فيها سحائب الرضوان. وفجّر فيها ينابيع الرحمات وشآبيب الغفران. وقد أظلّنا شهر مبارك عظيم، وموسم رابح جسيم. عَظُم عند الله ثوابه. وفُتِّحت فيه للرحمات أبوابه. إنّه شهر رجب المبارك، الذي لا يزال خيره يُتَدارك. إذ هو فَرْد الأشهر الحُرُم، التي العمل الصالح فيها يزكو عند الله ويعْظُم. وكما يضاعَف فيه ثواب الحسنات. كذلك يضاعَف فيه جزاء السيّآت. فإنّ الله تعالى يقول في سورة التوبة: ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)). قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أعظم الظلم ظُلْم الإنسان نفسه في هذه الأشهر. وروى ابن جرير بإسناده عن ابن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اختصّ الله تعالى أربعة أشهر جعلهنّ حُرُماً، وعظّم حرماتهنّ، وجعل الذنب فيها أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم. وقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ

الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ فِي كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. وروى البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطب في حجّة الوداع وقال في خطبته: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). وسمّي رجب مضر. لأنّ مضر كانت لا تغيّره. بل توقعه في وقته. بخلاف باقي العرب. الذين كانوا يتلاعبون في الشهور. وهو النسيء المذكور في قوله تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِه الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّه)). أيّها المسلمون. أخرج الطبراني في الكبير من حديث محمد بن سلمة رضي الله عنه مرفوعا: ((إنّ لله في أيّام الدهر نفحاتٍ فتعرّضوا لها. فلعلّ أحدَكم أن تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبدا)). وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن الصحابي الجليل سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((مَنْ بلغه عن الله عزّ وجلّ شيئٌ فيه فضيلة. فأخذ به إيمانا به ورجاء ثوابه. أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك)). قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي: حديث جيّد الإسناد. وشهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة. قال أبو بكر الورّاق البلخي رحمه الله: شهر رجب شهر الزرع. وشعبان شهر السقي للزرع. وشهر رمضان شهر حصاد الزرع. ويُرْوَى أنّ الله تعالى يقول في كل ليلة من رجب: ((رجبٌ شهري. والعبد عبدي. والرحمة رحمتي. والفضل بيدي. وأنا غافر لمَن استغفرني في هذا الشهر. ومعطٍ لمَن سألني)). ورُوي عن وهب بن منبّه رضي الله عنه قال: قرأت في بعض الكُتُب السابقة. أنّ مَن استغفر الله تعالى في رجب بالغداة والعشيّ سبعين مرّة. حرّم الله جسده على النار. قال بعض أهل الإشارة: رجب ثلاثة أحرف. (راء وجيم وباء). فالراء من رحمة الله. والجيم جُرْم العبد وجنايته. والباء برّ الله. كأنّه يقول: يا عبدي جعلتُ جُرْمك وجنايتك بين بِرّي ورحمتي فلا يبقى لك جُرْم ولا جناية بحرمة شهر رجب. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وجدير بمَن سوّد صحيفته بالذنوب أن يبيّضها بالتوبة في هذا الشهر. وبمَن ضيّع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر. وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ في الجنّة نهرا يسمّى رجبا باسم شهركم هذا. ماؤه أحلى من العسل. وأشدّ بياضا من اللبن. فمَنْ صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر)).

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي قلابة رضى الله عنه قال: في الجنّة قصرٌ لصوّام رجب. وقال البيهقي: هذا أصحّ ما ورد في صوم رجب. وأبو قلابة من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمّن فوقه ممّن سمع عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((أيّام رجب مكتوبة على باب السماء فإذا صام الرجل منه يوما واتّقى اللهَ فيه نطق الباب ونطق اليوم يقولان يا رب اغفر له)). وفي الجامع الصغير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((رَجَب شَهْرُ اللهِ وشعبانُ شهرِي ورَمَضانُ شهرُ أُمَّتِي)). أي لأنّ الله خصّ شهر رجب بالمغفرة. وشعبان بالشفاعة. ورمضان بتضعيف الحسنات. وقيل رجب شهر التوبة. وشعبان شهر المحبّة. ورمضان شهر القربة. وروى الديلمي عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أكثِروا من الإستغفار في شهر رجب فإنَّ للهِ في كل ساعةٍ منه عُتَقَاء من النار)). وهو الشهر الذي إذا هلَّ هلالُه قال نبيّنا صلى الله عليه وسلم في دُعائه كما رواه الإمام أحمد والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((اللهم بارِك لنا في رجب وشعبان وبلِّغنا رمضان)). زاد أبو نعيم في الحلية:((وأعنّا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحِفْظ اللسان. ولا تجعل حظّنا منه الجوع والسهر)). أيّها المسلمون. وسُمِّي رجب برجب. لأنّه كان يُرجَّب. أي يُعظَّم. ومن تعظيم العرب إيّاه. أنّ سدنة الكعبة يفتحونها من أوّل الشهر إلى آخره. لا يغلقونها. ويقولون: الشهر شهر الله. والبيت بيت الله. والعبد عبد الله. فلا يُمْنَع عبد الله من بيت الله في شهر الله. ويقال له كذلك: رجبٌ الأصبّ. لأنّ الرحمات تُصَبّ فيه من الملأ الأعلى على أهل الأرض. ويقال له أيضا: رجبٌ الأصمّ. لأنّ من حرمته عند العرب أنّه كان لا يُسمَعُ فيه صلصلة حديد ولا قعقعة سلاح. فكانوا يتركون فيه القتال. ولمّا جاء الإسلام ونزل القرآن. أكّد حرمة الأشهر الحرم في بداية العهد المدني، حيث أنزل الله عزّ وجلّ قوله تعالى في سورة البقرة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)). أيْ أنّ القتال في الشهر الحرام كبيرة من أعظم الكبائر، وذنب عظيم من أعظم الذنوب. وكان نزول تلك الآية بعد حادثة سرية سيّدنا عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة وهي بين مكة والطائف في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة النبوية. لجمع معلومات عن قريش عند مدخل من مداخل مكة، وتفصيل هذه الحادثة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش في رجب من السنة الثانية للهجرة

مع ثمانية رهط من المهاجرين. ليس فيهم من الأنصار أحد. وهم: أبو حذيفة بن عتبة. وعكاشة بن محصن. وعتبة بن غزوان. وسعد بن أبي وقاص. وعامر بن ربيعة. وواقد بن عبد الله. وخالد بن البكير. وسهيل بن بيضاء. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ. فَقَالَ: ((وَافِ مَعَ الصّبْحِ، مَعَك سِلَاحُك، أَبْعَثُك وَجْهاً)). قَالَ: فَوَافَيْتُ الصّبْحَ وَعَلَيَّ سَيْفِي، وَقَوْسِي، وَجَعْبَتِي، وَمَعِي دَرَقَتِي، فَصَلّى النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالنّاسِ الصّبْحَ، ثُمّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْته. وَاقِفاً عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفَراً مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَمّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَتَبَ كِتَاباً. ثُمّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلانِيّ، فَقَالَ: ((قَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلاءِ النّفَرِ، فَامْضِ حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ)). بعدما سَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: ((إذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَامْضِ حَتّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكّةَ وَالطّائِفِ، فَتَرَصّدْ بِهَا قُرَيْشاً، وَتَعَلّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ)). فَلَمّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ: سَمْعاً وَطَاعَةً. ثُمّ قَالَ عبد الله بن جحش لأصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَمْضِيَ إلَى نَخْلَةَ، أَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشاً، حَتّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ لا أَسْتَكْرِهَ أَحَداً مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمّا أَنَا فَمَاضٍ لأمْرِ رَسُولِ اللهِ. فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ لم يتخلّف عنه منهم أحد. أيّها المسلمون. لمّا سلكت السرية حتى إذا كانت في بُحْرَانُ نَاحِيَةُ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ أَضَلّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيراً لَهُمَا، كَانَا يَعْتَقِبَانِهِ. فَتَخَلّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيّةُ أَصْحَابِهِ حَتّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ، فَمَرّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وَأَدَماً، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ. وفِيهَا خَمْرٌ وَأَدَمٌ وَزَبِيبٌ جَاءُوا بِهِ مِنْ الطّائِفِ. فَلَمّا رَآهُمْ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ، وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُمْ. فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمّا رَأَوْهُ أَمِنُوا، وَقَالُوا: عُمّارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. فأمِنوا وقيّدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاماً. فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم. ثم اتّفقوا على ملاقاتهم. وقد دخلت الأشهر الحرم التي تعظّمها العرب. وقد عظّمها الإسلام وأقرّ حرمتها. فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التّمِيمِيّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وشدّ المسلمون عليهم فأسروا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ؛ أسره

المقداد بن عمرو، وَأَفْلَتَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالأسِيرَيْنَ حَتّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ. فَلَمّا قَدِمَ أفراد السرية عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ مستنكِراً ما فعلوه: ((مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ!)). فَوَقّفَ الْعِيرَ وَالأَسِيرَيْنِ. وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً. إلى أن يأتي وحيٌ من السماء يرشده إلى القرار الأحكم في هذه القضية. فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُقِطَ فِي أَيْدِي أصحاب السرية، وَظَنّوا أَنّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وندم الصحابة على ما سلكوه في هذه السرية. لقد كان موقفًا متأزّمًا حقًّا. واستغلّت قريش ما حدث في هذه السرية من قتْلٍ في الشهر الحرام استغلالاً بارعاً، بيد أنّه لا يتّفق والخُلُق الكريم، فعمدت قريش إلى تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين أمام الرأي العام في الجزيرة العربية. فقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ اسْتَحَلّ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشّهْرَ الْحَرَامَ! وَسَفَكُوا فِيهِ الدّمَ! وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ! وَأَسَرُوا فِيهِ الرّجَالَ!. فردّ المسلمون المستضعَفون في مكة دفاعاً عن المعسكر الإسلامي، وقالوا: إنّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ. وتحالف يهود المدينة إعلاميّاً مع هذه الحملة الإعلاميّة المغرِضة ضدّ المسلمين، وقالوا بكلام قريش، وتَوَقّعَ الْيَهُودُ بِالْمُسْلِمِينَ الشّرّ، وأبرزوا التفاؤل بالأسماء التي ورد ذِكْرها في سرية نخلة، وأنّ هذه الأسماء تشير إلى اقتراب حرب فاصلة بين قريش والمسلمين. فقالوا: عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَمْرٌو، عَمُرَتْ الْحَرْبُ وَالْحَضْرَمِيّ، حَضَرَتْ الْحَرْبُ وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَقَدَتْ الْحَرْبُ، فَجَعَلَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لا لَهُمْ. ونزلت الآيات الكريمة تردّ الحملة لما أكثر الناس في ذلك. نزل الوحي من عند رب العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم بما فاجأ الجميع. أيّها المسلمون. لقد نزل القرآن الكريم يوضّح للناس كافّة مؤمنهم ومشركهم الحقائق كما ينبغي أن تكون، ونزل ليبيّن للناس ما اختلفوا فيه، ونزل ليخرج المسلمين من المثالية غير الواقعية إلى فقه الواقع وفقه الموازنات وفقه الأولويّات، ونزل ليفضح مكر الماكرين وكيد الكافرين، ونزل لينصر ويؤازر الطائفة المؤمنة الصادقة التي أرادت أن ترفع عن كاهلها وكاهل المسلمين بعض ما وقع عليهم من ظلم. قال تعالى في سورة البقرة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)). لقد قال الله عزّ وجلّ أنّه لا معنى أبدًا لتلك الضّجّة المفتَعَلة، والتمثيلية الهزلية التي قام بها كفّار قريش، فعلى الرغم من أنّ القتال في الشهر الحرام كان ممنوعًا في ذلك الوقت. وبرغم أنّ القتال في الشهر الحرام أمر كبير لا ينبغي أن يسعى إليه المسلمون. إلا أنّ ما فعلته قريش أكبر وأعظم من ذلك، والكفر بالله تعالى وعبادة الأصنام من دون الله أكبر من القتال في الشهر الحرام، ومنْع المسلمين من الطواف بالكعبة وأداء المناسك أكبر من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المسلمين عن دينهم بالتعذيب والتشريد والقتل أكبر من القتال في الشهر الحرام، وكل ذلك فعلته قريش، ولم تفعله مرّة واحدة بصورة عابرة، إنّما فعلته مرارًا وتكرارًا حتى أصبح عُرفًا سائدًا. وقانونًا معمولاً به، وكل هذه جرائم أكبر بكثير كما وضّح ربُّنا بنفسه في الكتاب مما فعله المسلمون وهاجت له قريش. إنّها تمثيليّة هزلية حقيقية مثل ما فعل فرعون لمّا نادى بقتل موسى عليه السلام؛ لأنّه كما يدّعي فرعون يُظهِر في الأرض الفساد. قال تعالى في سورة غافر حايا عن ذلك: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ)). إنّها دعوى هزلية حقًّا، تمامًا كتلك الدعوى التي أطلقتها قريش بأنّ المسلمين ينتهكون الحرمات. لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل. وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرّد ستار يحتمون خَلْفه، لتشويه موقف المسلمين، وإظهارهم بمظهر المعتدي وهم المعتَدون ابتداء. وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء. لذلك فإن الله عزّ وجلّ لم يكتفِ برفْع الإثم عن الصحابة الذين شاركوا في سرية نخلة، بل أعطاهم ثواب المجاهدين في سبيل الله، فأنزل تعالى آيات في سورة البقرة توضّح هذا المعنى. قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). وبيَّن الله تعالى في هذه الآيات أنّ نيّتهم كانت لله تعالى حيث قال: ((أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ)). وبيَّن أيضًا أنّه قد غفر قتالهم في الشهر الحرام حيث عقَّب الآية بقوله سبحانه: ((وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). وهكذا أيّد الله موقف الصحابة المجاهدين، ووضّح الرؤية لعموم المسلمين؛ فهدأت النفوس، واطمأنّت القلوب. أيّها المسلمون. لمّا بعثت قريش في فداء الأسيرَيْن عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا نُفْدِيكُمُوهما حَتّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا. يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ. فَإِنّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ)). فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأمّا

الحَكَم بن كَيْسان فأسلم وحَسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً، وأمّا عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً. فاتّقوا الله عباد الله. وعليكم في هذا الشهر الكريم بالإكثار من الصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين. وفعل المعروف بالمحتاجين. والعطف عليهم. فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تصدّق في رجب باعده الله من النار. كمقدار غراب طار فرخا حتى مات هرما)). وعليكم بالإكثار من ذكر الله تعالى وتسبيحه بكرة وأصيلا. والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والإستغفار والتوبة. يقول صلى الله عليه وسلم: ((أكثروا من الإستغفار في شهر رجب. فإنّ لله تعالى في كل ساعة منه عتقاء من النار)). فتعرّضوا رحمكم الله في هذا الشهر لنفحات رحمة الله. واعمروه بالعمل الصالح. والتأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم. جعلني الله وإياكم ممّن وُفّق لأعمال البرّ والتقوى. وُرِزق سعادة الدارَيْن بحرمة رسوله الأتقى. سيّدنا محمّد المصطفى. صلى الله عليه وسلم حتى يرضى. وبحرمة آل بيته الشرفاء. وأصحابه الحنفاء. خصوصا الأربعة الخلفاء. ساداتنا وموالينا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. أهل الصدق والوفاء. اللهم يا من وفّقت أهل الخير إلى الخير وأعنتهم عليه. وفّقنا يا مولانا إلى الخير وأعنّا عليه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

03- كَشْفُ اللثام عمّا في شهر رجبٍ من فضائل عظام وذِكْرِ سببِ نزولِ قوْلِ ذي الجلال والإكرام: ((يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ))

الحمد لله الذي منّ علينا بالأشهر الفاضلة. وأسبغ علينا فيها نعمه الكاملة. وفتح فيها أبواب التوبة والمغفرة والرحمات. وكسى فيها عباده التائبين المخلصين الآيبين من فضله أثواب القَبول والكرامات. منها شهرنا هذا الزائد في إفاضة الرحمات وترادف النعم. سمّاه برجب الأصبّ الأصمّ. وروّاه بالبرّ الأعمّ. وجعله بين الشهور كالعَلَم. فسبحانه من إله جعل الشهور في كتابه إثنيْ عشر شهرا في العِدّة. منها أربعة حُرُم. أوّلها شهر الله الحرام ذو القِعدة. وثلاثة بعده. ذو الحجة ومحرّم ورجب الذي انفرد عنها وحده. ذلك الدين القيّم. فمن لم يَظلِم فيهنّ نفسه فقد بلغ

رُشده. ومن أطاع ربَّه فيه فقد أنجح قصده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قسّم الشهور حلالا وحراما. ونوّع الزمان ضياء وظلاما. وجعل النهار معاشا والليل مناما. وخلق الدنيا فناء والآخرة دواما. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. اصطفاه ربّه من بريّته. وخصّه بعنايته. ووالاه بولايته. وكشف له عن بديع جمال حضرته. وجعله وحده يوم القيامة هو المخصوص بشفاعته. نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا ببركته. وينظمنا في عِقْد معيّته. ويدرجنا في درجة ولايته. ويكتبنا في منشور سعادته. ويخصّنا بشفقته ورحمته. آمين .

مَا مِثْلُ رُتْبَتِهِ الرّفيعةِ رُتْبَةٌ * في الفخْر والعَلْياءِ والإجْلالِ

كَلاَّ ولا أحَدٌ يُبارِي فضْلَهُ * مِنْ سائرِ الأملاكِ والأرسالِ

صلّوا عليه وأكْثِروا بصلاتِكمْ * أبدًا لدى الإبْكار والآصالِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. حامل لواء العزّ والنصر. وعلى آله سادة أهل البدْو والحضر. وصحابته الممدوحين في الآيات والسُّوَر. صلاةً تنوّر بها منّا القلب والسمع والبصر. وتعصم بها منّا الألْسُنَ والخواطر والفكْر. وتدخل بها علينا نوافح بركاته المحمّديّة بالآصال والبُكَر. وتجعلها لنا تميمة واقية تحمينا بها من الإستدراج والمكر. وتحفظنا ببركتها من صولة الحوادث الوقتية ونكبات الدهر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. يقول الحقّ تبارك وتعالى في سورة القصص: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)). فالله جلّ ذِكْره. وتقدّست أسماؤه. فضّل الأوقات بعضها على بعض لحِكَم كثيرة. منها أنّ سائر الأُمم كان لهم عمرٌ طويل. وعمل كثير. فأراد الله تعالى أن تكون أمّة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابقة عليهم. فأعطاها الأوقات الفاضلة لتسبق سائر الأُمم. وقد اختار الله تعالى من بين الشهور الأَشْهُر الْحُرُم. فَحَرَّمَهَا وَعَظَّمَهَا، وَشَرَّفَهَا وَكَرَّمَهَا، وَضَاعَفَ فِيهَا الأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَضَعَّفَ فِيهَا الْجُرْمَ وَالْعِقَابَ. وقد أظلّنا شهر مبارك عظيم، وموسم رابح جسيم. عَظُم عند الله ثوابه. وفُتِّحت فيه للرحمات أبوابه. إنّه شهر رجب المبارك، الذي لا يزال خيره يُتَدارك. أَهَلَّهُ الله عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإيمَانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإسْلاَمِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ ربّنا وَيَرْضَى، إذ هو فَرْد الأشهر الحُرُم، التي العمل الصالح فيها يزكو عند الله ويعْظُم. وكما يضاعَف

فيه ثواب الحسنات. كذلك يضاعَف فيه جزاء السيّآت. فإنّ الله تعالى يقول في سورة التوبة: ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)). قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أعظم الظلم ظُلْم الإنسان نفسه في هذه الأشهر. وروى ابن جرير بإسناده عن ابن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اختصّ الله تعالى أربعة أشهر جعلهنّ حُرُماً، وعظّم حرماتهنّ، وجعل الذنب فيها أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم. وقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ فِي كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. وروى البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطب في حجّة الوداع وقال في خطبته: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). وسمّي رجب مضر. لأنّ مضر كانت لا تغيّره. بل توقعه في وقته. بخلاف باقي العرب. الذين كانوا يتلاعبون في الشهور. وهو النسيء المذكور في قوله تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِه الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله)). ورجب هو الشهر الذي إذا هلَّ هلالُه قال نبيّنا صلى الله عليه وسلم في دُعائه كما رواه الإمام أحمد والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه:((اللهم بارِك لنا في رجب وشعبان وبلِّغنا رمضان)). زاد أبو نعيم في الحلية: ((وأعنّا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحِفْظ اللسان. ولا تجعل حظّنا منه الجوع والسهر)). أيّها المسلمون. فِي شَهْرِ رجب نَتَذَكَّرُ أعظم نعمة. أنعَمَ اللهُ بِهَا على هذه الأمّة. هِيَ الحَمْلُ بالنور المكنون. والسر المصون. والجوهر المخزون. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. روى الخطيب البغدادي عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله تعالى خَلْق سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في بطن أمّه آمنة ليلة رجب. وكانت ليلة جمعة. أمر الله تعالى تلك الليلة رضوان خازن الجنان. بفتح الفردوس وينادي مناد في السموات والأرض: ألا إنّ النّور المخزون المكنون الذي يكوّن منه النبيّ الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه. الذي فيه يتمّ خَلْقُه. ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. وشَهْر رجب موسم من المواسم الفاضلة. التي جعل الله فيها لطيفة من لطائف نفحاته. يصيب بها مَنْ يشاء

بفضله ورحماته. فالسعيد كما قال الصالحون: مَنِ اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات. فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات. فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات. وقد خرّج الطبراني في الكبير من حديث محمد بن سلمة رضي الله عنه مرفوعا: ((إنّ لله في أيّام الدهر نفحاتٍ فتعرّضوا لها. فلعلّ أحدَكم أن تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبدا)). وأوّل هذه الأشهر شهر رجب. الذي نحن فيه الآن. كما روى ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: ((وأوّلهنّ رجب)). أيّها المسلمون. ومن فضل الله الواسع على عباده. وكرمه الواصل إلى قصّاده. أنّه مَنْ بلغه عن الله شيء من الثواب. فعمل به على طريق الإيمان والإحتساب. أعطاه الله ذلك الثواب الجزيل. وإن لم يكن البلاغ كما قيل. فقد أخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن الصحابي الجليل سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((مَنْ بلغه عن الله عزّ وجلّ شيئٌ فيه فضيلة. فأخذ به إيمانا به ورجاء ثوابه. أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك)). قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي: حديث جيّد الإسناد. وشهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة. قال أبو بكر الورّاق البلخي رحمه الله: شهر رجب شهر الزرع. وشعبان شهر السقي للزرع. وشهر رمضان شهر حصاد الزرع. ويُرْوَى أنّ الله تعالى يقول في كل ليلة من رجب: ((رجبٌ شهري. والعبد عبدي. والرحمة رحمتي. والفضل بيدي. وأنا غافر لمَن استغفرني في هذا الشهر. ومعطٍ لمَن سألني)). ورُوي عن وهب بن منبّه رضي الله عنه قال: قرأت في بعض الكُتُب السابقة. أنّ مَن استغفر الله تعالى في رجب بالغداة والعشيّ سبعين مرّة. حرّم الله جسده على النار. قال بعض أهل الإشارة: رجب ثلاثة أحرف. (راء وجيم وباء). فالراء من رحمة الله. والجيم جُرْم العبد وجنايته. والباء برّ الله. كأنّه يقول: يا عبدي جعلتُ جُرْمك وجنايتك بين بِرّي ورحمتي فلا يبقى لك جُرْم ولا جناية بحرمة شهر رجب. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وجدير بمَن سوّد صحيفته بالذنوب أن يبيّضها بالتوبة في هذا الشهر. وبمَن ضيّع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر. وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ في الجنّة نهرا يسمّى رجبا باسم شهركم هذا. ماؤه أحلى من العسل. وأشدّ بياضا من اللبن. فمَنْ صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر)). وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي قلابة رضى الله عنه قال: في الجنّة قصرٌ لصوّام رجب. وقال البيهقي: هذا أصحّ ما ورد في صوم

رجب. وأبو قلابة من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمّن فوقه ممّن سمع عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. ورُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((أيّام رجب مكتوبة على باب السماء فإذا صام الرجل منه يوما واتّقى اللهَ فيه نطق الباب ونطق اليوم يقولان يا رب اغفر له)). وفي الجامع الصغير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((رَجَب شَهْرُ اللهِ وشعبانُ شهرِي ورَمَضانُ شهرُ أُمَّتِي)). أي لأنّ الله خصّ شهر رجب بالمغفرة. وشعبان بالشفاعة. ورمضان بتضعيف الحسنات. وقيل رجب شهر التوبة. وشعبان شهر المحبّة. ورمضان شهر القربة. وروى الديلمي عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أكثِروا من الإستغفار في شهر رجب فإنَّ للهِ في كل ساعةٍ منه عُتَقَاء من النار)). أيّها المسلمون. وسُمِّي رجب برجب. لأنّه كان يُرجَّب. أي يُعظَّم. ومن تعظيم العرب إيّاه. أنّ سدنة الكعبة يفتحونها من أوّل الشهر إلى آخره. لا يغلقونها. ويقولون: الشهر شهر الله. والبيت بيت الله. والعبد عبد الله. فلا يُمْنَع عبد الله من بيت الله في شهر الله. ويقال له كذلك: رجبٌ الأصبّ. لأنّ الرحمات تُصَبّ فيه من الملأ الأعلى على أهل الأرض. ويقال له أيضا: رجبٌ الأصمّ. لأنّ من حرمته عند العرب أنّه كان لا يُسمَعُ فيه صلصلة حديد ولا قعقعة سلاح. فكانوا يتركون فيه القتال. ولمّا جاء الإسلام ونزل القرآن. أكّد حرمة الأشهر الحرم في بداية العهد المدني، حيث أنزل الله عزّ وجلّ قوله تعالى في سورة البقرة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)). أيْ أنّ القتال في الشهر الحرام كبيرة من أعظم الكبائر، وذنب عظيم من أعظم الذنوب. وكان نزول تلك الآية بعد حادثة سرية سيّدنا عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة وهي بين مكة والطائف في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة النبوية. لجمع معلومات عن قريش عند مدخل من مداخل مكة، وتفصيل هذه الحادثة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش في رجب من السنة الثانية للهجرة مع ثمانية رهط من المهاجرين. ليس فيهم من الأنصار أحد. وهم: أبو حذيفة بن عتبة. وعكاشة بن محصن. وعتبة بن غزوان. وسعد بن أبي وقاص. وعامر بن ربيعة. وواقد بن عبد الله. وخالد بن البكير. وسهيل بن بيضاء. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ. فَقَالَ: ((وَافِ مَعَ الصّبْحِ، مَعَك سِلَاحُك، أَبْعَثُك وَجْهاً)). قَالَ: فَوَافَيْتُ الصّبْحَ وَعَلَيَّ سَيْفِي، وَقَوْسِي، وَجَعْبَتِي، وَمَعِي دَرَقَتِي، فَصَلّى النّبِيّ صَلّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالنّاسِ الصّبْحَ، ثُمّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْتُه. وَاقِفاً عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفَراً مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَمّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَتَبَ كِتَاباً. ثُمّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلانِيّ، فَقَالَ: ((قَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلاءِ النّفَرِ، فَامْضِ حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ)). بعدما سَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: ((إذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَامْضِ حَتّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكّةَ وَالطّائِفِ، فَتَرَصّدْ بِهَا قُرَيْشاً، وَتَعَلّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ)). فَلَمّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ: سَمْعاً وَطَاعَةً. ثُمّ قَالَ عبد الله بن جحش لأصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَمْضِيَ إلَى نَخْلَةَ، أَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشاً، حَتّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ لا أَسْتَكْرِهَ أَحَداً مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمّا أَنَا فَمَاضٍ لأمْرِ رَسُولِ اللهِ. فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ لم يتخلّف عنه منهم أحد. أيّها المسلمون. لمّا سلكت السرية حتى إذا كانت في بُحْرَانُ نَاحِيَةُ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ أَضَلّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيراً لَهُمَا، كَانَا يَعْتَقِبَانِهِ. فَتَخَلّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيّةُ أَصْحَابِهِ حَتّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ، فَمَرّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وَأَدَماً، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ. وفِيهَا خَمْرٌ وَأَدَمٌ وَزَبِيبٌ جَاءُوا بِهِ مِنْ الطّائِفِ. فَلَمّا رَآهُمْ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ، وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُمْ. فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمّا رَأَوْهُ أَمِنُوا، وَقَالُوا: عُمّارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. فأمِنوا وقيّدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاماً. . فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم. ثم اتّفقوا على ملاقاتهم. وقد دخلت الأشهر الحرم التي تعظّمها العرب. وقد عظّمها الإسلام وأقرّ حرمتها. فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التّمِيمِيّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وشدّ المسلمون عليهم فأسروا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ؛ أسره المقداد بن عمرو، وَأَفْلَتَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالأسِيرَيْنَ حَتّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ. فَلَمّا قَدِمَ أفراد السرية عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ مستنكِراً ما فعلوه: ((مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ!)). فَوَقّفَ الْعِيرَ وَالْأَسِيرَيْنِ. وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً. إلى أن يأتي وحيٌ من السماء يرشده إلى القرار الأحكم في هذه القضية. فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُقِطَ

فِي أَيْدِي أصحاب السرية، وَظَنّوا أَنّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وندم الصحابة على ما سلكوه في هذه السرية. لقد كان موقفًا متأزّمًا حقًّا. واستغلّت قريش ما حدث في هذه السرية من قتْلٍ في الشهر الحرام استغلالاً بارعاً، بيد أنّه لا يتّفق والخُلُق الكريم، فعمدت قريش إلى تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين أمام الرأي العام في الجزيرة العربية. فقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ اسْتَحَلّ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشّهْرَ الْحَرَامَ! وَسَفَكُوا فِيهِ الدّمَ! وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ! وَأَسَرُوا فِيهِ الرّجَالَ!. فردّ المسلمون المستضعَفون في مكة دفاعاً عن المعسكر الإسلامي، وقالوا: إنّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ. وتحالف يهود المدينة إعلاميّاً مع هذه الحملة الإعلاميّة المغرِضة ضدّ المسلمين، وقالوا بكلام قريش، وتَوَقّعَ الْيَهُودُ بِالْمُسْلِمِينَ الشّرّ، وأبرزوا التفاؤل بالأسماء التي ورد ذِكْرها في سرية نخلة، وأنّ هذه الأسماء تشير إلى اقتراب حرب فاصلة بين قريش والمسلمين. فقالوا: عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَمْرٌو، عَمُرَتْ الْحَرْبُ وَالْحَضْرَمِيّ، حَضَرَتْ الْحَرْبُ وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَقَدَتْ الْحَرْبُ، فَجَعَلَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لا لَهُمْ. ونزلت الآيات الكريمة تردّ الحملة لما أكثر الناس في ذلك. نزل الوحي من عند رب العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم بما فاجأ الجميع. أيّها المسلمون. لقد نزل القرآن الكريم يوضّح للناس كافّة مؤمنهم ومشركهم الحقائق كما ينبغي أن تكون، ونزل ليبيّن للناس ما اختلفوا فيه، ونزل ليخرج المسلمين من المثالية غير الواقعية إلى فقه الواقع وفقه الموازنات وفقه الأولويّات، ونزل ليفضح مكر الماكرين وكيد الكافرين، ونزل لينصر ويؤازر الطائفة المؤمنة الصادقة التي أرادت أن ترفع عن كاهلها وكاهل المسلمين بعض ما وقع عليهم من ظلم. قال تعالى في سورة البقرة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)). لقد قال الله عزّ وجلّ أنّه لا معنى أبدًا لتلك الضّجّة المفتَعَلة، والتمثيلية الهزلية التي قام بها كفّار قريش، فعلى الرغم من أنّ القتال في الشهر الحرام كان ممنوعًا في ذلك الوقت. وبرغم أنّ القتال في الشهر الحرام أمر كبير لا ينبغي أن يسعى إليه المسلمون. إلا أنّ ما فعلته قريش أكبر وأعظم من ذلك، والكفر بالله تعالى وعبادة الأصنام من دون الله أكبر من القتال في الشهر الحرام، ومنْع

المسلمين من الطواف بالكعبة وأداء المناسك أكبر من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المسلمين عن دينهم بالتعذيب والتشريد والقتل أكبر من القتال في الشهر الحرام، وكل ذلك فعلته قريش، ولم تفعله مرّة واحدة بصورة عابرة، إنّما فعلته مرارًا وتكرارًا حتى أصبح عُرفًا سائدًا. وقانونًا معمولاً به، وكل هذه جرائم أكبر بكثير كما وضّح ربُّنا بنفسه في الكتاب مما فعله المسلمون وهاجت له قريش. إنّها تمثيليّة هزلية حقيقية مثل ما فعل فرعون لمّا نادى بقتل موسى عليه السلام؛ لأنّه كما يدّعي فرعون يُظهِر في الأرض الفساد. قال تعالى في سورة غافر حايا عن ذلك: ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ)). إنّها دعوى هزلية حقًّا، تمامًا كتلك الدعوى التي أطلقتها قريش بأنّ المسلمين ينتهكون الحرمات. لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل. وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرّد ستار يحتمون خَلْفه، لتشويه موقف المسلمين، وإظهارهم بمظهر المعتدي وهم المعتَدون ابتداء. وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء. لذلك فإن الله عزّ وجلّ لم يكتفِ برفْع الإثم عن الصحابة الذين شاركوا في سرية نخلة، بل أعطاهم ثواب المجاهدين في سبيل الله، فأنزل تعالى آيات في سورة البقرة توضّح هذا المعنى. قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). وبيَّن الله تعالى في هذه الآيات أنّ نيّتهم كانت لله تعالى حيث قال: ((أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ)). وبيَّن أيضًا أنّه قد غفر قتالهم في الشهر الحرام حيث عقَّب الآية بقوله سبحانه: ((وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). وهكذا أيّد الله موقف الصحابة المجاهدين، ووضّح الرؤية لعموم المسلمين؛ فهدأت النفوس، واطمأنّت القلوب. أيّها المسلمون. لمّا بعثت قريش في فداء الأسيرَيْن عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا تُفْدِيكُمُوهما حَتّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا. يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ. فَإِنّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ)). فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأمّا الحَكَم بن كَيْسان فأسلم وحَسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً، وأمّا عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً. أيّها المسلمون. فاتّقوا الله عباد الله. وعليكم في هذا الشهر الكريم بالإكثار من الصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين. وفعل المعروف بالمحتاجين. والعطف عليهم. فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تصدّق في رجب باعده الله من النار. كمقدار غراب طار فرخا

حتى مات هرما)). وعليكم بالإكثار من ذكر الله تعالى وتسبيحه بكرة وأصيلا. والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والإستغفار والتوبة. يقول صلى الله عليه وسلم: ((أكثروا من الإستغفار في شهر رجب. فإنّ لله تعالى في كل ساعة منه عتقاء من النار)). فتعرّضوا رحمكم الله في هذا الشهر لنفحات رحمة الله. واعمروه بالعمل الصالح. والتأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم. امتثالاً لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))، جعلني الله وإياكم ممّن وُفّق لأعمال البرّ والتقوى. وُرزق سعادة الدارَيْن بحرمة رسوله الأتقى. سيّدنا محمّد المصطفى. صلى الله عليه وسلم حتى يرضى. اللهم يا من وفّقت أهل الخير إلى الخير وأعنتهم عليه. وفّقنا يا مولانا إلى الخير وأعنّا عليه. اللهم اجعلنا ممّن أخلص لك العمل. وجانب الزيغ والزلل. وخافك وكان من ذنوبه على وجل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

دعاء إستغفار رجب. للعلاّمة السيّد حسن بن سيدي عبد الله باعلوي الحدّاد رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. اللهم صلِّ على سيِّدِنا محمدٍ وآله وصحبه وسلِّم.

أَسْتَغْفِرُ الله (ثلاثا). وأَتوبُ إلى الله من جَمِيعِ ما يَكْرَهُ اللهُ قَوْلاً وفِعْلاً. وخاطِراً وناظِراً. وباطنًا وظَاهِراً. أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظيمَ الذي لا إلهَ إلا هو الحيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إلَيْه. اللهم إنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ. وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ. وما أنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ. وأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذا الجَلالِ والإكْرامِ. مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ والآثامِ. أَسْتَغْفِرُ الله لذُنُوبِي كُلِّها. سِرِّها وجَهْرِها. وصَغِيرِها وكَبِيرِها. وقَديمِها وجَديدِها. وأَوَّلِها وآخِرِها. وظاهِرِها وباطِنِها. وأَتُوبُ إلَيْه. اللهم إنِّي أَسْتَغْفِرُكَ من كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيه. وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ الكَرِيمَ فَخَالطَهُ ما لَيْسَ لَكَ فيهِ رِضًا. وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ بِهِ مِنْ نَفْسِي ثُمَّ أَخْلَفْتُكَ فِيهِ. وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا دَعَاني إِلَيْهِ الهَوَى مِنْ قِبَلَ الرُّخَصِ مِمَّا اشْتَبَهَ عَلَيَّ وهُوَ عِنْدَكَ حَرَامٌ. وأَسْتَغْفِرُكَ يا لا إلهَ إلا أَنْتَ. يا عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ. مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمَلْتُها في بَيَاضِ النَّهَارِ وسَوَادِ اللَّيْلِ. في مَلأٍ وخَلاءٍ. وسِرٍّ وعَلانِيةٍ. وأَنْتَ نَاظِرٌ إليَّ إذِ ارْتَكَبْتُها. وأَتَيْتُ بِها من العِصْيَانِ. فَأَتُوبُ إِلَيْكَ. يا

حَلِيمُ يا كَرِيمُ يا رَحِيمُ. وأَسْتَغْفِرُكَ من النِّعَمِ التي أَنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ. فَتَقَوَّيْتُ بِها على مَعْصِيتِكَ. وأَسْتَغْفِرُكَ من الذُّنُوبِ التي لا يَعْرِفُها أَحَدٌ غَيْرُكَ. ولا يَطَّلِعُ عَلَيْها أَحَدٌ سِوَاكَ. ولا يَسَعُها إلا حِلْمُكَ. ولا يُنَجِّيني مْنَها إلا عَفْوُك. وأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ يَمِينٍ سَلَفَتْ مِنِّي فَحَنِثْتُ فيها وأَنا عِنْدَكَ مُؤَاخَذٌ بِها. وأَسْتَغْفِرُكَ يا مَنْ ((لا إلهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ))؛ ((فَاسْتَجَبْنا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنجي المُؤْمِنِين؛ وزَكَرِياءَ إِذْ نَادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْني فَرْداً وأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ))؛ ((رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمين))؛ وأَسْتَغْفِرُكَ اللهم مِنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ أَوْجَبْتَها عَلَيَّ في آناءِ اللَّيْلِ وأَطْرافِ النَّهَارِ. فَتَرَكْتُها خَطَأً أو عَمْداً. أو نِسْياناً أو تَهَاوُناً. أو جَهْلاً وأنا مُعاقَبٌ بِها. وأَسْتَغْفِرُكَ من كُلِّ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ. وخَاتَمِ النَّبِيِّينَ. نَبِيِّكَ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم. فَتَرَكْتُها غَفْلَةً. أو سهوًا أو نِسْياناً. أو تهاوُنًا أو جَهْلاً. أو قِلَّةَ مُبالاةٍ بِها. وأَسْتَغْفِرُكَ يا مَنْ (لا إله إلا أنتَ) وَحْدَكَ لا شريك لك. وأنّ سَيِّدَنا محمدا عَبْدُكَ ورَسولُك. سُبْحانَك يا رَبَّ العَالَمِين. لَكَ المُلْكُ ولَكَ الحَمْدُ. وأَنْتَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكِيلُ. ونِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النَّصِيرُ. ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. يا جَابِرَ كُلِّ كَسِيرٍ. ويا مُؤْنِسَ كُلِّ وَحِيدٍ. ويا صَاحِبَ كُلِّ غَريبٍ. ويا مُيَسِّرَ كُلِّ عَسِيرٍ. يا من لا يَحْتاجُ إلى البَيَانِ والتَّفْسِيرِ. وأنت على ما تَشَاءُ قَدِير. وصلى الله تعالى على سيّدنا محمد بِعَدَدِ مَنْ صلّى عليه. وبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليه. اللهم صل على رُوحِ سَيِّدِنا محمدٍ في الأَرْوَاح. اللهم صل على تُرْبَةِ سَيِّدِنا محمدٍ في التُّرَب. اللهم صل على قَبْرِ سَيِّدِنا محمدٍ في القُبُور. اللهم صل على صُورَةِ سَيِّدِنا محمدٍ في الصُّوَر. اللهم صل على اسْمِ سَيِّدِنا محمدٍ في الأَسْمَاء. ((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ؛ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين. اهـ

04- المختصَر في بعضِ أخبارِ غزوةِ بَدْر وفضلِ أهلِها السّادةِ الغُرَر رضي الله عنهم

الحمد لله الذي اختصّ الشهر الأغرّ، رمضان الأنور، وخَصّ بعظيمٍ من فضله الأوْفر، ليلةَ السابع عشر، أبدى صبيحتها عَلَمَ نصرِه المؤزَّر، وتأييده الأكبر، لحبيبه الأعطر، سيّدِنا ومولانا محمدٍ ذي الجبين الأزهر، صلى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وأهل بيته المطهَّر، وأصحابه الكرام ممّن هاجر ونصر، خصوصاً مَن ببدرٍ حضر، ومَن تبعهم على أقوم السِّيَر، إلى يوم المحشر، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. معزُّ الإسلام بنَصْره، ومذِلّ الشِّرْك بقَهْره، ومُصَرِّف الأمور بأَمْره، ومُدِيم النِّعَم بشُكْره، ومُسْتَدْرِج الكافرين بمَكْره، الذي قَدَّر الأيّام دُوَلاً بعَدْله، وجعل العاقبة للمتّقِين بفَضْله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينَه على الدين كلِّه، القاهرُ فوق عباده فلا يُمَانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يدافَع. وأشهد أنّ سيّدَنا محمّدًا عبدُه ورسولُه. وصفيّه من خلقه وخليله. أقام الله به الملّةَ العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد الضلالة، وعلّم به بعد الجهالة، وأعزّ به بعد الذِّلّة. وجمع به بعد الفُرْقة، وأغنى به بعد الفاقة. إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره وتفريج كربه. فليكثر من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها تُرضي الله وتُرضيه. اللهمّ صلِّ وسلِّمْ وبارِك على سيّدِنا محمّد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثُها وأذكارُها. وتنافست الرجال في خدمتِها. وعلى آله الحائزين شرفَ السيادة وعظيمَ مِقْدارها. كما ورد ذلك في صحيح السنّة وأخبارِها. وعلى أصحابِه الداعين إلى الهداية من مشكاة أنوارها. البائعين أنفسَهم لله فنالوا الشهادة في مضمارها.

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ * مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً * فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُباً * مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ * فَتَحْسبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ * إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

اللهمّ انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولاعن طريقتهم. برحمتك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. أمّا بعد: فيا أيّها

الأحباب. نعيش وإيّاكم في هذا اليومِ العظيم ذكرى خالدةٍ عظيمة، ذكرى غزوةِ بدرٍ الكبرى، وقعت هذه الغزوةُ صبيحةَ يومِ الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك. في مثل هذا اليوم بالذات، في السنة الثانية من هجرة سيّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، وإنّ في تجديد الذكريات تجد النفوس سُلْوتَها، وتستذكر الأجيالُ تأريخها، وتأنس القلوب وهي تُعيد النظر كَرّةً بعد أخرى في سِيَر أمجادِها وسِجّلات أبطالِها، وتَعظُمُ هذه الذكريات وتزهو حين تكون ذكريات نصْرٍ وخيرٍ وفداءٍ وبطولة، يُتوّجُها شرف الزمان والرجال. فالزمان: شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان. والرجال: سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحْبه الكرام من المهاجرين والأنصار. رضي الله عنهم وأرضاهم. خير القرون، وأزكى الأمم، وأبرُّ الأجيال. أَيُّهَا المُسلِمُونَ. هذه الغزوة التي سَمَّى الله يومها بيوم الفرقان. والتي امتَنَّ الله فيها على المسلمين بالنصر. فقال في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ)). هذه الغزوة التي قادها نبيّنا صلى الله عليه وسلم بنفسه مع الفئة المؤمنة. وكان عددهم لا يزيد عن ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً. ضدّ قوى الظلم والبغي والإلحاد، ضدّ قريش التي جمعت خَيلها وخُيلاءها وعَددها وعُدّتها، وبلغ عدد المشركين ما يربو على الألف رجل من صناديد قريش. وتأتي الغايةُ كما وعدَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه. عندما قالَ عزَّ مِن قائلٍ في سورة غافر: ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وفي قولِه سبحانه وتعالى في سورة الروم: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)). وقولِه في سورة البقرة: ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)). ولقدَ هيّأَ اللهُ سبحانه وتعالى لهذه المعركةِ أسبابَها حتى يَصطدمَ الحقُّ والباطلُ، فتكونَ الغلبةُ للحقّ وحزبِه؛ ولِيُظْهِرَ اللهُ دينَه على الدينِ كلِّه ولو كرهَ المشركون، فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). هكذا شاءَ اللهُ سبحانه وتعالى. أيّها الأحباب. وحديثُ غزوة بدرٍ الكبرى حديثٌ طويل لا تَملّه النفوس المؤمنة، ولكنّنا نجتزئُ بعض أحداثِها المهمّة. فنقول: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج أبي سفيان من الشام إلى مكة في عِير

قريش. وهم الذين صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم وأصحابَه عن سبيل الله. وهم الذين أخرجوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه من ديارهم وأموالهم. فبدؤوا بالظلم على المسلمين. فندب النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه إلى تلك العِير. قافلةٌ لقريشٍ قوامُها ألفُ بعير محمَّلة بالغالي والنفيس، وليس معها إلا أربعون مشركا، فقال عليه الصلاة والسلام: ((هذه عيرُ قريشٍ، فيها أموالُهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلُكُمُوها)). فخفَّ قومٌ، وثقلَ آخَرون؛ لأنّهم لم يكونوا يحسِبون حساباً لمعركةٍ؛ إذ كانوا يظنّون أنَّ القضيةَ قضيةُ عِيرٍ فقط، فلذلك لم يَخرج المؤمنون بأكملِهم، وإنّما بقيَ أكثرُهم بالمدينةِ المنوّرةِ، وخرجت فئةٌ قليلةٌ، خرجوا أذلّة في ضَعفٍ من العُدّة. وقلّة من العَدد. لم يخرجوا لقتالٍ وإنّما خرجوا للعِير؛ ولهذا ليس معهم سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيرًا يعتقبونها وفَرَسَان اثنان فقط؛ لأنّهم لا يريدون عدوّهم. ولكنّ الله جمع بينهم وبين عدوّهم بحكمته على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، ويعِدهم سبحانه إحدى الطائفتين. فقال سبحانه في سورة الأنفال: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)). وقال أيضا في سورة الأنفال: ((إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). هكذا هيّأ اللهُ سبحانه وتعالى الأسبابَ، وربطَ بعضَها ببعضٍ، أيّها الحاضرون الكرام. ثم إنّ أبا سفيان لَمَّا علِمَ بخروج النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه إلى العِير بعث صارخًا إلى أهل مكة يستنجدهم ليمنعوا عيرَهم. فخرجوا من ديارهم قريبًا من ألف مقاتل، خرجوا كما وصَفَهم الله تعالى في سورة الأنفال: ((خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). يقول قائلهم: واللهِ لا نرجع حتى نَقْدم بدرًا ونقيم فيها ثلاثًا. نَنحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا. قالوا ذلك لِمَا عندهم من البطر والخُيَلاء، قالوا ذلك ولكنّ الله ((بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأنصارِه رقيب حفيظ، وقد كانَ مِن حكمةِ اللهِ سبحانه وتعالى أنْ قلّلَ عددَ هؤلاءِ وعددَ هؤلاءِ في نظرِ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين، فإنَّ كلَّ طائفةٍ رأت عددَ عدوِّها عدداً قليلاً بمشيئةِ اللهِ، وقد أرى اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم

أعداءَه الكافرين قلّةً. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)). وكذلك قلّلَ عددَ المشركين في عيونِ المسلمين، وقلّلَ عددَ المسلمين في عيونِ المشركين. فقال سبحانه: ((وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)). فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أرادَ بذلكَ أن تشتّدَ حميّةُ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين للقاءِ الطائفةِ الأخرى؛ حتى يَتِمَّ ما أرادَ اللهُ سبحانه وتعالى من النصرِ والتأييدِ لهذا الدِّينِ، وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأُفق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)). فقيَّض الله عزّ وجل لرسولِه صلى الله عليه وسلم وأصحابِه من أسباب النصر ما به انتصروا. ولأعدائه ما به خسؤوا وانكسروا، فقَتلوا من صناديد قريش سبعين وأَسروا سبعين. وألقى جثث موتاهم في قَلِيب بدر. ثم وقف عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يقول: يا فلانَ ابنَ فلان، أيَسُرُّكم أنّكم أطعتم اللهَ ورسولَه؛ فإنّا قد وجدنا ما وعَدَنا ربنا حقًّا. فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسولَ الله، كيف تكلّمهم وهم جِيَف؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: واللهِ ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم، ثم رجع فَلُّ قريش إلى ديارهم مهزومين مَوْتُورين خائبين ذليلين، واستُشهِد من المسلمين أربعةَ عشر رجلا. ((فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)). أيّها الأحباب. ليست الغاية من غزوة بدر مجرَّد قصّة تُقَصُّ لتُنْسى، أو وقائع تُرْوى فيُغْفَل عنها بعد ذلك وتُطْوى؛ وإنّما المراد من القَصَص أَخْذُ العِبْرة، يقول ربنا في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)). وقال في سورة هود: ((وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)). وسنحاول إن شاء الله تعالى أن نقتطف بعض الدُّرَر، ونأخذ بعض العِبَر، التي تصل بنا إلى مقام

التّذكّر والذكرى. قال تعالى في سورة الذاريات: ((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ)). والذكرى لابدّ لها من قلبٍ حاضر مع البيّنات، متلقٍّ للعِبر والمواعظ والآيات، قلبٍ عند منابعِ الخيرات قعيد، كما قال تعالى في سورة ق: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)). فأوّل هذه العِبَر: أنّ مِلَل الكفر على تفرّقها واختلافها. وأهل الباطل على تنوّعهم. إذا كان الهدف هو الإسلامُ وأهلُه. تكالبوا عليهم. واتّحدوا ضدّهم. وهذه الحقيقة بيّنها الله في أواخر سورة الأنفال. فقال سبحانه: ((وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير)). وهذه حالُهم منذ قام الصراع بين الحق والباطل إلى يومنا هذا، فكفّار اليوم هم أبناء كفّار الأمس، ومنافقو اليوم ورثوا النفاق صاغرا عن صاغر. فموالاة الكفارِ وأهلِ الأهواء من أسباب الفتنة في الدين. والإفساد في الأرض. لذلك يجب أن يكون الولاء للمؤمنين. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير)). ومن العبر كذلك: تحقيقُ الصحابة رضوان الله عليهم في معنى الولاء الكامل لسيّدِنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلا بأس عندهم أبدا في أن يُقدّموا الأرواح في سبيل رَفْع رايةِ لا إله إلا الله محمد رسول الله. إنّه صِدْق الإتّباع تُنبّئ عنه مواقف هؤلاء الكرام حين استشارهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم في مسألة الخروج لمواجهة الكفار، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثا، ففهمت الأنصار أنّه يَعنيهم. فبادَر سيّد الأنصار. سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله: كأنّك تُعَرِّض بنا؟ وكان إنّما يعنيهم لأنّهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلمّا عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم. فقال له سعد: لعلّك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقّا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإنّي أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصِلْ حَبْل مَن شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منّا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتَ فيه من أمر فأمرنا تبعٌ لأمرك، فوالله لئن سِرْتَ حتى تبلغ البِرَك من غمدان، لنسيرنّ معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك. وقال له المقداد بن عمرو رضي الله عنه: لا نقول لك

كما قال قومُ موسى لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شِمالك ومن بين يديك ومن خلفك. فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه، فأشرق وجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. وسُرّ بما سمع من أصحابه. وقال: ((سيروا وأبشروا، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتَيْن. وإنّي قد رأيتُ مصارع القوم)). قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِين لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون)). نعم. إنّه الحب والولاء، وصِدْق والإنتماء. ومن المواقف الإيمانية الرائعة في هذه الغزوة: أنه لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمارس دَوْر القائد العسكري، وأخذ يعدِّل الصفوف بقِدْحٍ كان في يده، بعصًا أو سَهْم، وفي هذه الأثناء يحصل مشهد عجيب، ففي أثناء تسويّته للصفوف رأى سَوَاد بن غزيّة رضي الله عنه خارجا عن الصف، فضربه صلى الله عليه وسلم على بطنه قائلا: ((اسْتَوِ يا سَوَاد))، والرسول صلى الله عليه وسلم فعل هذا لأنّ المقام مقام انضباط ونظام. فقال سواد: يا رسول الله، لقد أوجعْتَنِي، فأقِدْني من نفسك، أيْ مَكِّنّي منك أقتصّ منك، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن كشف عن بطنه الشريف: ((اقتصّ يا سواد))، فاعتنقه سواد وهو يبكي ويقبِّل بطنه، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)). قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى من مشاهد الموت، فأردتُ أن يكون آخِر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك الشريف يا رسول الله. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير. أَيُّ حب في قلوب هؤلاء الكبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لم تُنسهم مشاهد الموت حبَّهم لحبيبهم صلى الله عليه وسلم، إنّه مشهد عظيم من مشاهد الإلتحام. ومن المواقف البطولية الإيمانية المدهشة: من مشاهد الحب والإلتحام، وهو درسٌ للخاصّ والعام، يقول سيّدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إِنِّي لَقَائِمٌ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ غُلامَيْنِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلُعٍ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ, أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ. وَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ تَرَجَّلَ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلانِ عَنْهُ.

فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلاهُ. ثم انصرفا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: ((أيّكما قتله؟)). فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُه. فقال: ((هل مسحتما سيفكما؟)). فقالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال: ((كلاكما قتله)). والفتَيان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ بن عفراء رضي الله عنهما. إنّها مواقف تُنْبِئ عن عظمة هذا الجيل، جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الذي تربّى في رياض القرآن، فهذان فتيان صغيران دفعهما حبهما لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وغيرتهما عليه. فاندفعا لقتل فرعون هذه الأمّة أبي جهل. أيّها الأحباب. ومن دروس وعِبَر هذه الموقعة المباركة: أنّ العبد مطالب بالأخذ بالأسباب، فإنْ أخذ بها فإنّه مطالب بعد ذلك بالدعاء والتضرّع إلى الله رب الأرباب، فتَرْك الأخذ بالأسباب بابٌ فيه إغفال لجانب الإعداد، والإستعلاء عن الدعاء فيه قَطْع لخيط الإمداد، وكلاهما دليل انطماس البصيرة، فالدعاء من أقوى أسلحة المؤمن في مواجهة مكْر الأعداء وكَيدهم وعدوانهم. وهذا ظاهر في مُناشدة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ربَّه والتضرّع إليه. فقد بات صلوات ربي وسلامه عليه ليلة المعركة وهو الموصول بالله. يصلي ويتضرّع، ويبكي، ويناجي ربه، يدعو ويبتهل ويقول: ((اللهمّ هذه قريش جاءت بخَيلائها وفخرها، تُحادّك وتُكذِّب رسولَك، اللهمّ فنصْرَك الذي وعدتَّني، اللهمّ فأَحْنِهم الغداة. اللهمّ إنْ تَهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض)). حتى أشفق عليه الصّدّيق رضي الله عنه قائلا: هوّن عليك يا رسول الله، فإنّ الله سيُنجز لك ما وعدك. فاستجاب الله لنبيّه. وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأُفُق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)). ومن العِبَر كذلك من هذه الغزوة المباركة: معرفة أهميّة ذِكْر الله في حالة مواجهة الأعداء، وهذا واضح في ذِكْر صفات المؤمنين الكمّل، والمجاهدين الخلّص، وَسَط هذه الآيات التي تُخبر عن غزوة بدر، وأوّل صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في

سورة الأنفال: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)). وأوضح من ذلك قوله تعالى في نفس السورة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون)). وبهذا نفهم حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وابن ماجه والإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في المسند. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)). أيّها الحاضرون الكرام. لقد كانت معركةُ بدرٍ أوّلَ معركةٍ فاصلةٍ بين الحقّ والباطلِ، وبين الهدى والضلالِ، وهي كاسمِها بدْرٌ منيرٌ، أضاءَ للسالكين الطريقَ، وهي أيضاً كاسمِها فرقانٌ، فقد سمّى اللهُ سبحانه وتعالى يومَها يومَ الفرقانِ؛ لأنّه كانَ يوماً فارقاً بين الحقّ والباطلِ، وبين حزبِ الهدى وحزبِ الضلالِ. وإنّ الشّرف الذي ناله أهلُ بدرٍ رضي الله عنهم. لم ينله أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ. أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: ((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَمَهْ. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا)). وروى إبن أبي شيبة في مصنّفه عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقّهم: ((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). وأمّا خواصّ أسمائهم: فقد قال ابن برهان الدين الحلبي في سيرته: وذَكر الإمام الدّوّاني أنّه سمِع من مشايخ الحديث أنّ الدعاء عند ذِكرهم يعني أصحابِ بدرٍ مستجاب، وقد جُرِّب ذلك. وذكر الإمام جعفر البرزنجي في كتابه (جالية الكُرَب بأصحاب سيّد العجم والعرب). قال: قال الشيخ عبد اللطيف في رسالته: وذَكر بعضهم أنّ كثيرا من الأولياء أُعطوا الولاية ببركة أسمائهم. وأنّ كثيرا من المرضى سألوا الله بهم شفاء أسقامهم. فشُفوا من ذلك. رضي الله عنهم

أجمعين. ونفعنا ببركاتهم آمين. اللهمّ يا حيّ يا قيّوم. نتوجَّه إليك بِجَمْعنا لأمّة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. وأنت أعلم بأحوالهم وما نزل بهم، فيا حيّ يا قيّوم فرّج كروبَهم، وأصلِح قلوبَهم، يا حيّ يا قيّوم إجمع على الهدى شَمْلَهم، وألِّف ذات بينِهم، يا حيّ يا قيّوم أكشِف الشدائدَ عنهم، وحوِّل حالَهم إلى أحسن الأحوال، وأظهِر بينهم رايةَ حبيبِك سيّدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وارزقهم نَصْرها، اللهمّ اشفِ مرضاهم، وعافِ مبتلاهم. وفُكَّ أسراهم، واخذُل أعداءَهم، اللهمّ يا حيّ يا قيّوم نسألك فرجَك القريب، وغياثَك العاجِل، ونصرَك العزيز، وفتْحَك المبين، ببركة ووَجاهةِ عبدِك وحبيبِك الأمين. المصطفى سيّدِنا محمدٍ سيّدِ المرسلين، صلى الله عليه وآله وسلم. وأهلِ كسائه علي بنِ أبي طالب، وفاطمةَ الزهراء، والحسنِ والحسين، وسائرِ أبنائه وبناتِه وذرّيّتِه، وأهلِ بيتِه الطاهرين، وخديجةَ الكبرى. وعائشةَ الرِّضى، وأُمّهاتِ المؤمنين، والخلفاءِ الراشدين، وأهلِ بدرٍ وأُحُدٍ وبيعةِ الرضوان، وجميعِ الصحبِ الأكرمين، وأهلِ حضرتِه من النبيّين والمرسلين. والملائكةِ المقرَّبين، وجميعِ عبادِ الله الصالحين، وصلِّ وسلِّم عليه وعليهم أجمعين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

05- إنشراح الصدر ببعض أخبار غزوة بدر وفضل أهلها السادة الغرر

الحمد لله ربِّ العالمين، يُعِزُّ مَنْ أطاعه واتّقاه، وينصره على مَن عاداه، ويقيم به للحقّ دولة. وللدين قَوْمة، وللإسلام صَوْلة، وللقرآن جَوْلة. فسبحانه من إله نصر نبيَّه وحبيبه سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، وأعزّه بفتح مكة أمّ القرى. وتطهيرها من الشرك والأوثان، فيا له من عِزٍّ ارتفع به صرْح الإسلام. واندكّ به بنيان الشرك والطغيان، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. فإيّاه نعبد. وله نصلّي ونسجد. وإليه نسعى ونحفِد. نرجو رحمته ونخشى عذابه. مردّدين قول القائل:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلنْ سكينةً علينا * وثبّت الأقدام إن لاقينا

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. إبتعثه الله تعالى وقد طغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها. وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبّارها. فقاومهم وجاهدهم إلى أن زكّى أنفسهم من أشرارها. وتركهم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها.

حبيبٌ بأنوار الوقار متوَّجٌ * كمِ اصطكّ سِنًّا إنْ رءاه مُقابِلٌ

رؤوفٌ رحيمٌ مُحْسِنٌ متفضِّلٌ * لنا وعلينا مَنْ كطه يواصِلُ

وبين يديه صحبُهُ الرأسَ أطرقوا * وقد مُلِئت منهمْ بعِلْمٍ حواصِلُ

هنيئا لهم فازوا بنُصْرة أحمد * وكم قاتلوا في حبّه مَنْ يقاتِلُ

وقد صدقوا ما عاهدوا الله ذا العلا * عليه وكلٌّ منهُمُ النّفسَ باذِلُ

ألا يا رسولَ الله يا مَنْبَعَ الهدى * ويا معدِنَ الجود الذي لا يُماثَلُ

عليك صلاةُ الله والآلِ جملةً * وصحبِك ما منهم توالت فواضِلُ

إخواني: إذا أرادتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغِبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيّ المختار. تفوزوا بقُرْبه في دار القرار. اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نعيش وإيّاكم في هذا اليوم العظيم ذكرى خالدة عظيمة، ذكرى معركة بدر الكبرى، وقعت معركة بدر صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك. في مثل هذا اليوم بالذات، في السنة الثانية من الهجرة الشريفة قبل ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين عاماً من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذه المعركة التي قادها نبينا صلى الله عليه وسلم بنفسه مع الفئة المؤمنة. وكان عددهم لا يزيد عن ثلاث مائة وبضعة

عشر رجلاً. ضدّ قوى الظلم والبغي والإلحاد، ضدّ قريش التي جمعت خيلها وخيلاءها وعددها وعدّتها، وبلغ عدد المشركين ما يربو على الألف رجل من صناديد قريش. وتأتي الغايةُ كما وعدَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه. عندما قالَ عزَّ مِن قائلٍ في سورة غافر: ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وفي قولِه سبحانه وتعالى في سورة الروم: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)).وقوله في سورة البقرة: ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)). ولقدَ هيّأَ اللهُ سبحانه وتعالى لهذه المعركةِ أسبابَها حتى يصطدمَ الحقُّ والباطلُ، فتكونَ الغلبةُ للحقِّ وحزبِه؛ ولِيُظْهِرَ اللهُ دينَه على الدينِ كلِّه ولو كرهَ المشركون، فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). هكذا شاءَ اللهُ سبحانه وتعالى. فقد طلبَ النبيُّ صلى اله عليه وسلم من المؤمنين أن يخرجوا من المدينةِ المنوّرةِ ليلاقوا قافلة لقريش قوامها ألف بعير محمّلة بالغالي والنفيس، وليس معها إلا أربعون مشركا، فقال عليه الصلاة والسلام: ((هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها)). فخفَّ قومٌ، وثقلَ آخرون؛ لأنّهم لم يكونوا يحسبون حساباً لمعركةٍ؛ إذ كانوا يظنّون أنَّ القضيةَ قضيةُ عِيرٍ فقط، فلذلك لم يخرج المؤمنون بأكملِهم، وإنّما بقيَ أكثرُهم بالمدينةِ المنوّرةِ، وخرجت فئةٌ قليلةٌ، واللهُ سبحانه وتعالى يعِدُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إحدى الطائفتين. فقال سبحانه في سورة الأنفال: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)). هكذا هيّأَ اللهُ سبحانه وتعالى الأسبابَ، وربطَ بعضَها ببعضٍ، وقد كانَ مِن حكمةِ اللهِ سبحانه وتعالى أنْ قلّلَ عددَ هؤلاءِ وعددَ هؤلاءِ في نظرِ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين، فإنَّ كلَّ طائفةٍ رأت عددَ عدوّها عدداً قليلاً بمشيئةِ اللهِ، وقد أرى اللهُ سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أعداءَه الكافرين قلّةً. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)). وكذلك قلّلَ عددَ المشركين في عيونِ المسلمين،

وقلّلَ عددَ المسلمين في عيونِ المشركين. فقال سبحانه: ((وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)). فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أرادَ بذلكَ أن تشتّدَ حميّةُ كلِّ واحدةٍ من الطائفتين للقاءِ الطائفةِ الأخرى؛ حتى يتمَّ ما أرادَ اللهُ سبحانه وتعالى من النصرِ والتأييدِ لهذا الدِّينِ، أيّها المسلمون. وحقّق الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين النّصر على عدوّهم. رغم قلّة عددهم وعُدَّتهم، وأيّدهم سبحانه بجنود مِنْ عنده. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). وقال في سورة الأنفال: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)). لقد كانت معركةُ بدرٍ أوّلَ معركةٍ فاصلةٍ بين الحقّ والباطلِ، وبين الهدى والضلالِ، وهي كاسمِها بدْرٌ منيرٌ، أضاءَ للسالكين الطريقَ، وهي أيضاً كاسمِها فرقانٌ، فقد سمّى اللهُ سبحانه وتعالى يومَها يومَ الفرقانِ؛ لأنّه كانَ يوماً فارقاً بين الحقّ والباطلِ، وبين حزبِ الهدى وحزبِ الضلالِ. وإنّ الشّرف الذي ناله أهل بدر رضي الله عنهم. لم ينله أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ:"مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ " أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: ((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:فَمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا})). وروى إبن أبي شيبة في مصنّفه عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقّهم: ((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد

غفرت لكم)). وأمّا خواصّ أسمائهم فقد قال ابن برهان الدين الحلبي في سيرته: وذكر الإمام الدّوّاني أنّه سمِع من مشايخ الحديث أنّ الدعاء عند ذكرهم يعني أصحاب بدر مستجاب، وقد جُرِّب ذلك. وذكر الإمام جعفر البرزنجي في كتابه (جالية الكُرَب بأصحاب سيّد العجم والعرب). قال: قال الشيخ عبد اللطيف في رسالته: وذكر بعضهم أنّ كثيرا من الأولياء أُعطوا الولاية ببركة أسمائهم. وأنّ كثيرا من المرضى سألوا الله بهم شفاء أسقامهم. فشُفوا من ذلك. رضي الله عنهم أجمعين. ونفعنا ببركاتهم آمين.

أيّها المسلمون. وتلاحقت المعاركُ بين حزبِ الحقّ وحزبِ الباطلِ حتى تمَّ فتحُ مكةَ المكرَّمةِ بمشيئةِ اللهِ سبحانه وتعالى، وذلك في مثل هذا اليوم. صبيحة يوم الجمعة في عشرين من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، قال تعالى في سورة النصر: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ * بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ

وَأَطَاعَتْ لأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ * بَاءُ والْجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ

وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيَةُ الْكُبْـ*ــرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ

وَإِذَا مَا تَلاَ كِتَاباً مِنَ اللـ*ــهِ تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ

كما أشار إلى بعض أحداث قصّة فتح مكة أيضا بقوله:

صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ * مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمُ وَالدَّهَاءُ

فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الحَرْبِ تَخْـ*ــتَالُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَغَى خُيَلاَءُ

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنا فَقَوَافِي * الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الإِيطَاءُ

وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعاً * ظُنَّ أَنَّ الغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ

أَحْجَمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُونُ وَأَكْدَى * عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ

وَدَهَتْ أَوْجُهاً بِهَا وَبُيُوتاً * مُلَّ مِنْهَا الإِكْفَاءُ وَالإِقْوَاءُ

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ والْعَفْـ*ـوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْضَاءُ

نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى التِي مِنْ قُرَيْشٍ * قَطَعَتْهَا التِّراتُ وَالشَّحْنَاءُ

فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنَغِّصْـ*ـهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ

وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلـ*ـهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقْصَاءُ

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ * مِنْ سِوَاهُ الْمَلاَمُ وَالإِطْرَاءُ

وَلَوَ اَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفـ*ـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

قَامَ للهِ فِي الأُمُورَ فَأَرْضَى * اللهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ

فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـ*ـضَحُ إِلاَّ بِمَا حَوَاهُ الإِنَاءُ

أيّها المسلمون. إنّ احتفاءنا بذكرى غزوة بدر. وفتح مكة، إنّما هو طمع في فضل الله ومدده. لأنّهما من الليالي التي اختصّها الله عزّ وجلّ بالفضل. ولذلك فقد حَرِص سلفنا الصالح رضي الله عنهم على إحيائهما في طاعة الله تعالى. لأنّهما من ليالي النصر. والفرح بإعزاز الحقّ. وكذلك لأنّهما من الليالي التي تجلّى فيها الله تعالى لحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم. ولأصحابه من المهاجرين والأنصار. فأعزّهم وأيّدهم وأمدّهم ووفّقهم. فأهل التوفيق، يحيون هذه الليالي ليحظوا بمدد من التوفيق الإلهي الذي حظي به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنّ الله أمدّهم عندما استغاثوا به فانتصروا على أعدائهم. ونحن كذلك أيّها المسلمون. معنا عدوّ ملازم لنا يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الزهد للبيهقي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ)). ومن أجل أن ينتصر الإنسان على هذا العدوّ يحتاج إلى إمداد ومعونة من الله. فأهل الله السابقين. والأئمّة المتّقين. يحيون هذه الليالي ضارعين إلى ربّ العالمين. أن يرزقهم التوفيق. وأن يمدّهم من بحار

أسرار النّبوّة. ومن أنوار الألوهية. ما به يستطيعون أن ينتصروا في هذه الحياة على أنفسهم بفضل الله. وتوفيق الله. اللهم إنّنا نضرع ونتوسّل إليك. بأكرم الخلق عليك. سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم. وبأصحابه أهل بدر وشهداء أحد. المقرّبين إليك. أن تملّكنا أنفسنا ولا تسلّطها علينا. وأحسِن عاقبتنا في الأمور كلّها. ونجّنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. إنّك على شيء قدير. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا وَأَعِنَّا عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وتَقَبَّلْ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا، يا ذا الجود والإحسان. اللهم واجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

06- إنارة الفكر وشرح الصدر باقتطاف الدُّرَر وأَخْذ الدروس والعبر من غزوة بدر

الحمد لله الكريم المنّان، الرحيم الدائم الإحسان، أنعَمَ على هذه الأمّة المحمّدية في شهر رمضان. بإنزال القرآن. هدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، ونصر نبيَّه وحبيبه سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، فيا له من نَصْر ارتفع به صَرْح الإسلام والإيمان. واندكّ به بنيان الشرك والطغيان، فسبحانه من إله معزّ الإسلام بنَصْره، ومذِلّ الشِّرْك بقَهْره، ومُصَرِّف الأمور بأَمْره، ومُدِيم النِّعَم بشُكْره، ومُسْتَدْرِج الكافرين بمَكْره، الذي قَدَّر الأيّام دُوَلاً بعَدْله، وجعل العاقبة للمتّقِين بفَضْله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمَانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يدافَع. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل أهل بدر في الأرض بدرا. وعَضَد بهم للإسلام عَضُدا. وشدّ له بهم أَزْرا. ولم يعْدِل بَعْدَهم بأهل أُحُد أَحَدا. وجعل الجميع غَوْثا لعباده فما ضِيمَ مَنِ استغاث بهم أبدا. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أقام الله به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد ضلالة، وعلّم به بعد

جهالة، وأعزّ به بعد ذلّة. وجمع به بعد فُرْقة، وأغنى به بعد فاقة. إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره وتفريج كربه. فليكثر من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها ترضي الله وترضيه. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ المحمود. وعلى آله ذوي الكرم والجود. وصحابته الواقفين على الحدود. والموفين بالعهود. صلاة تكفينا بها شرّ كلّ عدوّ وحسود. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المنى والمقصود. وتفتح بها في وجوهنا كلّ باب مغلق ومسدود. وتجعل بها دعاءنا عندك مقبولا غير مردود. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. شاءت المقادير الإلهية أن يكون هذا شهر رمضان شَهْرُ الْفُتُوحَاتِ، وَزَمَنُ الإِنْتِصَارَاتِ، الَّتِي نُصِرَ فِيهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ، وَدُحِرَ فِيهَا أَهْلُ الشِّرْكِ وَالأَوْثَانِ، فَكَانَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ صَوْلاَتٌ قَاهِرَةٌ، وَجَوْلاَتٌ باهِرَةٌ، وَإِنَّ الْمُتَتَبِّعَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ، وَجُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلاَتِ، فِي تَارِيخِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، يَجِدُهَا قَدْ حَدَثَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، وحديثنا اليوم في هذه الخطبة إن شاء الله تعالى عن غزوة بدر، التي سَمَّى الله يومها بيوم الفرقان. التي امتَنَّ الله فيها على المسلمين بالنصر. فقال في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ)). والتي وقعت أحداثها صبيحة يوم الجمعة السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ. من السنة الثانية للهجرة. قال الله تعالى في سورة إبراهيم: ((وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللّهِ)). أيْ أيام مِنَنِه المؤيِّدة، ومَثُلاته المسدِّدة، أيام الذكريات المثبِّتة، التي تعيد للقلب عافيته من سَكْرة ما عَراه، وليست الغاية مجرَّد قصّة تُقَصُّ لتُنْسى، أو وقائع تُرْوى فيُغْفَل عنها بعد ذلك وتُطْوى؛ وإنّما المراد من القصص أَخْذ العِبْرة، يقول ربنا في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)). وقال في سورة هود: ((وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)). أيّها المسلمون. لن نذكر في هذه الخطبة واقع بدر من شقّها السردي أو التاريخي، فهذا أمر مبسوطٌ في كتب السِّيَر والمغازي، ولكن سنحاول أن نقتطف بعض الدُّرَر، ونصطاد بعض العِبَر، التي تصل بنا إلى مقام التّذكّر والذكرى. قال تعالى في سورة الذاريات: ((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ)). والذكرى لابدّ لها من قلب حاضر مع البيّنات، متلقٍّ للعبر والمواعظ والآيات، قلب عند منابع الخيرات قعيد، كما قال تعالى في سورة ق: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)). فأوّل هذه العبر أنّ مِلَل الكفر على تفرّقها واختلافها. وأهل الباطل على تنوّعهم. إذا كان الهدف هو الإسلام

وأهله. تكالبوا عليهم. واتّحدوا ضدّهم. وهذه الحقيقة بيّنها الله في أواخر سورة الأنفال. فقال سبحانه: ((وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير)). وهذه حالهم منذ قام الصراع بين الحق والباطل إلى يومنا هذا، فكفّار اليوم هم أبناء كفّار الأمس، ومنافقو اليوم ورثوا النفاق صاغرا عن صاغر. فموالاة الكفار وأهل الأهواء من أسباب الفتنة في الدين. والإفساد في الأرض. لذلك يجب أن يكون الولاء للمؤمنين. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير)). ومن العبر كذلك. تحقيق الصحابة رضوان الله عليهم في معنى الولاء الكامل لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بأس عندهم أبدا في أن يقدّموا الأرواح في سبيل رفع لا إله إلا الله محمد رسول الله. إنّه صِدْق الإتّباع تنبّئ عنه مواقف هؤلاء الكرام حين استشارهم النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة الخروج لمواجهة الكفار، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلّم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثا، ففهمت الأنصار أنّه يعنيهم. فبادر سيّد الأنصار. سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله: كأنّك تعرض بنا؟ وكان إنّما يعنيهم لأنّهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلمّا عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم. فقال له سعد: لعلّك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقّا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإنّي أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصِلْ حَبْل مَن شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منّا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتَ فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سِرْتَ حتى تبلغ البِرَك من غمدان، لنسيرنّ معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك. وقال له المقداد بن عمرو رضي الله عنه: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك. فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه، فأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسُرّ بما سمع من أصحابه. وقال: ((سيروا وأبشروا، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتَيْن.

وإنّي قد رأيت مصارع القوم)). قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِين لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون)). نعم. إنّه الحب والولاء، وصِدْق والإنتماء. لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمارس دَوْر القائد العسكري، وأخذ يعدِّل الصفوف بقِدْحٍ كان في يده، بعصًا أو سَهْم، وفي هذه الأثناء يحصل مشهد عجيب، ففي أثناء تسويّته للصفوف رأى سَوَاد بن غزيّة رضي الله عنه خارجا عن الصف، فضربه صلى الله عليه وسلم على بطنه قائلا: ((اسْتَوِ يا سَوَاد))، والرسول صلى الله عليه وسلم فعل هذا لأنّ المقام مقام انضباط ونظام. فقال سواد: يا رسول الله، لقد أوجعْتَنِي، فأقِدْني من نفسك، أيْ مَكِّنّي منك أقتصّ منك، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن كشف عن بطنه الشريف: ((اقتصّ يا سواد))، فاعتنقه سواد وهو يبكي ويقبّل بطنه، فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)). قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى من مشاهد الموت، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك الشريف يا رسول الله. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير. أَيُّ حب في قلوب هؤلاء الكبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لم تُنسهم مشاهد الموت حبّهم لحبيبهم صلى الله عليه وسلم، إنّه مشهد عظيم من مشاهد الإلتحام. وهذا مشهد آخَر من مشاهد الحب والإلتحام، وهو درسٌ للخاص والعام، يقول سيّدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إِنِّي لَقَائِمٌ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ غُلامَيْنِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلُعٍ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ, أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ. وَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ تَرَجَّلَ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلانِ عَنْهُ. فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلاهُ. ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: ((أيّكما قتله؟)). فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُه. فقال: ((هل مسحتما سيفكما؟)). فقالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال: ((كلاكما قتله)). والفتَيان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ بن عفراءرضي الله عنهما. إنّها مواقف تنبّئ عن عظمة هذا الجيل، جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الذي تربّى في رياض القرآن، فهذان فتيان صغيران

دفعهما حبهما لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وغيرتهما عليه. فاندفعا لقتل فرعون هذه الأمّة أبي جهل. أيّها المسلمون. ومن دروس وعبر هذه الموقعة المباركة. أنّ العبد مطالب بالأخذ بالأسباب، فإنْ أخذ بها فإنّه مطالب بعد ذلك بالدعاء والتضرّع إلى الله رب الأرباب، فتَرْك الأخذ بالأسباب بابٌ فيه إغفال لجانب الإعداد، والإستعلاء عن الدعاء فيه قَطْع لخيط الإمداد، وكلاهما دليل انطماس البصيرة، فالدعاء من أقوى أسلحة المؤمن في مواجهة مكر الأعداء وكيدهم وعدوانهم. وهذا ظاهر في مناشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه والتضرّع إليه. فقد بات صلوات ربي وسلامه عليه ليلة المعركة وهو الموصول بالله. يصلي ويتضرّع، ويبكي، ويناجي ربه، يدعو ويبتهل ويقول: ((اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها، تحادّك وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتَّني، اللهم فأَحْنِهم الغداة. اللهم إنْ تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)). حتى أشفق عليه الصديق رضي الله عنه قائلا: هوّن عليك يا رسول الله، فإنّ الله سينجز لك ما وعدك. فاستجاب الله لنبيّه. وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأفق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)). ومن العبر كذلك من هذه الموقعة. معرفة أهميّة ذِكْر الله في حالة مواجهة الأعداء، وهذا واضح في ذِكْر صفات المؤمنين الكمّل، والمجاهدين الخلّص، وَسَط هذه الآيات التي تخبر عن غزوة بدر، وأوّل صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنفال: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)). وأوضح من ذلك قوله تعالى في نفس السورة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون)). وبهذا نفهم حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وابن ماجه والإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في المسند. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ

وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)). أيّها المسلمون. إنّ الشّرف الذي ناله أهل بدر رضي الله عنهم. لم ينله أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ. أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: ((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا})). وروى ابن أبي شيبة في مصنّفه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ:"مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ " أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: ((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:فَمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا})). وأمّا خواصّ أسمائهم فقد قال ابن برهان الدين الحلبي في سيرته: وذكر الإمام الدّوّاني أنّه سمِع من مشايخ الحديث أنّ الدعاء عند ذكرهم يعني أصحاب بدر مستجاب، وقد جُرِّب ذلك. وذكر الإمام جعفر البرزنجي في كتابه (جالية الكُرَب بأصحاب سيّد العجم والعرب). قال: قال الشيخ عبد اللطيف في رسالته: وذكر بعضهم أنّ كثيرا من الأولياء أُعطوا الولاية ببركة أسمائهم. وأنّ كثيرا من المرضى سألوا الله بهم شفاء أسقامهم. فشُفوا من ذلك. رضي الله عنهم وأرضاهم، ورزقنا حبهم، وأقامنا على نهجهم وطريقتهم. ونفعنا ببركاتهم. اللهم يا حيّ يا قيّوم.

نتوجّه إليك بجمعنا لأمّة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأنت أعلم بأحوالهم وما نزل بهم، فيا حيّ يا قيّوم فرِّج كروبهم، وأصلح قلوبهم، يا حي يا قيوم اجمع على الهدى شملهم، وألِّف ذات بينهم، يا حيّ يا قيّوم أكشف الشدائد عنهم، وحوِّل حالهم إلى أحسن الأحوال، وأظهر بينهم راية حبيبك سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وارزقهم نَصْرها، اللهم اشف مرضاهم، وعاف مبتلاهم. وفكّ أسراهم، واخذل أعداءهم، اللهم يا حيّ يا قيّوم نسألك فرجك القريب، وغياثك العاجل، ونصرك العزيز، وفتحك المبين، ببركة ووجاهة عبدك وحبيبك الأمين. المصطفى سيّدنا محمد سيّد المرسلين، صلى الله عليه وسلم. وأهل كسائه علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين، وسائر أبنائه وبناته وذرّيّته، وأهل بيته الطاهرين، وخديجة الكبرى. وعائشة الرِّضى، وأُمّهات المؤمنين، والخلفاء الراشدين، وأهل بدر وأُحُد وبيعة الرضوان، وجميع الصحب الأكرمين، وأهل حضرته من النبيّين والمرسلين. والملائكة المقرَّبين، وجميع عباد الله الصالحين، وصلِّ وسلِّم عليه وعليهم أجمعين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

07- التأييد والنصر لحبيب الله الأفخر في غزوة بدر وفتح مكة الأكبر

الحمد للهِ الكريمِ المنّان. الذي أقام لأهل الإسلام مدرسةَ شهرِ رمضان، لتكون سُلَّماً لهم إلى مراتبِ القُرب والتَّدان، وإعدادًا ليكون الصائم والقائم جنديًّا من جنودِ الرحمن؛ فسبحانه من إله اختصّ شهر رمضان الأغر، بعظيمٍ من فضله الأوفر، ليلة السابع عشر، أبدى صبيحتها عَلَمُ نصرِه المؤزَّر، وتأييده الأكبر، لحبيبه الأشهر، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك يومَ بدر. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، أنعَمَ على هذه الأمّة المحمّدية في شهر رمضان. بإنزال القرآن. هدًى للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، وأعزّ نبيَّه وحبيبه سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفتح مكة وتطهيرها من الشرك والأوثان، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. قائد الغرّ المحجّلين. وسيّد الشهداء والمجاهدين. المنصورُ بالملائِكةِ المنزَلين، الذي فرّق الله به بين الحق

والباطل. فأقام به دولة الحق وهدم به دولة الباطل. وكان هو الحق الذي قال فيه الله كما في سورة الإسراء: ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)). فأقام الله به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد الضلالة، وعلّم به بعد الجهالة، وأعزّ به بعد الذلّة. وجمع به بعد الفُرقة، وأغنى به بعد الفاقة.

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الحبيب الأفخر، ذي الجبين الأزهر، وعلى آله وأهل بيته المطهَّر، وأصحابه الكرام ممن هاجر ونصر، خصوصاً مَن ببدرٍ حضر، ومن تبعهم على أقوم السِّيَر، إلى يوم المحشر، صلاة يتصفَّى بها القلب ويتطهَّر، ويستضيء ويتنوَّر، ويَصلح بها شأن الأمّة ويُعمَر، وتُكفى كلَّ شرّ، ويُجلى الرّان وينزاح الكَدَر، وتعلو راية الحق وتُنْصَر، ويُقْمَع مَن طغى وكفر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. في تجديد الذكريات تجد النفوس سُلْوتها، وتستذكر الأجيال تأريخها، وتأنس القلوب وهي تعيد النظر كَرّةً بعد أخرى في سِيَر أمجادها وسِجّلات أبطالها، وتعظم هذه الذكريات وتزهو حين تكون ذكريات نصْرٍ وخيرٍ وفداءٍ وبطولة، يُتوّجُها شرف الزمان والرجال. فالزمان: شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان. والرجال: سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام من المهاجرين والأنصار. رضي الله عنهم وأرضاهم. خير القرون، وأزكى الأمم، وأبرُّ الأجيال. أيّها المسلمون. كم هو جدير بنا ونحن نعيش هذه الأيام المباركة من شهر رمضان المبارك. أن تستلهم من تأريخها الدروس والعبر فيما عاشه المصطفى صلى الله عليه وسلم، من رمضانات كانت تُبعَث فيها السرايا، وتُجهَّز الجيوش وتُخاض المعارك، فَرَمَضَانَ لم يَكُنْ لَدَى أُمَّةِ الإسلامِ في يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ شَهرَ كَسَلٍ وَلا مَوسِمَ بَطَالَةٍ، وَلا عَرَفَ الأَسلافُ فِيهِ الخُمُولَ وَلا الضَّعفَ وَلا الوَهْنَ، وَلا استَسلَمُوا فِيهِ وَلا استَكَانُوا، ذَلِكُم أَنَّ هَذَا الشَّهرَ الكَرِيمَ كَانَ مَولِدَ الإسلامِ وَمَشرِقَ نُورِهِ، وَفِيهِ بَعَثَ اللهُ نبيَّه سيّدَنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلِيُخرِجَ بِهِ النَّاسَ مِن ظُلُمَاتِ الشِّركِ وَأَسرِ

الهَوَى، إلى نُورِ الإيمَانِ وَسَعَةِ الهُدَى. وَيَشهَدُ التَّارِيخُ الإسلامِيُّ المَجِيدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المَعَارِكِ الفَاصِلَةِ الَّتي انتَصَرَ فِيهَا المُسلِمُونَ عَلَى أَعدَائِهِم، وَأَنَّ عَدَدًا مِن تِلكَ الفُتُوحِ الَّتي فَرَّقَت بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَنَّ تَحطِيمَ أَكبَرِ الأَصنَامِ وَإِرغَامَ أُنُوفِ أَلَدِّ الأَعدَاءِ، كَانَ في شَهرِ رَمَضَانَ، في رَمَضَانَ غزوةُ بدرٍ الكبرى. التي سمّاها القرآن يَومَ الفُرقَانِ، يَومَ التَقَى الجَمعَانِ، ثَلاثُمِائَةٍ وَبِضعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنَ المُوَحِّدِينَ الصَّابِرِينَ، يَهزِمُونَ أَلفًا مِنَ المُشرِكِينَ بِإِذنِ اللهِ، لِيَثبُتَ أَنَّ النَّصرَ لَيسَ بِالعَدَدِ الكَثِيرِ وَلا بِالسِّلاحِ الوَفِيرِ، وَلَكِنَّهُ ثَمَرَةُ إخلاصٍ مَقرُونٍ بِجَمِيلِ تَوَكُّلٍ عَلَى اللهِ وَصِدقِ التِجَاءٍ إِلَيهِ، وَفي رَمَضَانَ جَاءَ نَصرُ اللهِ وَكَانَ فَتحُ مَكَّةَ، فَجَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، وَتَهَاوَت أَنصَابُ الشِّركِ وَطُهِّرَ البَيتُ الحَرَامُ مِنَ الرِّجسِ، وَفي رَمَضَانَ رَجَعَ المُسلِمُونَ مِن غَزوَةِ تَبُوكَ بَعدَ مَوَاقِفِ بَذلٍ وَمَقَامَاتِ صِدقٍ رَائِعَةٍ، وَفِيهِ دَخَلَ المُسلِمُونَ الأَندَلُسَ لِيُقِيمُوا فِيهَا الإسلامَ أَكثَرَ مِن ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ، وَفي رَمَضَانَ فُتِحَت عَمُّورِيَّةَ استِجَابَةً لِصَرخَةِ امرَأَةٍ مَكلُومَةٍ، وَفِيهِ استُرِدَّ بَيتُ المَقدِسِ في مَعرَكَةِ حِطِّينَ بَعدَ تَدنِيسٍ نَصرَانِيٍّ دَامَ زُهَاءَ تِسعِينَ عَامًا، وَفي رَمَضَانَ انتَصَرَ المُسلِمُونَ عَلَى التَّتَارِ في مَعرَكَةِ عَينِ جَالُوتَ، وَفي رَمَضَانَ كَانَ فَتحُ القِسطَنطِينِيَّةِ عَلَى يَدِ مُحَمَّدِ الفَاتِحِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى. وَللهِ في تَقدِيرِ كُلِّ تِلكَ الانتِصَارَاتِ وَالفُتُوحَاتِ الحِكمَةُ البَالِغَةُ، وَإِنَّهَا لإِشَارَاتٌ بَالِغَةٌ وَدُرُوسٌ لِلمُسلِمِينَ عَظِيمَةٌ، تَبقَى مُعتَبَرًا في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَفي كُلِّ عَصرٍ وَمِصرٍ، تَفهَمُهَا الأَجيَالُ لاحِقًا بَعدَ سَابِقٍ، وتَستَلهِمُهَا النُّفُوسُ خَلَفًا بَعدَ سَلَفٍ، لِيُوقِنَ المُسلِمُونَ أَنَّ شَهرَهُم شَهرُ جِدٍّ لا شَهرَ كَسَلٍ، وَشَهرُ عَطَاءٍ وَإِقدَامٍ لا شَهرَ بخلٍ وَنُكُوصٍ، وَشَهرُ انتِصَارٍ وَعِزٍّ لا شَهرَ هَزِيمَةٍ وَذُلٍّ، وَشَهرُ وُضُوحٍ وَفُرقَانٍ لا شَهرَ مُصَانَعَةٍ وإدهَانٍ، فَلا يَذِلُّوا وَلا يُدَاهِنُوا، وَلا يَنهَزِمُوا أَمَامَ أَيِّ عَدُوٍّ وَلا يَقِفَ أَمَامَهُم أَيُّ صَنَمٍ، سَوَاءً هَوَى نَفسٍ كَانَ أَو دَاعِيَ شَهوَةٍ، أَو عَادَةً شَخصِيَّةً أَو عُرفًا اجتِمَاعِيًّا، أَو قُوَّةً مَادِّيَّةً بَاهِرَةً، أَو تَقَدُّمًا حَضَارِيًّا سَاحِرًا، أَو دِعَايَاتٍ إِعلامِيَّةً مُضَلِّلَةً، أَو مَشَاهِدَ تَمثِيلِيَّةً فَاتِنَةً. أَيُّهَا المُسلِمُونَ. حسبُنا أن نقفَ وقفاتٍ سريعة مع بعض أحداث انتصاريْن من انتصارات شهر رمضان. وهما غزوة بدر الكبرى وفتح مكة. فأمّا وقائع أحداث غزوة بدر الكبرى فكانت في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان المبارك من العام الثاني للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. وحديث الغزوة حديث طويل لا تَملّه النفوس المؤمنة، ولكنّنا نجتزئُ بعض أحداثها المهمّة. فنقول: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج أبي سفيان من الشام إلى مكة في عِير

قريش. وهم الذين صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن سبيل الله. وهم الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ديارهم وأموالهم. فبدؤوا بالظلم على المسلمين. فندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى تلك العِير. قائلاً: ((هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعلّ الله أن يغنمكموها)). فخرجوا في رمضان من السنة الثانية للهجرة، خرجوا أذلّة في ضَعف من العُدّة. وقلّة من العدد. لم يخرجوا لقتال وإنّما خرجوا للعِير؛ ولهذا ليس معهم سوى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيرًا يعتقبونها وفَرَسَان اثنان فقط؛ لأنّهم لا يريدون عدوّهم. ولكنّ الله جمع بينهم وبين عدوّهم بحكمته على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِين لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون)). وقال أيضا في سورة الأنفال: ((إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). أَيُّهَا المُسلِمُونَ. ثم إنّ أبا سفيان لَمَّا علِمَ بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى العِير بعث صارخًا إلى أهل مكة يستنجدهم ليمنعوا عيرَهم. فخرجوا من ديارهم قريبًا من ألف مقاتل، خرجوا كما وصَفَهم الله تعالى في سورة الأنفال: ((خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). يقول قائلهم: واللهِ لا نرجع حتى نقدم بدرًا ونقيم فيها ثلاثًا. ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا. قالوا ذلك لِمَا عندهم من البطر والخُيَلاء، قالوا ذلك ولكنّ الله ((بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأنصاره رقيب حفيظ، وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأفق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)). فقيَّض الله عزَّ وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أسباب النصر ما به انتصروا. ولأعدائه كسروا، فقتلوا من صناديد قريش فريقًا وفريقًا أسروا. وألقى جثثهم في قليب بدر. ثم وقف عليهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يقول: يا فلان ابن فلان، أيَسُرُّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله؛ فإنّا قد وجدنا ما وعَدَنا ربنا حقًّا. فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، كيف تكلّمهم وهم جِيَف؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: واللهِ ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم، ثم رجع فَلُّ قريش إلى ديارهم مهزومين مَوْتُورين خائبين ذليلين، ((فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ. وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ شهر رَمَضَانَ المبارك سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. فتح الله مكة البلد الأمين على يد خليله ونبيّه أفضل النبيّين. سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين. وطهَّرها بذلك من الأصنام والمشركين، فصارت ولله الحمد بلاد إسلام وإيمان. بعد أن كانت بلاد كفر وأوثان، ودخل الناس بسبب الفتح في دين الله أفواجًا. وأشرقت الأرض بهذا الفتح ضياءً وابتهاجًا. فإنّ قريشًا لَمّا نقضت الصلح الذي بينها وبين النبي صلى الله عليه وسلم والذي جرى في الحديبية في السنة السادسة للهجرة. خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة يريد غزوهم؛ لأنّهم نقضوا الصلح، وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها))، فأعمى الله الأخبار عن قريش حتى وصلهم النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، فدخل صلوات الله وسلامه عليه مؤزَّرًا منصورًا ظافرًا فاتِحًا، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة صبيحة يوم الجمعة في عشرين من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة. ولم يكن صلى الله عليه وسلم حين دخوله أَشِرًا ولا بطرًا، لم يُعْزَف بين يديه بآلات اللهو. ولم تغنِّه القِيان. بل كان صلى الله عليه وسلم خاضعًا لله. مطأطئًا رأسه حتى إن جبهته لتكاد تمسّ رحلَه. تعظيمًا لله عزَّ وجل، ورُكِزت رايته بالحجون ثم نهض صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فطاف بالبيت وكان على البيت وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بقوس في يده ويقول: ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))، فلمّا أكمل طوافه دخل الكعبة فرأى فيها الصُّوَر فأمر بها فمُحِيَت. ثم أخذ

بباب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ما يصنع. فأعلن كلمة التوحيد، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدَق وعدَه، ونصرَ عبده، وهزَم الأحزاب وحدَه))، ثم قال: ((يا معشر قريش، ما تَرَوْن أني فاعل بكم؟)). قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: ((فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ((لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ))، اذهبوا فأنتم الطلقاء)). فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح:((هذا ما وعدني ربي))، ثم قرأ: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ * بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ

وَأَطَاعَتْ لأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ * بَاءُ والْجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ

وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيـ*ـــرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ

وَإِذَا مَا تَلاَ كِتَاباً مِنَ اللهِ * تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ

كما أشار إلى بعض أحداث قصّة فتح مكة. الإمام البوصيري أيضا في همزيته بقوله:

صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ * مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمُ وَالدَّهَاءُ

فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الحَرْبِ تَخْـ*ـتَالُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَغَى خُيَلاَءُ

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنا فَقَوَافِي * الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الإِيطَاءُ

وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعاً * ظُنَّ أَنَّ الغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ

أَحْجَمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُونُ وَأَكْدَى * عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ

وَدَهَتْ أَوْجُهاً بِهَا وَبُيُوتاً * مُلَّ مِنْهَا الإِكْفَاءُ وَالإِقْوَاءُ

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ والْعَفْـ*ـــوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْضَاءُ

نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى التِي مِنْ قُرَيْشٍ * قَطَعَتْهَا التِّراثُ وَالشَّحْنَاءُ

فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنَغِّصْ*ـــــهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ

وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُـــــ*ـــــهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقْصَاءُ

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ * مِنْ سِوَاهُ الْمَلاَمُ وَالإِطْرَاءُ

وَلَوَ اَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفـــ*ـــسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

قَامَ للهِ فِي الأُمُورَ فَأَرْضَى * اللهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ

فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـــ*ـــضَحُ إِلاَّ بِمَا حَوَاهُ الإِنَاءُ

أَيُّهَا المُسلِمُونَ. إنّ احتفائنا بذكرى غزوة بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان. وفتح مكة في العشرين من رمضان، إنّما هو طمع في فضل الله ومدده. لذلك حَرِص سلفنا الصالح رضي الله عنهم على إحيائهما في طاعة الله. ضارعين إلى ربّ العالمين. أن يرزقهم التوفيق والإعانة ما به يستطيعون أن ينتصروا في هذه الحياة على أنفسهم بفضل الله وتوفيقه. ولِيحظَوْا بمدد من التوفيق الإلهي الذي حظيَ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنّ الله أمدّهم بنصره عندما استغاثوا به. فنصرهم على أعدائهم. واعلموا رحمكم الله أنّنا بعد أيام نستقبل العشر الآواخر من شهر رمضان. وهي منْ أفضلِ أيّامِ هذا الشّهرِ وأعظمِهَا، حيث تكثر فيها البركات. وتضاعف الحسنات. وتتنزّل الرحمات. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظّم هذه الأيّام ويعرف قدرها. فعَنِ السيّدةِ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. رواه البخاري. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْهَا رضيَ اللهُ عنهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا وَأَعِنَّا عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْفَوْزِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالرِّضْوَانِ، وتَقَبَّلْ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا يا ذا الجود والإحسان. اللهم واجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. اللهم يا حيّ يا قيّوم. نتوجّه إليك بجمعنا لأمّة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأنت أعلم بأحوالهم وما نزل بهم، فيا حيّ يا قيّوم فرّج كروبهم، وأصلح قلوبهم، يا حي يا قيوم اجمع على الهدى شملهم، وألِّف ذات بينهم،

يا حيّ يا قيّوم أكشف الشدائد عنهم، وحوّل حالهم إلى أحسن الأحوال، وأظهر بينهم راية حبيبك سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وارزقهم نَصْرها، اللهم اشف مرضاهم، وعاف مبتلاهم. وفكّ أسراهم، واخذل أعداءهم، اللهم يا حيّ يا قيّوم نسألك فرجك القريب، وغياثك العاجل، ونصرك العزيز، وفتحك المبين، اللهم ياحي ياقيوم أنظر إلينا، وإلى آبائنا وأمهاتنا، وذرياتنا وقراباتنا، ومشائخنا وذوى الحقوق علينا، وأهل موّدتنا، اللهم أنظر إلينا بما نظرت به إلى ساداتنا أهل بدر الأكرمين، برحمتك يا أرحم الراحمين. واحشرنا في زمرتهم، وأسعدنا بمرافقتهم، في زمرة عبدك المصطفى، ونبيك المجتبى، وشفيعك المبتغى، وحبيبك المنتقى، سيد أهل الأرض وسيد أهل السماء. سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ببركة ووجاهة عبدك وحبيبك الأمين. سيّدنا محمد سيّد المرسلين، صلى الله عليه وسلم. وأهل كسائه علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين، وسائر أبنائه وبناته وذرّيّته، وأهل بيته الطاهرين، وخديجة الكبرى. وعائشة الرّضى، وأُمّهات المؤمنين، والخلفاء الراشدين، وأهل بدر وأُحُد وبيعة الرضوان، وجميع الصحب الأكرمين، وأهل حضرته من النبيّين والمرسلين. والملائكة المقرَّبين، وجميع عباد الله الصالحين، وصلِّ وسلِّم عليه وعليهم أجمعين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

08- الذكرى بغزوة بدر الكبرى وفضل أهلها الفائزين بالبُشرى وذِكْر فتح مكة أمّ القرى

الحمدُ لله المتفضّل بالجود والإحسان، المنعِم على عباده بنِعم لا يحصيها العدُّ والحسبان، أنعَمَ على هذه الأمّة المحمّدية في شهر رمضان. بإنزال القرآن. هدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، ونصر نبيَّه وحبيبه سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، وأعزّه بفتح مكة أمّ القرى. وتطهيرها من الشرك والأوثان، فيا له من عزٍّ ارتفع به صرْح الإسلام. واندكّ به بنيان الشرك والطغيان، فسبحانه من إله أيّد رُسُله والصالحين من عباده بالنّصر والفتح

المبين، ليُظْهِر الحقّ ويُزْهِق الباطل ويَقْطَع دابر الكافرين. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. صلّى الله عليه وسلّم. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يتشرّف بعلمه في الدارين ويفتخرْ. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. ابتعثه الله تعالى وقد طغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها. وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبّارها. فقاومهم وجاهدهم إلى أن زكّى أنفسهم من أشرارها. وتركهم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها.

يا أمّة الهادي المبارَك أحمدِ * بمحمّدٍ فزتم بإدراك المنى

وإذا أردتم أنْ يكون عظيما * صلّوا عليه وسلِّموا تسليما

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. المبعوث بالهدى والرحمة بشيرا ونذيرا، وداعيّا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وعلى آله الطّيّبين المُطهَّرين مِنَ الرّجس تطهيرا. وعلى صحابته الباذلين أنفسهم في سبيل مرضاته. فنالوا بذلك عزّا كبيرا.

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ * مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً * فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُباً * مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ * فَتَحْسبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ * إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

اللهمّ أنفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولاعن طريقتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العَطِرة. وآثاره الجميلة الجليلة النَّضِرة. أُسوة للمؤمنين. وقدوة للأخيار والصالحين. سيرة مُلئت علمًا وحِكْمة وإيمانًا، وثباتًا وصبرًا وإيقانًا، وحلمًا ورحمة وإحسانًا، لقد بعث الله رسوله بالحكمة والموعظة الحسنة، فآمن به من آمن، وأعرض عن دعوته قوم غلاظ القلوب، لم يهتدوا بنور الإسلام، ولم يقبلوا دين الله، ولكنّهم عمدوا إلى إيذائه وإيذاء المسلمين مِنْ حوْله، حتّى أذن الله للنّبيّ صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالهجرة

إلى المدينة المنوّرة، فخرج مهاجرا، فكانت الهجرة توحيدا لصفوف المسلمين، وتمكينا لعلاقة الأنصار بالمهاجرين. ليحرّر مكّة من رجس المشركين، ويطهّر بيت الله للطّائفين والعاكفين. وشاءت المقادير الإلهية أن يكون هذا الشهر الكريم. شَهْرُ الْفُتُوحَاتِ، وَزَمَنُ الإِنْتِصَارَاتِ، الَّتِي نُصِرَ فِيهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ، وَدُحِرَ فِيهَا أَهْلُ الشِّرْكِ وَالأَوْثَانِ، فَكَانَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ صَوْلاَتٌ قَاهِرَةٌ، وَجَوْلاَتٌ باهِرَةٌ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصف هذا الشهر بقوله في خطبته: ((يَا أَيُّها النَّاسُ. قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ))، فهو عظيم لما فيه من هذه الأحداث العظيمة. التي أكسبت المسلمين مجدا خالدا وعزّة قعساء، وهو مبارك لما نتج من هذه الأحداث العظيمة من خير وبركة، عمّت المسلمين بل العالَمَ كلّه. فَفِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ. من السنة الثانية للهجرة النبوية. كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، والتي سَمَّى الله يومها يوم الفرقان يوم التقى الجَمْعان، يومٌ أعزّ الله فيه جُنْده. ونصر فيه عَبْده. وأذلّ فيه مَنْ عاداه. ورفع المنار لِمَنْ والاه، حيث نصر الله في هذه الغزوة عساكر الإيمان وجنود الرحمن، وأذلّ فيها جنود الشيطان وأنصار الشرك والطغيان، فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). وحقّق الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين النّصر على عدوّهم. رغم قلّة عددهم وعُدَّتهم، وأيّدهم سبحانه بجنود مِنْ عنده. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوَّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). ويَقُولُ سبحانه في سورة الأنفال: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)). أيّها المسلمون. إنّ الشّرف والرِّفْعة التي نالها أهل بدر رضي الله عنهم. لم ينله أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم. فأيّ شرف أعظم من قوله عليه الصلاة والسلام في حقّهم: ((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). رواه إبن أبي شيبة في مصنّفه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ:"مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ " أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). وفي صحيح ابن حبّان عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: ((لاَ يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا، وَالْحُدَيْبِيَةَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:فَمَهْ {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا})). وأمّا خواصّ أسمائهم فقد قال ابن برهان الدين الحلبي في سيرته: وذكر الإمام الدّوّاني أنّه سمِع من مشايخ الحديث أنّ الدعاء عند ذكرهم يعني أصحاب بدر مستجاب، وقد جُرِّب ذلك. وذكر الإمام جعفر البرزنجي في كتابه (جالية الكُرَب بأصحاب سيّد العجم والعرب). قال: قال الشيخ عبد اللطيف في رسالته: وذكر بعضهم أنّ كثيرا من الأولياء أُعطوا الولاية ببركة أسمائهم. وأنّ كثيرا من المرضى سألوا الله بهم شفاء أسقامهم. فشُفوا من ذلك. رضي الله عنهم أجمعين. ونفعنا ببركاتهم آمين. أيّها المسلمون. وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ المكرّمة، فقد مَنَّ الله تعالى على الأمّة الإسلامية جمعاء. ففتح بيته لنبيّه، وطهّره من أَوْضار الشرك. ولَوْثات الكفر. ومظاهر الظلم والإستكبار، وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجَوْزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ((هذا ما وعدني ربي))، ثم قرأ: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ * بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ

وَأَطَاعَتْ لأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ * بَاءُ والْجَاهِلِيَّةُ الجَهْلاَءُ

وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيَةُ الْكُبْـ*ـرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ

وَإِذَا مَا تَلاَ كِتَاباً مِنَ اللهِ * تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ

كما أشار إلى بعض أحداث قصّة فتح مكة. الإمام البوصيري أيضا في همزيته بقوله:

صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ * مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمُ وَالدَّهَاءُ

فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الحَرْبِ تَخْـ*ـتَالُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَغَى خُيَلاَءُ

قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنا فَقَوَافِي * الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الإِيطَاءُ

وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعاً * ظُنَّ أَنَّ الغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ

أَحْجَمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُونُ وَأَكْدَى * عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ

وَدَهَتْ أَوْجُهاً بِهَا وَبُيُوتاً * مُلَّ مِنْهَا الإِكْفَاءُ وَالإِقْوَاءُ

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ والْعَفْـ*ـوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْضَاءُ

نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى التِي مِنْ قُرَيْشٍ * قَطَعَتْهَا التِّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ

فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنَغِّصْـ*ـهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ

وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلـ*ـهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقْصَاءُ

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ * مِنْ سِوَاهُ الْمَلاَمُ وَالإِطْرَاءُ

وَلَوَ اَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفـ*ـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

قَامَ للهِ فِي الأُمُورَ فَأَرْضَى * اللهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ

فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـ*ـضَحُ إِلاَّ بِمَا حَوَاهُ الإِنَاءُ

أيّها المسلمون. ونحن نحتفي هذه الأيام بذكرى غزوة بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان. وفتح مكة في العشرين من رمضان، طمعا في فضل الله ومدده.

لأنّهما من الليالي التي اختصّها الله عزّ وجلّ بالفضل. ولذلك فقد حَرِص سلفنا الصالح رضي الله عنهم على إحيائهما في طاعة الله تعالى. لأنّهما من ليالي النصر. والفرح بإعزاز الحقّ. وكذلك لأنّهما من الليالي التي تجلّى فيها الله تعالى لحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم. ولأصحابه من المهاجرين والأنصار. فأعزّهم وأيّدهم وأمدّهم ووفّقهم. فأهل التوفيق، من أهل الله السابقين. والأئمّة المتّقين. يحيون هذه الليالي ضارعين إلى ربّ العالمين. أن يرزقهم التوفيق. وأن يمدّهم من بحار أسرار النّبوّة. ومن أنوار الألوهية. ما به يستطيعون أن ينتصروا في هذه الحياة على أنفسهم بفضل الله. وتوفيقٍ مِنَ الله. يُحْيون هذه الليالي ليحظَوْا بمدد من التوفيق الإلهي الذي حظيَ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنّ الله أمدّهم بنصره عندما استغاثوا به. نصرهم على أعدائهم.

يا ربّنا بجاه أهل بدرٍ * الفائزين بالرضى والبِرّ

يا ربّنا بجاههم لا تخزنا * دنيا وأخرى وبخيرٍ فاجزنا

يا ربنا أصلحْ لنا دنيانا * ودِينَنا يا رب معْ أُخرانا

وارحم شيوخنا ووالدينا * وهب لنا وهم رضاك عنّا

وجُد علينا ولهم بالنورِ * يا ربنا في ظُلمةِ القبورِ

بجاه سيّد الورى العدناني * صلّى عليه الله ذو الإحسانِ

يا ربّنا بحقّ ذي العصابهْ * أتِح لنا التوفيق والإصابهْ

ومُدّنا بسرّك الخفيّ * مؤيّدا بروحك الحفيّ

وهب لنا معرفة سَنِيّهْ * وحالةً كاملةً سُنِّيّهْ

واغسل قلوبنا من الرذائلْ * وحَلِّها بجملة الفضائلْ

واسلُك بنا مسالك الأخيارِ * في ظاهر وباطن يا بارِي

وكن لنا جارًا من الأهوالِ * وغلباتِ الدّهرِ والرّجالِ

ومَنْ بغى ورامنا فانبذهُ * عنّا وإن لم يرتجِع فخذهُ

أنت لنا يا رب نِعْم الجارُ * وشتّت الأعداء حيث صاروا

واختِم لنا يا ربّنا بالحسنَى * واجعل مآلنا المقرّ الأسنى

وأعطنا أفضلَ ما سألنا * ولا تؤاخذنا بما فعلنا

بجاه خير الخلق أحمد الأمينْ * وآله وصحبه المكرَّمينْ

صلّى عليه ربّنا وسلَّمَ * صلاةَ عبدٍ ارتضاها سُلَّما

لربّه وراجيًا حُسْنَ الختامْ * بذكره وقائلا عند التمامْ

آخِرُ دعوانا جميعَ المسلمينْ * الحمد لِلْإِلَهِ ربِّ العالمينْ

آمينَ يا آمينَ آمينَ آمينْ * مُكرَّرا آلافَ أَلْفٍ كلَّ حينْ اهـ

09- التّنبيه والذِّكر لأيّام الفتح والنّصر والإجتهاد في الأواخر العشر

الحمد لله الذي أيّد رُسُله والصالحين من عباده بالنّصر والفتح المبين، ليُظْهِر الحقّ ويُزْهِق الباطل ويَقْطَع دابر الكافرين. نصر نبيَّه وحبيبه سيّدنا ومولانا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، وأعزّه بفتح مكة وتطهيرها من الشرك والأوثان، فسبحانه من إله معزّ الإسلام بنَصْره، ومذِلّ الشِّرْك بقَهْره، ومُصَرِّف الأمور بأَمْره، ومُدِيم النِّعَم بشُكْره، ومُسْتَدْرِج الكافرين بمَكْره، الذي قَدَّر الأيّام دُوَلاً بعَدْله، وجعل العاقبة للمتّقِين بفَضْله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمَانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يدافَع. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. الكريم المنان، الرحيم الدائم الإحسان، أكرم المسلمين بشهر رمضان، وفتح لهم به من فرص المغفرة ما يعجز عن عَدِّه اللسان، نحمده تعالى أنْ أكْرَمَنَا بِبُلُوغِ العَشْرِ الأواخِرِ مِنْ شهر الصّيام، وَزَيَّنَهَا بِلَيلَة القدر التي هِيَ خَيرُ لَيالِي العَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصَفيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، خَيْرُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَقَامَ للهِ حَقَّ القِيَامِ،لَمْ يَزَلْ لِرَبِّهِ عَابِدًا وَقَانِتًا مُغتَنِمًا لِلأجْرِ، رَاجِيًا

مِنْ رَبِّهِ المَثُوبَةَ وَالفَضلَ، كانَ يحتَفِي بالْعَشْرِ الأَوَاخِرِ من رمضان أيّ احتفاء، ويضاعِفُ فيهَا العبادةَ والجودَ والعطاءَ،

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. عيْنِ أعيان القُرْب والوِصال. وصفْوَةِ الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وسيْفِ الحقّ الماحي بنور شريعته آثار الكفر والضلال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرفِ آل. وعلى صحابته نجوم الهداية وحسنات الأيّام والليال. صلاة توفّقنا بها لصِدْق النّيّة وصالح الأعمال. وتُصلِح بها منّا الأقوال والأفعال. وتجعلنا بها من الآمنين المطمئنّين يوم العَرْض والسؤال. يا مَنْ إليه المفْزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ شهر رمضان شهر عظيم، شهر مبارك، شهر أشاد الرسول صلى الله عليه وسلم بفضله، ونوّه بمكانته عند الله سبحانه وتعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ))، شهر البذل والعطاء، شهر التضحية والفداء، شهر الجِدّ والإجتهاد، شهر النصر والجهاد، شهر حافل بكثير من الأحداث التاريخية الهامّة التي كان فيها للمسلمين أثر محمود وجهاد مرير، في هذا الشهر المبارك وقعت أحداث عظيمة في تاريخ المسلمين وجهادهم ونضالهم في سبيل الحق ونصرة الدين، لقد كان فيه غزوة بدر الكبرى، وكان فيه الفتح الأعظم فتح مكة المكرمة، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وكان فيه أكبر نعمة على المؤمنين، نزول القرآن الكريم، دستور المسلمين الخالد الذي ((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ))، إلى غير ذلك من الأحداث التاريخية الهامّة التي سجّلت للمسلمين تاريخا ناصعا مشرقا، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصف هذا الشهر بقوله: ((أظلّكم شهر عظيم مبارك))، فهو عظيم لما فيه من هذه الأحداث العظيمة التي أكسبت المسلمين مجدا خالدا وعزة قعساء، وهو مبارك لما نتج من هذه الأحداث العظيمة من خير وبركة، عمّت المسلمين بل العالم كله. أيّها المسلمون. فَفِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ. من

السنة الثانية للهجرة النبوية. كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، والتي سَمَّى الله يومها يوم الفرقان يوم التقى الجَمْعان، يومٌ أعزّ الله فيه جُنْده. ونصر فيه عَبْده. وأذلّ فيه مَنْ عاداه. ورفع المنار لِمَنْ والاه، حيث نصر الله في هذه الغزوة عساكر الإيمان وجنود الرحمن، وأذلّ فيها جنود الشيطان وأنصار الشرك والطغيان، فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). وحقّق الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين النّصر على عدوّهم. رغم قلّة عددهم وعُدَّتهم، وأيّدهم سبحانه بجنود مِنْ عنده. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). ويَقُولُ سبحانه في سورة الأنفال: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)). فقيَّض الله عزَّ وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أسباب النصر ما به انتصروا. ولأعدائه ما به خسؤوا وانكسروا، فقتلوا من صناديد قريش فريقًا وفريقًا أسروا. وألقى جثثهم في قليب بدر. ((فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)). أيّها المسلمون. وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ المكرّمة، فقد مَنَّ الله تعالى على الأمّة الإسلامية جمعاء. ففتح بيته لنبيّه، وطهّره من أَوْضار الشرك. ولَوْثات الكفر. ومظاهر الظلم والإستكبار، وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجَوْزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، فإنّ قريشًا لَمّا نقضت الصلح الذي بينها

وبين النبي صلى الله عليه وسلم والذي جرى في الحديبية في السنة السادسة للهجرة. خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة يريد غزوهم؛ لأنّهم نقضوا الصلح، وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها))، فأعمى الله الأخبار عن قريش حتى وصلهم النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، فدخل صلوات الله وسلامه عليه مؤزَّرًا منصورًا ظافرًا فاتِحًا، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة صبيحة يوم الجمعة في عشرين من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة. ولم يكن صلى الله عليه وسلم حين دخوله أَشِرًا ولا بطرًا، لم يُعْزَف بين يديه بآلات اللهو. ولم تغنِّه القِيان. بل كان صلى الله عليه وسلم خاضعًا لله. مطأطئًا رأسه حتى إن جبهته لتكاد تمسّ رحلَه. تعظيمًا لله عزَّ وجل، ورُكِزت رايته بالحجون ثم نهض صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فطاف بالبيت وكان على البيت وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بقوس في يده ويقول: ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))، فلمّا أكمل طوافه دخل الكعبة فرأى فيها الصُّوَر فأمر بها فمُحِيَت. ثم أخذ بباب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ما يصنع. فأعلن كلمة التوحيد، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدَق وعدَه، ونصرَ عبده، وهزَم الأحزاب وحدَه))، ثم قال: ((يا معشر قريش، ما تَرَوْن أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ، إذهبوا فأنتم الطلقاء)). فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ((هذا ما وعدني ربي))، ثم قرأ: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). أيّها المسلمون. بما أنّنا على مشارف العشر الأواخر. من هذا الشهر الزاهر. فإنّ المقام يقتضي منّا التنبيه على فضيلتها، وما ينبغي للمؤمن أن يتحرّاه فيها، وذلك حتى لا تفوته نفحاتها القدسية، ولحظاتها النورانية. ومن ذلكم ما جاء في الصحيحين عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتَ: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)). وَالْمُرَادُ بشدّ الْمِئْزَرِ: كنايةٌ عَنْ ترْكِ الدنيَا واعْتِزَالُهُ النِّسَاءَ، والتفَرُّغِ للعبادةِ، والْجِدِّ والاجتهادِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْهَا قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ)).

وَرَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سيّدنا عَلِيٍّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: ((كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلاَةَ)). وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ أَيْضًا عَلَى ابنَتِهِ السيّدة فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَزَوْجِهَا الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَيَطْرُقُ عَلَيْهِمُ البَابَ لَيْلاً وَهُوَ يَتْلُو قَولَهُ تَعَالَى في سورة طه: ((وَامُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)). أيّها المسلمون. فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ من رمضان لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ. فَمَنْ وُفِّقَ لَهَا فَقَدْ فَازَ، وَمَنِ اجتَهَدَ فِي تَحَرِّيهَا فَلَهُ مِنَ اللهِ الفَضْلُ وَالإِحْسَانُ، لَيْلَةٌ رَفَعَ اللهُ شَأْنَهَا، وَأَعْلَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ ذِكْرَهَا، لأَنَّهَا لَيْلَةُ نُزُولِ القُرآنِ، قَالَ تَعَالَى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)). في الصحيحين عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَّدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأواخِرِ مِنْ رَمضانَ)). فَالسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ لِلنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ، وَأَصَابَ الرِّضَا وَالْقَبُولَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ وَالأَجْرَ. ففي صحيح ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلاَ يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ)). فاتّقوا الله عباد الله. واستغلّوا هذه العشر، وبادروا فيها إلى كل أجر، فربما تصادفون فيها ليلة القدر، فيُغفَر الذنب. ويوضَع الوِزر، فيَسعد من أحياها، وبيَّضَ بالإخلاص محياها. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا وَأَعِنَّا عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْفَوْزِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالرِّضْوَانِ، اللَّهُمَّ واكتبْنَا فيهَا منَ المقبولينَ يا رحيم يا رحمان، وتَقَبَّلْ اللَّهُمَّ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا يا ذا الجود والإحسان. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عُتَقَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمِنْ عُتَقَائِكَ مِنَ النِّيرَانِ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

10- إستِلهام العِظات والعِبر من غزوة بدر والفتح الأكبر مع الإستعداد للأواخِر العشر

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنعَمَ على هذه الأمّة المحمّدية في شهر رمضان. بإنزال القرآن. هدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، ونصر نبيَّه وحبيبه سيّدَنا ومولانا محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، وأعزّه بفتح مكة وتطهيرها من الشرك والأوثان، فيا له من عزٍّ ارتفع به صرْح الإسلام والإيمان. واندكّ به بنيان الشرك والطغيان، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ، وَاصْطَفَى الْعَشْرَ الأواخِر مِنْهُ لِلتَّنَافُسِ فِي الصَّالِحَاتِ، لِرَفْعَ الدَّرَجَاتِ، ومُضَاعَفَةِ الأُجُورِ والحَسَنَاتِ، وحَطِّ الأَوْزَارَ والسَّيِّئَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصَفيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، قَامَ حَقَّ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَنَصَحَ فَأَخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، وكانَ يحتَفِي بهذه الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ أيَّ احتفاء، ويضاعِفُ فيهَا العبادةَ والجودَ والعطاءَ،

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ بَرٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ في سيرة نبيّنا صلى الله عليه وسلم العطرة أحداث عظيمة جليلة مُلئت علمًا وحكمة وإيمانًا، وصبرًا وإيقانًا، وحلمًا ورحمة. وبِرًّا وفضلاً وإحسانًا، في حيّز زمانيّ لم يتجاوز ثلاثة وعشرون عامًا حمل فيها رسالة الله. وبلّغ فيها شريعة الله، ما ترك باب خير إلا دلّنا عليه، ولا سبيل رُشد إلا هدانا إليه، حتّى فارق الدّنيا. وقد تركنا عليه الصلاة والسلام بدين أكمله الله تعالى على يديه، أيّها المسلمون. ولعلّ من أجلّ الأحداث التي سجّلها التّاريخ. بل وسجّلها القرآن الكريم، بأدقّ التّفاصيل، غزوة سمّاها المولى عزّ وجلّ: يوم الفرقان، فَفِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ

رَمَضَانَ. من السنة الثانية للهجرة النبوية. كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، يومٌ أعزّ الله فيه جُنْده. ونصر فيه عَبْده. وأذلّ فيه مَنْ عاداه. ورفع المنار لِمَنْ والاه، في أوّل معركة يخوضونها مع قوى البغي والشّرك، يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ((كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)). فاجتمع الجيشان بحِكْمة الله على غير ميعاد. ليقضي الله ما حكَمَ به وأراد، قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). أيّها المسلمون. وحقّق الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين النّصر على عدوّهم. رغم قلّة عددهم وعُدَّتهم، وأيّدهم سبحانه بجنود مِنْ عنده. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوَّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). ويَقُولُ سبحانه في سورة الأنفال: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ)). أيّها المسلمون. إنّ الشّرف والرِّفْعة التي نالها أهل بدر رضي الله عنهم. لم ينلها أَحَد لا قبلهم ولا بعدهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأيّ شرف أعظم من قوله عليه الصلاة والسلام في حقّهم كما في مصنّف إبن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي. عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ:"مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ " أَوْ كَلِمَةً

نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)). أيّها المسلمون. وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ المكرّمة، فقد مَنَّ الله تعالى على الأمّة الإسلامية جمعاء. ففتح بيته لنبيّه، وطهّره من أَوْضار الشرك. ولَوْثات الكفر. ومظاهر الظلم والإستكبار، وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته. الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجَوْزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ((هذا ما وعدني ربي))، ثم قرأ: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). أيّها المسلمون. وقفتنا اليوم أمام هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن؛ لكي نستلهم منهما العظات والعبر، ومن أعظمها وأجلّها : أنّ الإسلام كلمة الله الباقية. ورسالته الخالدة. باقية ما بقي الزمان وتعاقب المكان. بعزّ عزيز وذُلّ ذليل، هذا الإسلام الذي كتب الله العزّة لمن والاه، وكتب الذّلة والصَّغار على مَن عاداه، نستلهم كذلك: أنّ الصبر مفتاح الفرج. فما ضاقت الأمور على مَن صبر، الصبر مفتاح الخير. وأنّ مع العسر يسرًا، وأنّ عاقبة الصبر خير. واصبر وما صبرك إلا بالله، فإن وجدتَ عبدًا من عباد الله قد صُبَّت عليه المحن والبلايا من الله فصبر لله، فبشِّره بحُسن العاقبة والمآل من الله، ولقد صدق رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إذ يقول: ((ما أُعطي عبدٌ عطاءً أفضل من الصبر)). صبرًا يا أهل الإسلام في زمان عظُمت كُرَبُه، في زمان اشتدّت بلاياه ومحنه، حيثما وَلَّيْتَ بناظرَيْك رأيتَ الأشجان والأحزان، نساء وأرامل وأطفال وثكالى، في بلاد الإسلام يَتقاتلون، أصبح دم المسلم رخيصا مهدورا، تفرّقت الصّفوف، وانشقّت الكلمة. وتباعدت القلوب، والأسعد اليوم هم أعداء الإسلام، الذين أدركوا أنّ قوّة المسلمين في اتّحادهم، فاتّحَدوا وفرّقونا، ومع ذلك نأمل أن يوحِّد الله صفَّنا بصلاتنا وصيامنا وقيامنا ودعائنا. فغزوة بدر تعلّمنا أنّ من أسباب النصر العظيمة تآلف القلوب وتراحمها، كان أصحاب النبي في قلّة من العدد والعُدّة، ولكن كانت بينهم المحبّة والصفاء والمَوَدّة، كانوا متراحمين متعاطفين. متآلفين متكاتفين. متناصرين متآزرين، شعارهم: ((لا إله إلا الله. محمد رسول الله. صلى الله عليه وسلم)). فسبحان مَن أعزّهم وهم أذلاّء، سبحان مَن أغناهم وهم فقراء، سبحان مَن رفعهم

وهم ضعاء. فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجمعنا بهم في جنّات النعيم مع رسولنا صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. وتجلّى في هاتين الحادثتين الكريمتين ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خُلُق جمّ وقلبٍ رحيم، وقد بعثه الله رحمة للعالمين، فلمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعد أن منّ الله عليه بالفتح الأعظم والمقام الأكرم. قال: ((يا معشر قريش! ما ترَوْن أنّي فاعل بكم؟! قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء)). فعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدرته على مَن آذاه دليل على منزلته العظيمة التي تبوّأها صلوات الله وسلامه عليه من الخُلُق العظيم، والسلوك المستقيم، ولا ريب أنّ الله جلّ وعلا قد تعاهده وربّاه، قال عليه الصلاة والسلام: ((أدّبني ربي فأحسن تأديبي)). وقال تعالى في سورة القلم: ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)). فبمجرّد أن شنّف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماع الناس، الذين كانوا أعداء الأمس، بهذه الكلمات الطيّبة، ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، إذا بالوجوه تتلألأ، والصدور تنشرح، فتحوّلت الألسنة من عداوة الله، إلى الدعوة إلى الله، وانتقلت القلوب من بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم والحقد عليه، إلى الإستماتة في محبّته والدفاع عنه، يقول الله تعالى في سورة فصّلت: ((اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّ هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن ليسا مجرّد حدث وقع وانتهى، بل هما مدرسة عظيمة، أستاذها سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحارسها العام جبريل عليه السلام، ومديرها الله سبحانه وتعالى، وتلامذتها أمّة الإسلام، وليسا مدرسة عسكرية فحسب؛ بل هما مدرسة أخلاقية، ومدرسة اجتماعية، ومدرسة شرعية، ومدرسة التسيير؛ نتعلّم منهما عدّة قواعد في الإدارة والتسيير منها: قاعدة إعرف عدوّك، وقاعدة الشورى، وقاعدة المساواة في تطبيق القانون والشريعة، وقاعدة القَبول بالمعارَضة، وقاعدة الخضوع للحق ولو كان مرّا، وقاعدة الأخوّة المبنية على التعاون والتكافل والمودّة والمحبّة، وقاعدة المشاركة الميدانية لقادة الأمّة في ميادين العمل. تلكم هي قواعد التسيير وأُسس الإدارة كما طبّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن، فحقّق للأمّة فوزا كاسحا. ونجاحا باهرا. ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، اللهم يا حيّ يا قيّوم. ياذا الجلال والإكرام. نسألك اللهم أن تنظر إلينا، وإلى آبائنا وأمّهاتنا، وذريّاتنا وقراباتنا، وذوي الحقوق علينا، وأهل مودّتنا، بما نظرتَ به إلى ساداتنا أهل بدر الأكرمين، برحمتك يا أرحم الراحمين. واحشرنا في

زمرتهم، وأسعدنا بمرافقتهم، في زمرة حبيبك المصطفى سيّدنا ومولانا محمد، صلى الله عليه وسلم. اللهمّ ارزقنا صِدق الصّائمين. وإقبال القائمين. وخصال المتّقين. وبلّغنا برحمتك ورضوانك درجات المقرّبين. واحشرنا يوم النّشور في زمرة المنعَّمين. في جوار سيّد المرسلين. سيّدنا ومولانا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الذي شَرَّفَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ عَشْرٍ، وَخَصَّهَا بِلَيْلَةٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه. وعلى آله وأصحابه والتابعين. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. أنعم الله علينا بهذه النعمة العظيمة. والمنّة الجليلة الكريمة. فبلَّغنا شهر رمضان. وما كنّا لنبلغه إلا بفضل الحليم الرحمن، بلَّغنا شهر رمضان ونحن في عافية في الأبدان. وأمن في الأوطان. ورغد عيش بين الأهل والولدان، فالحمد لله كالذي نقول، والحمد لله خيرًا مما نقول. وها نحن بعد غدٍ إن شاء الله سنستقبل العشر الأواخِر، ختام شهر رمضان ووداعه، نستقبل العشر الأواخر وكلنا أمل وطمع في رحمة الله ألا يخيّب رجاءنا وأن يستجيب دعاءنا، أيّها المسلمون. وَصَفَتْ أُمُّنَا السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا حَالَ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فِي هذه العشر فَقَالَتْ كما في صحيح مُسْلِم: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ))، وَمَعَ كَثْرَةِ قِيَامِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم طَوَالَ العَامِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَهُ شَأْنٌ آخَرُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي العَشْرِ، تَقُولُ السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَيْضًا كما في البُخَارِيّ وَمُسْلِم: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)). وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ النَّبَوِيّ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَجْتَهِدُ اجْتِهَادًا خَاصًّا زِيَادَةً عَلَى العَادَةِ فِي هَذِهِ العَشْرِ، وَيَزِيدُ فِي أَنْوَاعِ العِبَادَةِ مِنْ صَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَقِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ وَذِكْرٍ وَصَدَقَةٍ وَدُعَاءٍ، فَإِنَّ مَعْنَى أَحْيَا لَيْلَهُ: اسْتَغْرَقَهُ بِالصَّلَاةِ وَالعِبَادَةِ، وَإِنَّ مَعْنَى أَيْقَظَ أَهْلَهُ: أَيْقَظَهُمْ لِلصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، وَرَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سيّدنا عَلِيٍّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: ((كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ

الصَّلاَةَ)). وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ أَيْضًا عَلَى ابنَتِهِ السيّدة فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَزَوْجِهَا الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَيَطْرُقُ عَلَيْهِمُ البَابَ لَيْلاً وَهُوَ يَتْلُو قَولَهُ تَعَالَى في سورة طه: ((وَامُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)). فاتّقوا الله عباد الله. وأَقْبِلوا على الله مردِّدين: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

11- طريق التمكين من خلال غزوة بدر وفتح مكة البلد الأمين

الحمدُ لله الذي أنعَمَ على هذه الأمّة المحمّدية في شهر رمضان بإنزال القرآن. هدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، ونصر نبيَّه صلى الله عليه وسلم ببدر. وسَمَّاه يوم الفرقان، وأعزّه بفتح مكة أمّ القرى. وتطهيرها من الشرك والأوثان، فيا له من عزٍّ ارتفع به صرْح الإسلام. واندكّ به بنيان الشرك والطغيان، نحمده تعالى ونشكره أن أكرمنا بواسع كرمه، وتفضَّل علينا بخالص جوده وبرّه، وجعلنا أهلاً لنفحاته المباركة في هذه الليالي المباركة. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ، وَاصْطَفَى الْعَشْرَ مِنْهُ لِلتَّنَافُسِ فِي الصَّالِحَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصَفيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، خير مَن صلَّى وصام، وطاف بالبيت الحرام، وجاهد الكفار في شهر الصيام، فأقام الله به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد الضلالة، وعلّم به بعد الجهالة، وأعزّ به بعد الذلّة. وجمع به بعد الفُرقة، وأغنى به بعد الفاقة.

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشْرنا ونشْرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعِينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ترسّخ في أذهان العامّة من المسلمين أنّ شهر رمضان شهر خمول وبطالة، بل كثيرة هي مصالح العباد التي تتعطّل في بلاد المسلمين بحجّة أنّ رمضان لا يساعد على العمل، وتصبح الإدارات العمومية في عطلة غير رسمية، وكل الإلتزامات ومصالح الناس تتأجّل إلى حين؛ ويقولون كما هو شائع عندنا: (حتى نشربوا لَمَّيهَة. أيْ الماء). والمقصود منه حتى نفطروا ويخرج شهر رمضان. والواقع أيّها المسلمون. أنّ رمضان شهر الجِدّ والعمل. ليس شهر الراحة والكسل. تحقيقا لمعنى مجاهدة النفس، فيقترن الجهادان: جهاد النفس بكَبْح شهواتها ومألوفاتها، وجهاد بناء الأمّة، كل في اختصاصه وحسْب الثغر الذي يقف عليه. وهكذا كان حال الرعيل الأوّل من الصحابة رضي الله عنهم. الذين تربَّوْا وتعلَّموا بين يدي سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ جهاد دائم متواصل. وتسابق على أبواب الجهاد. الذي يَعتبر القتال وحمْل السلاح بابًا منها. تنافس على أعباء البناء. دون تلكُّئ أو تثاقل. في الصيف كما في الشتاء، بل إنّ الغزوات الحاسمة دارت رحاها في شهر رمضان. مثل غزوة بدر وفتح مكة. أيّها المسلمون. إنّ السيرة النبوية بأحداثها ووقائعها تقدّم للمسلمين أفرادا وجماعة التطبيق العملي للإسلام في شتّى مناحي الحياة. سِلمًا وحربًا. إقتصادًا واجتماعًا. سياسةً وفكرًا. لذلك، فدراسة السيرة النبوية وسيلة مُثلى ضرورية لتنشئة الأجيال المسلمة وتربيتها تربية إيمانية. تغرس في القلوب الولاء الصحيح لله تعالى ورسوله، وتَنمي فيها الوازع الإيماني. فتعتزّ بانتمائها العقدي، وتسارع لخدمة أهداف رسالة دينها. وتحقيق غاياته السامية. فليست السيرة النبوية مجرَّد وقائع تاريخية ولّى زمانها، بل هي مَعِين تستمدّ منه الأجيال المسلمة زاد مسيرها وعوامل بقائها، وما به تقارع من أجل أن تؤدّي وظيفتها التاريخية. وهي الشهادة على الناس، قال تعالى في سورة البقرة: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)). أيّها المسلمون. فَفِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ. من السنة الثانية للهجرة النبوية. كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى، يومٌ أعزّ الله فيه جُنْده. ونصر فيه عَبْده. وأذلّ فيه مَنْ عاداه. ورفع المنار لِمَنْ والاه، في أوّل معركة يخوضونها مع قوى البغي والشّرك، يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ((كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)). أيّها المسلمون. وحقّق الله تعالى لعباده المؤمنين الصابرين النّصر على عدوّهم. رغم قلّة عددهم وعُدَّتهم، وأيّدهم سبحانه بجنود مِنْ عنده. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوَّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). أيّها المسلمون. وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ المكرّمة، فقد مَنَّ الله تعالى على الأمّة الإسلامية جمعاء. ففتح بيته لنبيّه، وطهّره من أَوْضار الشرك. ولَوْثات الكفر. ومظاهر الظلم والإستكبار، وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته. الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطنابُ عزّه على مناكب الجَوْزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: ((هذا ما وعدني ربي))، ثم قرأ: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). أيّها المسلمون. إذا كانت غزوة بدر أوّل ظهور عسكري للمسلمين، فيه الكثير من المغامرة والمخاطرة، نظرا لتفاوت ميزان القوّة بين المسلمين الذين كانوا في مرحلة البناء والإعداد لكيانهم الجديد، وبين قريش التي رأت في المناوشة فرصة لاستئصال المسلمين والقضاء عليهم نهائيا؛ فإنّ غزوة فتح مكة رسمت معالم مرحلة التمكين. وأشّرت لمرحلة الإشعاع والإنتشار الدعوي. أيّها المسلمون.

إذا كانت غزوة بدر أطّرتها روحانية عالية. وعناية إلهية كبيرة. ساقت المسلمين يلتمسون غير ذات الشوكة: قافلة قريش تعويضًا لبعض ما نُهب منهم من أموال غداة الهجرة، فإذا هم في مواجهة عسكرية غير متكافئة؛ غير أنّ تلك الروحانية لم تُلغ السنن والقوانين الأرضية، ذلك أنّ المسلمين بقيادة ربانية يوحى لها أَسّست لمَا يجب أن يكون عليه الإعداد لأيّ نزال بناءً على القاعدة القرآنية. كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)). ومن أسباب النصر التي جلّتها غزوة بدر الكبرى ما يلي: أوّلاً: إخلاص النية لله تعالى وابتغاء مرضاته. قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ)). ثانيًا: التقوى والإستقامة ودوام التضرّع لله تعالى. قال سبحانه: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)). ثالثًا: تصافي القلوب ومحاربة الشحناء. قال تعالى: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ))، وقال أيضا: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)). رابعًا: إعداد العُدّة والأخذ بالأسباب الممكنة. قال سبحانه: ((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)). خامسًا: الشورى وإشراك الجميع في صناعة القرار. قال تعالى في سورة آل عمران: ((فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)). سادسًا: دوام التعبئة والتحريض رفعًا للمعنويات. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)). أيّها المسلمون. وإذا كانت غزوة بدر فُرضت على المسلمين وهم قِلّة مستضعَفة، فإنّ المسلمين في فتْح مكة هم مَن بادروا، بل ورفضوا تمديد أو تجديد صُلح الحديبية التي سعت إليه قريش تجنّبا لمواجهةٍ بات ميزانها لصالح مستضعفي الأمس. ومع ذلك، فقد برهن المسلمون بالقيادة النبوية الرحيمة على سموّ أخلاق الإسلام التي تتنافى وسفْك الدماء. تصفية لحسابات قديمة مع خصوم الدعوة. عفوٌ وسماحة لفتح باب المستقبل يشارك في أعبائه الجميع. الكل يعمل، يشارك، يقترح، يبادر، ينصح، يوجّه، يرعى، يحتضن، يدعو في جوف الليل للأمّة بالتوفيق والسداد. فكيف لا تنتصر!؟ إنّ هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن ليسا مجرّد حدث وقع وانتهى، بل هما مدرسة عظيمة، مدرسة أخلاقية، مدرسة إجتماعية، مدرسة شرعية، مدرسة التسيير؛ أيّها المسلمون. كم هو جدير بنا ونحن نعيش هذه الأيام المباركة من شهر رمضان المبارك. أن نستلهم من تأريخها الدروس والعبر فيما عاشه المصطفى صلى الله عليه وسلم، من رمضانات كانت تُبعَث فيها السرايا، وتُجهَّز الجيوش وتُخاض المعارك، فَرَمَضَانَ لم يَكُنْ لَدَى

أُمَّةِ الإسلامِ في يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ شَهرَ كَسَلٍ وَلا مَوسِمَ بَطَالَةٍ، وَلا عَرَفَ الأَسلافُ فِيهِ الخُمُولَ وَلا الضَّعفَ وَلا الوَهْنَ، وَلا استَسلَمُوا فِيهِ وَلا استَكَانُوا، ذَلِكُم أَنَّ هَذَا الشَّهرَ الكَرِيمَ كَانَ مَولِدَ الإسلامِ وَمَشرِقَ نُورِهِ، وَفِيهِ بَعَثَ اللهُ نبيَّه سيِّدَنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلِيُخرِجَ بِهِ النَّاسَ مِن ظُلُمَاتِ الشِّركِ وَأَسرِ الهَوَى، إلى نُورِ الإيمَانِ وَسَعَةِ الهُدَى. وَيَشهَدُ التَّارِيخُ الإسلامِيُّ المَجِيدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المَعَارِكِ الفَاصِلَةِ الَّتي انتَصَرَ فِيهَا المُسلِمُونَ عَلَى أَعدَائِهِم، وَأَنَّ عَدَدًا مِن تِلكَ الفُتُوحِ الَّتي فَرَّقَت بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَنَّ تَحطِيمَ أَكبَرِ الأَصنَامِ وَإِرغَامَ أُنُوفِ أَلَدِّ الأَعدَاءِ، كَانَ في شَهرِ رَمَضَانَ، أيّها المسلمون. فالحمد لله كالذي نقول، والحمد لله خيرًا مما نقول. أن بلّغنا شهر رمضان ونحن في عافية في الأبدان. وأمن في الأوطان. ورغد عيش بين الأهل والوِلدان، وها نحن بعد أيام إن شاء الله سنستقبل العشر الأواخِر، ختام شهر رمضان ووداعه، نستقبل العشر الأواخر وكلنا أمل وطمع في رحمة الله ألا يخيّب رجاءنا وأن يستجيب دعاءنا، فقد وَصَفَتْ أُمُّنَا السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا حَالَ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فِي هذه العشر فَقَالَتْ كما في صحيح مُسْلِم: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ))، وَمَعَ كَثْرَةِ قِيَامِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم طَوَالَ العَامِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَهُ شَأْنٌ آخَرُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي العَشْرِ، تَقُولُ السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَيْضًا كما في البُخَارِيّ وَمُسْلِم: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)). وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ النَّبَوِيّ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَجْتَهِدُ اجْتِهَادًا خَاصًّا زِيَادَةً عَلَى العَادَةِ فِي هَذِهِ العَشْرِ، وَيَزِيدُ فِي أَنْوَاعِ العِبَادَةِ مِنْ صَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَقِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ وَذِكْرٍ وَصَدَقَةٍ وَدُعَاءٍ، فَإِنَّ مَعْنَى أَحْيَا لَيْلَهُ: اسْتَغْرَقَهُ بِالصَّلَاةِ وَالعِبَادَةِ، وَإِنَّ مَعْنَى أَيْقَظَ أَهْلَهُ: أَيْقَظَهُمْ لِلصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، وَرَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سيّدنا عَلِيٍّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: ((كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ)). وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ أَيْضًا عَلَى ابنَتِهِ السيّدة فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَزَوْجِهَا الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَيَطْرُقُ عَلَيْهِمُ البَابَ لَيْلاً وَهُوَ يَتْلُو قَولَهُ تَعَالَى في سورة طه: ((وَامُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)). فاتّقوا الله عباد الله. وأَقْبِلوا على الله مردِّدين: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. اللهمّ ارزقنا صِدق الصّائمين. وإقبال القائمين. وخصال المتّقين. وبلّغنا برحمتك ورضوانك درجات المقرّبين. واحشرنا يوم النّشور في زمرة المنعَّمين. في جوار سيّد المرسلين. سيّدنا ومولانا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

12- مشموم الزّهر في تجلّي عِظات وعِبَر من حادثتَيْ بدْر والفتح الأكبر والإجتهاد في الأيّام العشر

الحمد لله الذي اختصّ الشهر الأغرّ، رمضان الأنور ، وخَصّ بعظيمٍ من فضله الأوْفر، ليلة السابع عشر، أبدى صبيحتها عَلَمَ نصرِه المؤزَّر، وتأييده الأكبر، لحبيبه الأعطر، سيّدِنا ومولانا محمدٍ ذي الجبين الأزهر، صلى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله وأهل بيته المطهَّر، وأصحابه الكرام ممّن هاجر ونصر، خصوصاً مَن ببدر حضر، ومَن تبعهم على أقوم السِّيَر، إلى يوم المحشر، فسبحانه من إله جعل شهر رمضان شهر الفتوحات والإنتصارات. والتي منها فتْح مكة أمّ القرى. وتطهيرها من الشرك والجهالات، فيا له من عزٍّ ارتفع به صرح الإسلام. واندكّ به بنيان الشرك والضلالات، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ، وَاصْطَفَى الْعَشْرَ مِنْهُ لِلتَّنَافُسِ فِي الصَّالِحَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وصَفيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، خير مَن صلَّى وصام، وطاف بالبيت الحرام، وجاهد الكفار في شهر الصيام، فأقام الله به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، فهدى به بعد الضلالة، وعلّم به بعد الجهالة، وأعزّ به بعد الذلّة. وجمع به بعد الفُرقة، وأغنى به بعد الفاقة .

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. صفوة الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرف آل. وصحابته نجوم الهداية وحسنات الأيام والليال. صلاة تصلح بها منّا الأقوال والأفعال. وتوفّقنا بها لصدق النية وصالح الأعمال. وتلهمنا بها حُجَّتَنَا المنجية يوم العرض والسؤال. وتجعلنا بها من الآمنين المطمئنّين عند تراكم الزلازل والأهوال. يا من إليه المفزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ها هو شهر رمضان قد ذهب نصفه الأوّل، وهو في الحقيقة مدرسة متعدّدة التخصّصات والشُّعَب؛ مدرسة دينية، وفقهية، واجتماعية، وأخلاقية، وصحية، وعسكرية، وتاريخية أيضا؛ فقد سجّل رمضان لنا في التاريخ وقائع وأحداث هي بمنزلة ثورة تاريخية مِن أجْلِ إسْقاطِ نِظَامِ الهَوَى، وَإِقامةِ نِظَام الهُدى .

والإنسان مرتبط بتاريخه لا يعيش الحياة الطيّبة بدون تاريخه، إذ الإنسان بدون التاريخ هيكل بدون روح. وسيارة بدون محرّك، والإنسان العاقل يتحرّك حسْب الضوء الذي يسلّطه تاريخ أمّته على الأحداث، فبالرجوع إلى التاريخ نتفادى الوقوع في الأخطاء مرتين، ومبدأ المسلم يبيّنه لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول: ((لا يُلْدَغ المؤمن من جحر مرتين))؛ والمسلم اليوم لا عِلم له بتاريخ أمّته، ولا وعي له بمغزى الأحداث التي وقعت فيه، فصار يُلدغ من جحر مرارا وتكرارا؛ وحتى مَن عرف منّا شيئا من التاريخ تكون معرفته بتاريخ غير أمّته أفضل وأوسع من معرفته بتاريخ أمّته؛ بل حتى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أغلب الناس لا يعرف عنها حتى عناوين الأحداث فيها؛ فكيف بتفاصيلها؟ وكيف بفقهها؟ وكيف بالاقتداء بها وتطبيقها؟ لقد أصبحنا نعرف من سِيَر اللاعبين واللاعبات والمطربين والمطربات الأحياء منهم والأموات أكثر مما نعرف من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومِن سِيَر الصحابة والتابعين وتابعيهم مِن بعدهم من العلماء والأمراء؛ بل حين يموت عالم اليوم لا نكاد نسمع به إلا قليلا وعلى عجل، وحين يموت مطرب أو ممثّل تقوم دنيا الإعلام لذكر مناقبه وألقابه وأرقامه. أيّها المسلمون. لقد اقترن شهر رمضان بحدثَيْن كريمَيْن مباركين وقعا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هما يوم بدر يوم الفرقان،

الذي كان في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان المبارك من العام الثاني للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. ويوم فتح مكة يوم علوّ الشأن. الذي كان فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شهر رَمَضَانَ المبارك سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. ولقد تجلّت في هاتَيْن المعركتَيْن أو في هذَيْن الحدثَيْن الجليلَيْن معانٍ عظيمة، ودلائل سامية، وعِظات بالغة. لمن ألقى السمع وهو شهيد. أيّها المسلمون. إنّ المؤمن الدارس للسنّة النبوية الشريفة. والسيرة العطرة. والأيام النضرة، وعلى وجه الخصوص هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن. يعلم عِلم يقين أنّ الأمور إنما تُدبَّر في الملكوت الأعلى، وأنّ الله جلّ وعلا وحده الفعّال لما يريد، فلا يقع في الكون إلا ما أراده سبحانه وتعالى، خفي ذلك عن البعض أو ظهر، فذلك أمْر الله وحده. فقد ذكر الله مسيرة الركب، أيْ: قافلة أبي سفيان. وذكر تعالى خروج خير الخلق صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذكر سبحانه خروج قريش تستنصر لقافلتها، وكلٌّ منهم كان يحسب أمراً ووقع آخَر، قال الله جل وعلا في سورة الأنفال: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً. لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)). فالله جلّ وعلا أخَّر وقدَّم في إخبار كل أحد بما وقع؛ حتى يلتقي الفريقان، ويلتحم الجيشان، ثم يكون يوم الفرقان كما أراد ربنا تبارك وتعالى؛ نصرة لنبيّه، صلى الله عليه وسلم. وإظهاراً لدينه، وإعلاء لشأن كلمة التوحيد التي بعث الله بها الرسل، وأنزل الله من أجلها الكتب. أيّها المسلمون. لقد تجلّى في هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن إكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فالصبر خير مطيّة أعطاها الله أنبياءه ورسله، ولهذا قال الله مخاطباً خير خلقه، صلى الله عليه وسلم. في سورة الأحقاف: ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)). في أيام البعثة الأولى عند الكعبة انتدبت قريش رجلاً منها يضع على ظهْر أكرم الخلق على الله. صلى الله عليه وسلم وهو ساجد سلى الجزور، وسيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حاضر لا يستطيع أن ينتصر لنبيّه، حتى جاءت السيّدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وحملت ذلك السلى عن ظهره الشريف صلى الله عليه وسلم، فنظر صلى الله عليه وسلم إلى أولئك الذين ائتمروا عليه وتهكّموا به، فدعا عليهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: فلقد رأيتُ مَن دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدرٍ في القلِيب. فانظر أيّها المؤمن ما هي إلا سنوات ثم انتقم رب

الأرض والسماوات لخير من ختم الله به الرسلات، وأتمّ الله به النبوّات. أيّها المسلمون. وفي أيام البعثة الأولى هَمّ صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة فمنعه عثمان بن أبي طلحة سادن الكعبة يومئذ من دخول البيت، فقال صلى الله عليه وسلم: ((يا عثمان! كيف بك إذا كان المفتاح بيدي أضعه بيد من أشاء؟، فقال عثمان: لقد ذلّت قريش يومئذ وهانت))، ثم مضت السِّنون ومرّت الأعوام واللهُ جلّ وعلا يحفظ نبيّه وينصره ويكلأه، حتى دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة يوم فتح مكة عزيزاً وما كان ذليلاً قط، وكان منيعاً محفوظاً بحفظ الله له، فكبّر في نواحيها، وصلّى بالبيت ركعتين، ولمّا همّ بالخروج أنزل الله عليه وهو صلى الله عليه وسلم عند عَضُدَتَيْ باب الكعبة قولَه تعالى في سورة النساء: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا))، فقال صلى الله عليه وسلم بعدما خرج: ((أين عثمان بن طلحة؟. قال: أنا هنا يا رسول الله! فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة كما أخبر به في الأوّل، وقال: خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم))، فهي إلى اليوم فيهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد صدق الله وهو أصدق القائلين حيث قال في سورة الصافات: ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ))، وصدق الله وهو أصدق القائلين حيث قال في سورة يوسف: ((حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)). أيّها المسلمون. لقد تجلّى في هاتَيْن المعركتين العظيمتين محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبيّهم صلوات الله وسلامه عليه، فآمنوا بأنّ الله واحد لا شريك له، وهو الذي بعثه، فأحبّوا نبيّهم ونصروه وعزّروه، واتّبعوا النّور الذي أُنزل معه، رضي الله عنهم وأرضاهم. وقد تجلّى ذلك فيهم أفراداً وجماعات، فعلى مستوى الجماعة هو ظاهر في كل غزوة وموطن وسرية، وعلى مستوى الأفراد في يوم بدر وقف صلى الله عليه وسلم يقوّم صفوف الجيش قبل المعركة، فإذا بسواد بن غزية رضي الله عنه وأرضاه بارز عن الصف، فطعنه صلى الله عليه وسلم بقدح كان معه في بطنه، وقال له: ((استو يا سواد!. أيْ: ارجع إلى الصف، قال: يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأقِدْني من نفسك، فكشف صلى الله عليه وسلم عن بطنه الشريف. وقال له: استقد. أيْ: خذ حقك. فأقبل سواد على بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعانقه ويقبّله، فتعجّب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما حملك على هذا يا سواد؟!. قال: يا رسول الله! قد حضر ما ترى.

أيْ: من قُرب الموت ودنوّ الأجل، فهذه ساحة معارك فأردتُ أن يكون آخِر العهد بك أن يمس جلدي جلدك))، إنه أنموذج لتلك المحبّة التي كانت في قلوبهم رضي الله عنهم وأرضاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أَيُّ حب في قلوب هؤلاء الكبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لم تُنسهم مشاهد الموت حبّهم لحبيبهم صلى الله عليه وسلم، إنّه مشهد عظيم من مشاهد الإلتحام. وهذا مشهد آخَر من مشاهد الحب والإلتحام، وهو درسٌ للخاص والعام، يقول سيّدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ((إِنِّي لَقَائِمٌ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ غُلامَيْنِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلُعٍ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ, أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ. وَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ تَرَجَّلَ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلانِ عَنْهُ. فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلاهُ. ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: أيّكما قتله؟. فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُه. فقال: هل مسحتما سيفكما؟. فقالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين فقال: كلاكما قتله)). والفتَيان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ بن عفراء رضي الله عنهما. إنّها مواقف تنبّئ عن عظمة هذا الجيل، جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، الذي تربّى في رياض القرآن، فهذان فتيان صغيران دفعهما حبهما لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وغيرتهما عليه. فاندفعا لقتل فرعون هذه الأمّة أبي جهل. ولقد تجلّت هذه المحبّة في الأنصار على وجه الخصوص. الذين قال الله عنهم في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)). وكان سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه إذا ذَكر الأنصار ومواقفهم ومناقبهم يقول: ((لا أجد بيننا وبين هذا الحيّ من الأنصار إلا كما قال الأوّل: :

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّوا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا * تُلاقِي الَّذِي لاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتِ))

فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجمعنا بهم في جنّات النعيم مع رسولنا صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. وتجلّى في هاتين الحادثتين الكريمتين ما كان عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من خُلُق جمّ وقلبٍ رحيم، وقد بعثه الله رحمة للعالمين، فلمّا فدت قريش أسراها بعثت السيّدة زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلادة كانت أمّها السيّدة خديجة قد أعطتها إيّاها يوم زفافها؛ لتفدي بها زوجها العاص بن الربيع، فلمّا رأى صلى الله عليه وسلم القلادة تذكّر السيّدة خديجة ورقّ لابنته زينب ودمعت عيناه صلوات الله وسلامه عليه. ولمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعد أن منّ الله عليه بالفتح الأعظم والمقام الأكرم. قال: ((يا معشر قريش! ما ترَوْن أنّي فاعل بكم؟! قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، فقال صلى الله عليه وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء)). فعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدرته على مَن آذاه دليل على منزلته العظيمة التي تبوّأها صلوات الله وسلامه عليه من الخُلُق العظيم، والسلوك المستقيم، ولا ريب أنّ الله جلّ وعلا قد تعاهده وربّاه، قال عليه الصلاة والسلام: ((أدّبني ربي فأحسن تأديبي)). وقال تعالى في سورة القلم: ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)). فبمجرّد أن شنّف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماع الناس، الذين كانوا أعداء الأمس، بهذه الكلمات الطيّبة، ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، إذا بالوجوه تتلألأ، والصدور تنشرح، فتحوّلت الألسنة من عداوة الله، إلى الدعوة إلى الله، وانتقلت القلوب من بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم والحقد عليه، إلى الإستماتة في محبّته والدفاع عنه، يقول الله تعالى في سورة فصّلت: ((اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)). أيّها المسلمون. ومن الدروس والعبر والعظات في هذين الواقعتين المباركتين: أنّ العبد مطالب بالأخذ بالأسباب، فإنْ أخذ بها فإنّه مطالب بعد ذلك بالدعاء والتضرّع إلى الله رب الأرباب، فتَرْك الأخذ بالأسباب بابٌ فيه إغفال لجانب الإعداد، والإستعلاء عن الدعاء فيه قَطْع لخيط الإمداد، وكلاهما دليل انطماس البصيرة، فالدعاء من أقوى أسلحة المؤمن في مواجهة مكر الأعداء وكيدهم وعدوانهم. وهذا ظاهر في مناشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه والتضرّع إليه. فقد بات صلوات ربي وسلامه عليه ليلة المعركة وهو الموصول بالله. يصلي ويتضرّع، ويبكي، ويناجي ربه، يدعو ويبتهل ويقول: ((اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها، تحادّك وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتَّني، اللهم فأَحْنِهم الغداة. اللهم إنْ تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)). حتى أشفق عليه الصدّيق رضي الله عنه قائلا: هوّن عليك يا رسول الله، فإنّ الله سينجز لك ما وعدك. فاستجاب الله لنبيّه. وظهرت بشائر النصر والتمكين تلوح في الأفق. وتطوف بالقلوب، قال تعالى في

سورة الأنفال: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَان ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّار)).
أيّها المسلمون. لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة عشرة آلاف مقاتل، ولم يبيّن لأحد وجهته، ولم يُطلع أحدا على هدفه ومقصوده، إلا الذين استشارهم مثل أبي بكر وعمر، لأنه لا يريد أن تتسرّب الأخبار إلى مكة، فيستعدّ أهلها للحرب والمواجهة وسفك الدماء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبّذ وقوع ذلك في مكة المكرمة بلد الأمن والأمان، فبثّ العيون والحرّاس على كل الطرق المؤدية إليها، ليحُول بينها وبين وصول الأخبار إليها، ولم ينس صلى الله عليه وسلم أن يربط هذه الأسباب بالله تعالى، فكان يكثر من الدعاء ويقول: ((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)). فاستجاب الله دعاء نبيّه صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل ويخبره برسالة بعث بها حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يتودّد إليهم فيها وينذرهم بهذا الجيش الجرّار، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى عين المكان وعلى جناح السرعة علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، فأتوا بالمرأة الحاملة للرسالة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ليحكم على شخص بزلّة دون أن يتذكّر تاريخه، وما قدّم لصالح الإسلام، فلمّا قال عمر بن الخطاب: ((إئذن لي يا رسول الله أن أضرب عنقه فإنه منافق، قال صلى الله عليه وسلم: لا يا عمر؛ أما تعلم أنه شهد بدرا، لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم))، إذا بالقرآن ينزل ويصحّح المسار فيقول سبحانه في سورة الممتحنة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ))، فكانت الآية أوضح دليل وأجلّ برهان على إيمان حاطب رضي الله عنه، يُتلى على مرّ العصور والأزمان، ولقد استجاب الله دعاء نبيّه

صلى الله عليه وسلم وهو على أبواب مكة، فأخذ الله العيون حتى فاجأها ليلا، أيّها المسلمون. ومن العبر كذلك من معرفة أهميّة ذِكْر الله في حالة مواجهة الأعداء، وهذا واضح في ذِكْر صفات المؤمنين الكمّل، والمجاهدين الخلّص، وَسَط هذه الآيات التي تخبر عن غزوة بدر، وأوّل صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنفال: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)). وأوضح من ذلك قوله تعالى في نفس السورة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون)). وبهذا نفهم حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وابن ماجه والإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في المسند. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: مَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)). أيّها المسلمون. إنّ هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن ليسا مجرّد حدث وقع وانتهى، بل هما مدرسة عظيمة، أستاذها سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحارسها العام جبريل عليه السلام، ومديرها الله سبحانه وتعالى، وتلامذتها أمّة الإسلام، وليسا مدرسة عسكرية فحسب؛ بل هما مدرسة أخلاقية، ومدرسة اجتماعية، ومدرسة شرعية، ومدرسة التسيير؛ نتعلّم منهما عدّة قواعد في الإدارة والتسيير منها: قاعدة إعرف عدوّك، وقاعدة الشورى، وقاعدة المساواة في تطبيق القانون والشريعة، وقاعدة القَبول بالمعارَضة، وقاعدة الخضوع للحق ولو كان مرّا، وقاعدة الأخوّة المبنية على التعاون والتكافل والمودّة والمحبّة، وقاعدة المشاركة الميدانية لقادة الأمّة في ميادين العمل. تلكم هي قواعد التسيير وأُسس الإدارة كما طبّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذَيْن الحدثَيْن العظيمَيْن، فحقّق للأمّة فوزا كاسحا. ونجاحا باهرا. ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، أيّها المسلمون. بما أنّنا على مشارف العشر الأواخر. من هذا الشهر الزاهر. فإنّ المقام يقتضي منّا التنبيه على فضيلتها، وما ينبغي للمؤمن أن يتحرّاه فيها، وذلك حتى لا تفوته نفحاتها القدسية، ولحظاتها النورانية. وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْعَشْرُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا، فَهُوَ كَمَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ زَوْجُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السيّدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ (يَشُدُّ مِئْزَرَهُ) كِنَايَةً عَنِ الْجِدِّ وَالاجتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، (وَيُوقِظُ أَهْلَهُ) لِيَفُوزُوا بِالْخَيْرِ، (وَيُحيِي لَيْلَهُ) عِبَادَةً وَذِكْرًا وَتِلاوَةً إِلَى

الْفَجْرِ. هَذَا اجتِهَادُ خَيْرِ الْخَلْقِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَلْنَجْتَهِدْ فَإِنَّ بَابَ الأُجُورِ وَالْغُفْرَانِ مَفْتُوحٌ، وَنَسَائِمَ الْعَشْرِ بِالْخَيْرِ تَفُوحُ. وَرَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سيّدنا عَلِيٍّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: ((كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلاَةَ)). وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَمُرُّ أَيْضًا عَلَى ابنَتِهِ السيّدة فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَزَوْجِهَا الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَيَطْرُقُ عَلَيْهِمُ البَابَ لَيْلاً وَهُوَ يَتْلُو قَولَهُ تَعَالَى في سورة طه: ((وَامُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)). وكَانَ صلى الله عليه وسلم يُضَاعِفُ اجتِهَادَهُ فِي الأَيَّامِ الْعَشْرِ الأَخِيرَةِ الْمُبَارَكَةِ طَمَعًا فِي أَنْ يَفُوزَ بِلَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، لَيْلَةٍ سَمَّاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِـــ((لَيْلَةِ الْقَدْرِ)). أَيْ لَيْلَةِ الشَّأْنِ وَالْخَيْرِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى لِلْقُرآنِ مَنْزِلاً، وَلِلأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ مَفْرِقًا؛ قال تعالى في سورة الدخان: ((حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّآ أَنْزَلنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّن عِنْدِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). فَهِيَ أَفْضَلُ لَيْلَةٍ تَمُرُّ عَلَى الإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ، خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ لَيَالِي الْعَامِ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْمُبَارَكَةَ بِقَوْلِهِ: ((لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ))، نَعَمْ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي الْفَضْلِ وَالْبَرَكَةِ وَمُضَاعَفَةِ ثَوَابِ الْعَمَلِ، فَهَلْ يَرْغَبُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ مَنْ يَطْمَعُ فِي فَضْلِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ؟ يَقُولُ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم:))مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)). وَقَدْ أَخْفَى اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ الْمُبَارَكَةَ عَنْ عِبَادِهِ؛ لأَجْلِ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الأَيَّامِ الْعَشْرِ طَمَعًا فِي تَحْصِيلِهَا، وَيَجِدُّوا أَمَلاً فِي نَيْلِهَا، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((فَالتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ)). فَحَرِيٌّ بِكُلِّ عَاقِلٍ إِذَنْ أَنْ يَجِدَّ وَيَجْتَهِدَ، وَأَنْ يُرِيَ اللهَ مِنْ نَفْسِهِ خَيْرًا. فَالإِنْسَانُ الَّذِي تَمُرُّ عَلَيْهِ هَذِهِ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ وَهُوَ مُتَجَرِّدٌ مِنْ هُمُومِ الدُّنيَا، مُقْبِلٌ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ لا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ يَكُونُ رَابِحًا خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، أَمَّا مَنْ قَضَاهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْقِيلِ وَالْقَالِ؛ فَهُوَ عَنْ فَضْلِهَا مُبْعَدٌ، وَمِنْ خَيْرِهَا مَحْرُومٌ. يَقُولُ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وسلم:))مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ((. فاتّقوا الله عباد الله. واستغلّوا هذه العشر، وبادروا فيها إلى كل أجر، فربما تصادفون فيها ليلة القدر، فيُغفَر الذنب. ويوضَع الوِزر، فيَسعد

من أحياها، وبيَّضَ بالإخلاص محياها. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا وَأَعِنَّا عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْفَوْزِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالرِّضْوَانِ، اللَّهُمَّ واكتبْنَا فيهَا منَ المقبولينَ يا رحيم يا رحمان، وتَقَبَّلْ اللَّهُمَّ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا يا ذا الجود والإحسان. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عُتَقَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمِنْ عُتَقَائِكَ مِنَ النِّيرَانِ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

13- كشف القناع عن بعض أخبار غزوة يهود بني قَيْنُقاع وما هم عليه من غَدْر وخيانة وخِداع

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دُوَلاً بعدله، وجعل العاقبة للمتّقين بفضله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كلّه، القاهر فوق عباده فلا يُمانَع، والظاهر على خليقته فلا يُنازَع، والآمر بما يشاء فلا يُراجَع، والحاكم بما يريد فلا يُدافَع. فسبحانه من إله وعد المؤمنين المخلِصين بالعزّة والكرامة، وأَوْعد الفاسقين المتخاذلين بالحسرة والندامة، فقال في سورة آل عمران: ((إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ)). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، به نصول وبه نجول، وبه نؤمّل دَفْع الكروب شدّة وبلاءً، ودَرْءَ الخطوب ضَنْكًا ولَأْوَاءً. وحذّرنا من كيد اليهود ووَصَفَهم بأنّهم أشدّ الناس للمؤمنين عَدَاءً، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. أَقْوَمُ الخَلْقِ سِيرةً، وأَنْقاهُم بَاطِناً وسَرِيرَةً، قَامَ خَيْرَ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَنَصَحَ فَأَخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ،

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ المحمود. وعلى آله ذوي الكرم والجود. وصحابته الواقفين على الحدود. والموفين بالعهود. صلاة تكفينا بها شرّ كلّ عدوّ وحسود. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المنى والمقصود. وتفتح بها في وجوهنا كلّ باب مغلق ومسدود. وتجعل بها دعاءنا عندك مقبولا غير مردود. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لابدّ بين الفَيْنَة والأخرى من إطلالة على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، تنير الطريق للسالكين. وتكشف حقائق الأعداء والأصدقاء للناس أجمعين. فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه. فَصْلٌ عند التنازع والإختلاف. قال تعالى في سورة النساء: ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)). وبسنّته تعبّد المسلمون الذين يرجون الله واليوم الآخر. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)). فحياته صلى الله عليه وسلم كلّها جهاد ونصيحة. وصبر ومصابرة. حتى أظهر الله الدين. ونصر المسلمين. فبعد هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة مع أصحابه فرارا بدينهم. بسبب إيذاء كفّار قريش لهم. هناك ابتدأت بالمدينة مرحلة الجهاد في سبيل الله. إعلاءً لكلمة الله. وتكاثرت الخصوم، بين يهود حاسدين شامتين. ومنافقين متربّصين مرجِفين، وفي أطراف المدينة أعراب مشركون يتطلّعون إلى ثمار المدينة وخيراتها بشراهة. ومن وراء هؤلاء وأولئك الخصوم الأوّلون كفار قريش يؤلّبون ويحضّرون ويدعّمون بأموالهم، ويدفعون بأبنائهم لخوض المعارك حتى لا تقوم للدين قائمة. ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون. أخرج أبو داود وغيره بسند صحّحه ابن حجر قال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذون النبيَ صلى الله عليه وسلم وأصحابَه أشدّ الأذى، فأمر اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك والعفو عنهم، وفيهم أنزلت الآية من سورة البقرة: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). ثم أبرم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة مع يهود بني قريظة؛ وبني قينقاع، وبني النضير، على أن لا يحاربوه. ولا يعينوا أحدا على حربه. وتضمّنت بنود هذه المعاهدة ما يكفل حقوقهم ويمنع

شرورهم، ويهيّء الفرصة للنبي صلى الله عليه وسلم لكي يَسْلَمْ من أذاهم. ويتفرّغ هو وصحبُه لجهاد غيرهم. ونشر الدين الحق في المدينة وخارجها، حتى إذا انتشر الدين وكثر الداخلون فيه قَلَّ أثرُهم وأمكن القضاءُ عليهم، أو جلاؤهم. أيْ إخراجهم وطردهم من المدينة. أيّها المسلمون. في مثل هذا الشهر أعني شهر شوّال من السنة الثانية للهجرة كانت غزوة يهود بني قَيْنُقاع وإجلاؤهم من المدينة. وهم أوّل يهود نقضوا العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كانوا صاغة يعملون في صياغة الذهب والمتاجرة به. وكانوا حلفاء لسيّدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه. ولعبد الله بن أبيّ ابن سلول. زعيم المنافقين في المدينة. وكَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاع ما رواه أهل السِّيَر: أَنّ امْرَأَةً مِنْ المسلمين قَدِمَتْ بشيء تريد أن تبيعه بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ يهودي بالسوق، فَجَعَل اليهودُ يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ السيّدة المسلمة، فَعَمِدَ الصّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا، فَلَمّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ عورتُها، فَضَحِكُوا منهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَشَدّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ. فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشّرّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ. وقد أثار هذا الخبر المؤلم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة. ورأى أن ينكل بأولئك اليهود. بعد أنْ أمكنه الله منهم بنقض العهد. والإعتداء على عِرْض المسلمين وكرامتهم. كما دفع هذا الحدث المشين سيّدنا عبادة بن الصامت إلى البراءة من التحالف معهم. فقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حِلْفِ هؤلاء الكفّار. في حين تمسّك رأس النفاق عبد الله بن أبيّ ابن سلول بتحالفه معهم. فحرّضهم على مواجهة المسلمين. لمّا رأى تهديد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم. وعزمه على شنّ الحرب عليهم. وفيه نزلت هذه الآيات من سورة المائدة. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)). غير أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبدأ بالقتال قبل الدعوة إلى الإسلام. بالحكمة والموعظة الحسنة. فذهب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بنفسه الكريمة في سوقهم. فوعظهم، وذكّرهم بالله تعالى وقال: ((يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! احْذَرُوا مِنْ اللهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنْ النّقْمَةِ، أي بهزيمتهم ببدر. وَأَسْلِمُوا، فَإِنّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنّي نَبِيّ مُرْسَلٌ. تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَعَهْدِ اللهِ إِلَيْكُمْ)). فردّوا عليه ردًّا يناسب أخلاقهم الدنيئة، وطبائعهم الذميمة، ونفوسهم الرجسة، وألسنتهم الدنسة، وقَالُوا: يَا مُحَمّدُ! إنّك تَرَى أَنّا قَوْمُك! لا يَغُرّنّكَ أَنّك لَقِيت قَوْمًا لا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً! إنّا وَاَللهِ لَئِنْ حَارَبْنَاك لَتَعْلَمَنّ أَنّا نَحْنُ النّاسَ. وفي لفظ: لتعلمنّ أنّك لم تقاتل مثلنا. أي لأنّهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدّهم بغيا، فلمّا قال يهود بني قينقاع هذا الكلام، أَنْزَلَ اللَّهُ عزّ وجلّ فِي ذَلِكَ آيات بيّنات توضّح العلاقة بين المسلمين واليهود خلال الفترة القادمة، فقال تعالى في سورة آل عمران: ((قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ)). وأنزل الله فيهم من سورة الأنفال قوله تعالى: ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)). فسار إليهم رسول الله صل الله عليه وسلم بجيشه وعزيمته. يؤيّده نصر الله ووعده الحق. وكان ذلك في النصف من شهر شوال من السنة الثانية للهجرة. وكان لواؤه أبيض بيد عمّه سيّدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. واستخلف على المدينة سيّدنا أبا لبابة رضي الله عنه، فتحصّنوا في حصونهم، وحاصرهم صل الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة أشدّ الحصار، فقذف الله في قلوبهم الرعب. واستولى عليهم الخوف. فطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم. حَتّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، في أموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكُتِّفوا، وحينئذ قام حليفهم القديم عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ رأس المنافقين، بمطالبة النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بطريقة غير مهذّبة بإصدار العفو عن اليهود، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مَوَالِيّ! وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيّ! فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

أَرْسِلْنِي!، وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لسوء تصرّف هذا المنافق، حَتّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلاً، أي سمرة لشدّة غضبه، ثُمّ قَالَ: وَيْحَك أَرْسِلْنِي!!، قَالَ: لا وَاَللهِ لا أُرْسِلُك حَتّى تُحْسِنَ فِي مُوَالِيّ، أَرْبَعَمِائَةِ حَاسِرٍ وَثَلَاثُمِائَةِ دَارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إنّي وَاَللهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدّوَائِرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هُمْ لَك. لا بارك الله لك فيهم، واشترط النبي صلى الله عليه وسلم على يهود بني قَيْنُقاع أن يتركوا المدينة المنوّرة بكاملهم، وقَبِلَ اليهود بذلك، وخرجوا من المدينة المنوّرة بعد ثلاثة أيام إلى منطقة تسمّى أذرعات بالشام. وهي مدينة تجارية تابعة الآن لدرعة بسوريا. ولم يَدُرْ الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابْن أُبَيّ ابْن سَلُولَ: لا بارك الله لك فيهم. وأنفل اللهُ رسولَه أموالا وسلاحا كثيرا في هذه الغزوة. أيْ لأنّهم كانوا أكثر يهود أموالا وأشدّهم بأسا، أيّها المسلمون. هذه المعركة درسٌ عملي في الولاء والبراء. والولاء يعني مناصرة الله ورسوله والمؤمنين، والبراء؛ أن يقطع المؤمن صلته بالكفار، ولا يحبّهم، ولا يناصرهم، ولا يقيم في أوطانهم إلا لضرورة. وعقيدة الولاء والبراء تحرّم علينا التعاون مع الكفار ضدّ المسلمين، كأن نفتح لهم أرض الإسلام يسرحون فيها لنشر الأمراض الفتّاكة، أو يبنون على الأراضي الإسلامية القواعد العسكرية التي تنطلق منها الطائرات لضرب المسلمين هنا وهناك، وهي تحرّم علينا أيضًا عقد الصفقات التجارية مع العدوّ المحارب، أو العدوّ المحتلّ، فضلاً عن تصدير ثروات البلاد الطبيعية إليهم. كالغاز ونحوه وبأيّ سعر كان. قال الله تعالى في سورة المجادلة: ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ)). وعقيدة الولاء والبراء، تحرّم علينا أيضًا أن نخذل إخواننا المستضعفين، أو أن نتركهم يقاتلون وحدهم في الميدان، فضلاً عن حرمة منع المعونات عنهم، أو إغلاق المعابر دونهم، أو شنّ الحرب الإعلامية على جهادهم، أو تشويه صورة أبنائهم وقادتهم. وقد قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ)). أيّها المسلمون. وهكذا تظلّ سيرةُ رَسُول اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بأحداثها ودروسها معلّماً هادياً. ودرساً بليغاً، وَعَتْهُ الأجيال المسلمة فيما مضى، وينبغي أنْ تَعِيَهُ في زماننا. فنسأل الله الكريم. ربّ

العرش العظيم. بحرمة أحبّ الخلق إليه. وأكرمهم عليه. سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله وسلم عليه. وبحرمة آله وأصحابه الذين اصطفاهم لصحبته. وأهّلهم لنصرته. أن يجعلنا ممّن إعتبر وادّكر بهذه السيرة. فتاب إلى ربّه واستغفره من كلّ صغيرة وكبيرة. كما نسأله تعالى بمنّه وكرمه أن يفتح للمسلمين فتحا من عنده، وأن يردّهم إلى دينهم ردّا جميلا، وأن يجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، وأن يكبت أعداءهم، إنّه سميع مجيب. اللهم واجعلنا من الراشدين. وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

14- أَخْذ العبرة والفائدة من أوّل سرية لسيدنا زيد بن حارثة إلى القَرْدَة

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرّف الأمور بأمره، ومديم النِّعَم بشكره، ومستدرِج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دُوَلاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كلّه، القاهر فوق عباده فلا يمانَع، والظاهر على خليقته فلا ينازَع، والآمر بما يشاء فلا يراجَع، والحاكم بما يريد فلا يدافَع. فسبحانه من إله بعث نبيّه سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم في خير القرون، واختار له من الأصحاب أكملَ الناس عقولا، وأقومَهم دينا، وأغزرَهم علما، وأشجعَهم قلوبا، قوما جاهدوا في الله حق جهاده، فأقام بهم الدين، وأظهرهم على جميع العالمين. ونحمده تعالى ونشكره أن أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياته فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شرعه فعلّمنا فروضه وسننه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدره. ووضع وزره. ورفع ذكره، وجعل خير القرون قَرْنَه الذي به قَرَنَه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحقّ الحقّ ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين، وعد المؤمنين المخلِصين بالعزّة والكرامة، وأَوْعد الفاسقين المتخاذلين بالحسرة والندامة، فقال في سورة آل عمران: ((إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ)). وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله.

أرسله ربّه بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه، فسفُلَت بحقه الدامغ كلمة الباطل بعد عتوّها وطغيانها، واتّصلت برسالته أنوارُ الهدى وظهرت حججُها بعد اندراسها وانقطاعها. وقاوم شياطين الضلال وعبدة الأصنام والأوثان وجاهدهم إلى أن زكّى أنفسهم من أشرارها. وتركهم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرًا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرًا

وشَقّ القلوبَ هدايةً وعنايةً * وطهارةً ومحبّة وسرورًا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرًا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. المبعوث بالهدى والرحمة بشيرا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وعلى آله الطّيّبين المُطهَّرين مِنَ الرّجس تطهيرا. وعلى صحابته الباذلين أنفسهم في سبيل مرضاته. فنالوا بذلك عزّا كبيرا. صلاةً نكون بها مِمَّن ملأتَ قلوبَهم مواهبا وأسرارا. وألبستهم من ملابس التقوى هيبةً ووقارا. وعاملتَهم بعفوك ومغفرتك. وجعلت لهم أعلى الفراديس منزلا وقرارا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ قلوبَ المؤمنين. وأفئدةَ المتّقين. وأرواحَ المحبّين. تحيا عند نَشْرِ أحداث السّيرة النبوية. وتُنِير بسماع الغزوات والسرايا المحمّدية. ولقد كان السلف الصالح من هذه الأمّة الإسلامية يُدْرِكون ما لسيرة خير الأنبياء. عليه الصلاة والسلام. وسِيَرِ الصحابة النبلاء. من آثارٍ حسنة في تربية النشء. وتنشئة جيلٍ صالح لِحَمْل رسالة الإسلام. فمِنْ ثَمَّ كانوا يتدارسون السيرة. ويلقِّنونها للغِلْمان. أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر عن سيّدنا علي زين العابدين السجّاد بن الإمام الحسين السبط رضي الله عنهما قال: كنّا نُعَلَّمُ مغازيَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن. وفي شرح المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني قال: رُوِيَ عن إسماعيل بن محمد بن سَعْد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم قال: كان أبي يعلّمنا المغازِيَ والسرايا. ويقول: يا بُنَي هذه شَرَفُ آبائكم فلا تضيّعوا ذِكْرها. وها هو الإمام الزُّهَري عالم الحجاز والشام. وهو من قدماء مَنْ عُنوا بِجَمْع السيرة. بل قيل: أنّ سيرته أوّل سيرة أُلِّفَت في الإسلام. كان يقول: في عِلْم السيرة عِلْم الدنيا والآخرة. وإنّها لكلمة صِدْقٍ وحقّ. وإنّ دراسةَ

السيرةِ النبوية. ومطالعتَها. والتّدبّرَ في أحداثِها ووقائِعِها. لَمَطْلَبٌ هامٌّ لكلّ مسلِمٍ ومسلمة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو القُدْوَة والأُسْوة. وهو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين. ولقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالإقتداء به صلى الله عليه وسلم. والإهتداء بهديه. والتخلّق بأخلاقه. فقال سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). لأجل ذلك كانت هذه الوقفة مع أوّل سرية لسيّدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القَرْدَة. أيّها المسلمون. ففي مثل هذا الشهر أعني في شهر جمادى الأخيرة من السنة الثالثة للهجرة وبين غزوتي بدرٍ وأُحُدٍ بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيدَنا زيدَ بنَ حارثة في مائة راكب، وهي أوّل سرية له رضي الله عنه خرج فيها أميرا، وسببها أنّ نتائج هزيمة قريش في غزوة بدر لم تكن فقط مقتل خيرة فرسانها، وجرْح كرامتها، وضياع هيبتها في الجزيرة العربية، وزعزعة مكانتها بين القبائل ولكن المشكلة أكبر وأخطر بالنسبة لقريش هي أنّ انتصار المسلمين في غزوة بدر كان يعني النجاح النهائي للمسلمين في قَطْع طريق تجارة قريش إلى الشام، وقريش لها طريقان رئيسيّان للتجارة. طريق التجارة إلى الشام شمالا في فصل الصيف، وطريق التجارة إلى اليمن جنوبا في فصل الشتاء، كما قال تعالى في سورة قريش: ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)). وعندما تتأثّر تجارة قريش إلى الشام فإنّ تجارتها إلى اليمن تتأثّر كذلك، لأنّ التجارة التى تأتيها من اليمن والهند والصين وجنوب شرق آسيا تقوم هي بحملها إلى الشام والعكس. ولذلك كان انتصار المسلمين في بدر، ومن ثَمَّ نجاحهم في قطْع طُرُق تجارة قريش، كارثة اقتصادية على قريش. لأنّ التجارة هي مصدرها الوحيد. وفكّرت قريش كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة، فقرّرت أن تبحث عن طريق آخر للتجارة، ليس هو الطريق المعبّد العادي الذي تمرّ به على المدينة المنورة، ولا حتى الطريق الغير معبّد بمحاذاة البحر الأحمر، وكان اسمه في ذلك الوقت بحر القُلْزُم. ولكن قرّرت أن تسلك طريقًا جديدًا تمامًا، وهي أن تتّجه إلى منطقة نجد شرقًا، ثم إلى العراق شمالًا، ثم بعد ذلك تتّجه إلى الشام غربًا. وكان هذا الطريق طريق طويل جدًا، ربما ضِعْف مسافة الطريق القديم، وهو طريق لا تعرفه قريش، ومخاطره كبيرة، وتكلفته كبيرة، وكل هذا يعني أنْ تقلّ أرباح قريش من تجارتها، ومع ذلك لم تجد قريش حلًّا غير هذا لاستمرار تجارتها. وبالفعل انطلقت تجارة ضخمة لقريش فيها

كثير من الفضة، بقيادة سيدنا أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه. لأنّه أسلم بعد ذلك. وسلكت هذا الطريق، واستأجروا رجلا يدلّهم على الطريق، وكان ذلك الرجل ممّن هرب من أسارى بدر. وفي تلك العير من أشراف قريش صفوان بن أمية، أيّها المسلمون. ووصلت أخبار هذه القافلة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسل زيد بن حارثة ومعه مائة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك في شهر جمادى الثانية من السنة الثالثة للهجرة، حتى وصل إلى القافلة عند بئر يطلق عليه اسم القَرْدَة. فاستولى على القافلة بالكامل، بينما هرب من كان فيها من أعيان القوم. وأسروا دليلهم، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمّسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسّم الباقي على أهل السرية. وأُتِيَ بذلك الأسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل له: إن تُسْلِم تُتْرَك. أيْ من القتل. فأسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه بعد ذلك. أيّها المسلمون. وهكذا قطع رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش كل طُرُق التجارة، وأصبحت قريش بعد بدر تواجه كارثة اقتصادية حقيقية. ولذلك فإنّ هذه السرية كانت سببًا مباشرًا لوقوع غزوة أُحُد، إذ غزوة أُحُد بالنسبة لقريش هي معركة بقاء، والحل الوحيد لبقائها على قيد الحياة. لأنّه بعد هذه السرية فكّرت قريش جديًّا في السَّيْر إلى المدينة المنورة لحرب المسلمين، ليس فقط للإنتقام لقتلاهم في بدر، واستعادة هيبتها في الجزيرة، كما كانت تقول، ولكن الهدف الأساسي كان هو قتل رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإسقاط الدولة الإسلامية بالكامل، وإنقاذ تجارتها ومصدر أموالها الوحيد. فجزى الله عنّا أصحاب سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء. ونفعنا بمحبّتهم دنيا وأخرى. وحشرنا في زمرتهم تحت لواء سيّد الأنبياء. والشفيع الأعظم يوم الجزاء. اللهم لا تخالف بنا عن سنّتهم. ولا عن طريقتهم. واجعلنا من المقتدين بهم في حركاتهم وسكناتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الرحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

15- تذكير أهل الإسلام بأحداث غزوة أُحُد وفضل شهدائها الأعلام

الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. صلّى الله عليه وسلّم. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يتشرّف بعلمه في الدارين ويفتخرْ. نحمده سبحانه وتعالى أن امتنّ علينا بمحبّة حبيبه الأطهرْ. صلّى الله عليه وسلّم. والإستشفاع به والتوسّل بجاهه الأكبرْ. وسيلة لبلوغ القصد ونيل غاية الوطرْ .

ومدح رسول الله أصل سعادتي * أفوزُ بهِ يومَ السماءُ تمورُ

نبيٌّ تقيٌّ أريحيٌّ مهذَّبٌ * بشيرٌ لكلّ العالمينَ نذيرُ

إذا ذُكرَ ارتاحتْ قلوبٌ لذِكْرِهِ * وطابتْ نفوسٌ وانشرحنَ صدورُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. رفع قدر السيادة المحمّدية وعظّمها تعظيما. وأخدَم مقامه الشريف بالصحابة الكرام. فنالوا بذلك عزّا وهيبة وتفخيما. وبذلوا أنفسهم في مرضاته. وأنزلوه منزلة الروح من الجسد. فغدا لهم أبا وأمّا. وكان بهم رؤوفا رحيما.

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ * مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً * فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُباً * مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ * فَتَحْسبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ * إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. الذي ابتعثه الله تعالى وقد طغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها. وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبّارها. فقاومهم وجاهدهم إلى أن زكّى أنفسهم من أشرارها. وتركهم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مقدارها. كما ورد ذلك في صحيح السنّة وأخبارها. وعلى أصحابه الداعين إلى الهداية من مشكاة أنوارها. البائعين أنفسهم لله فنالوا الشهادة في مضمارها. صلاة تكون لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها وأعذب أنهارها. برحمتك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الحديث عن سيرة النبيّ المصطفى. والحبيب المجتبى. صلّى الله عليه وسلّم.

ليس أمرًا هيّنًا. بل هو حديث تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوب بالإيمان مطمئنَّة، فبذكره يطيب الإستماع، وعلى سيرته يحلو الإجتماع، وباتّباع سنّته يزيد الإيمان. وتزول الأحزان. وتتآلف قلوب المؤمنين في كلّ زمان ومكان. فهو صلّى الله عليه وسلّم. مِنَّة الله على المؤمنين، قال تعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فدِراسَةُ سِيرةِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم. ومعرفة غزواته ومتعلّقاته. حَتمٌ لاَزِم على كل مؤمن ومؤمنة للإقتداء به، إمتثالاً لقوله سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). وروي عن سيّدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنّه قال: كنّا نُعَلِّم أبناءنا مغازيَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما نُحَفِّظُهم الآية من القرآن. أيّها المسلمون. إنّ من الغزوات التي خاضها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه. وقاتل فيها. غزوة أُحُد. والتي كانت يوم السبت. الخامس عشر من شهر شوّال. مثل شهرنا هذا. من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة. والتي كان سببها تلك الهزيمة النكراء التي لحقت بالمشركين يوم غزوة بدر. يوم الفرقان. يوم إلتقى الجمعان. حيث حقّق فيها المسلمون نصرا مبينا. فارتفعت راية الإسلام، وانكسرت شوكة المشركين. عبّاد الأصنام. وسقط جبروتهم وكبرياؤهم. وفقدوا أحبّتهم وأخلاّءهم. بل صناديدهم وزعماءهم. فلم يقرّ لقريش قرار بعد تلك النازلة، وصار البعض يحرّض البعض الآخر على الإنتقام من النبيّ صلى الله عليه وسلم وصحبه. فاستعدّت قريش وحلفاؤها وانضمّ إليهم كل ناقم على الإسلام وأهله، وخرجوا في عدد يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة سيّدنا أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك. فنزلوا قريبا من جبل أُحُد. ووصل خبرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستشار أصحابه يوم الجمعة في الخروج إليهم، وأخبرهم عن رؤيا رآها. قال: ((رأيت البارحة في منامي خيرا ، رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذُبَابة سيفي ثُلْماً، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حصينة. قيل له ما أوّلتها؟ قال: فأمّا البقر فناس من أصحابي يقتلون. وأمّا الثّلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل. وأمّا الدّرع الحصينة فالمدينة)). وبعد صلاة الجمعة. وعظ النبيّ صلى الله عليه وسلم الناس. وأمرهم بالجدّ والإجتهاد، وأخبرهم بأنّ لهم النّصر ما صبروا، وأمرهم بالتّهيّؤ لعدوّهم، وخرج إلى أُحُد بجيش قوامه نحو ألف مقاتل. وفي صبيحة يوم السبت انسحب عبد

الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين. ومعه ثلث الجيش. يريد أن يوهن من عزائم المسلمين. ويفتّ في عضدهم، ويوقع الفرقة في صفوفهم؛ قائلاً: ما ندري عَلاَمَ نقتل أنفسنا. وسجّل القرآن هذه الأحداث في سورة آل عمران. قال تعالى: ((وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)). وبعد هذا التمرّد والإنسحاب. قام النبيّ صلى الله عليه وسلم في بقيّة الجيش وهم سبعمائة مقاتل. يبتغون إحدى الحسنيين. النصر أو الشهادة. فعبّأهم وهيّأ صفوفهم. واختار منهم خمسين رامياً بقيادة سيّدنا عبد الله بن جبير رضي الله عنه. قائلا له: ((إنْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَ مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ)). ثمّ قال للرّماة: ((إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَوَطِئْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ)). ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه. وبدأ القتال. وحَمِيَ الوطيس، وكانت الدائرة للمسلمين، فأنزل الله عليهم نصره. وصدقهم وعده. ولكنّ الله قضى وحكم. ولا معقّب لحكمه. وهو السميع العليم، فإنّ الرماة لمّا رأوا هزيمة الكفّار. بارحوا أماكنهم، واشتغلوا بجمع الغنائم، وذكَّرهم أميرُهم بلزوم أماكنهم، فالتفت خيَّالة المشركين عليهم من ورائهم، ففاجئوا المسلمين واختلطوا بهم. ووقع قضاء الله تعالى، حتى وصلوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. فجرحوا وجهه. وكسروا رباعيّته اليمنى السفلى. وهشموا البيضة على رأسه. فجعل صلى الله عليه وسلم يسلت الدّمّ عن وجهه ويقول: ((كيف يفلح قومٌ شجّوا وجه نبيّهم، وكسروا رباعيّته، وهو يدعوهم إلى الله))، فأنزل الله تعالى في سورة آل عمران: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ))، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه. فعضّ عليهما أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه فنزعهما. وسقطت ثنيّتاه من شدّة غوصهما في وجه النبيّ صلى الله عليه وسلم. ((وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا))، وذكر تعالى في سورة آل عمران ما دار بين المسلمين وجيش قريش من القتال، وما حدث من مخالفة الرماة لأوامر الرسول الكريم صل الله عليه وسلم؛ حيث نزلوا لجمع الغنائم، وما صاحب ذلك من هزيمة المسلمين، ووقوع الأذى بالرسول الكريم نفسه، ثم بيان فضل الله تعالى على المسلمين، حيث استعادوا تنظيم صفوفهم وطوّقوا قوّات قريش التي اخترقت

مواقع الرماة، وهو الأمر الذي حمل قريشًا على أن تعود أدراجها دون أن تحقّق أهدافها في تلك الغزوة، قال تعالى: ((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))، واستشهد في هذه الغزوة سبعون رجلا من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. منهم سيّد الشهداء. أَسَد الله وأسد رسوله. عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم. سيّدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. ومنهم عبد الله بن جحش دفن هو وحمزة في قبر واحد. ومنهم مصعب بن عمير صاحب اللواء. وعبد الله بن جبير قائد الرماة. وأصاب المسلمين كرب شديد ملأ نفوسهم غمّا وحسرة على ما كان منهم. وعلى تركهم رسولهم الحبيب صلى الله عليه وسلم يصيبه ما أصابه، وهو ثابت دونهم، ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني حيث قال في همزيته الطيبة الغراء:

ثمَّ لمّا أَرادَ ربُّك أن يأ * تيه مِن جنوده شهداءُ

خالَفوا المُصطَفى بتركِ مكانٍ * منهُ جاءَت خيلُ العدا من وراءُ

فقضى من قضى شهيداً ولا * حيـلَة تُنجي ممّا يسوق القضاءُ

إنَّ هَذا منَ الإلهِ اِبتلاءٌ * وَمنَ اللَّه يُحسَنُ الإبتلاءُ

كلُّ قتلاهم بنارٍ وقتلا * نا لَديه في جنّةٍ أحياءُ

وبعد نهاية المعركة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمّه حمزة من بين القتلى. وقد مثّلوا بهم. فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه. ومثّل به. فجدع أنفه وأذناه، وقطعت مذاكيره، وقال: ((لن أصاب بمثلك، ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا، وقال: رحمة الله عليك، فإنّك كنت كما علمتك، فعولا للخيرات، وصولا للرحم، أما والله لئن ظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك))، فأنزل الله عليه في ذلك قوله في سورة النحل: ((وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاَّ

بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ))، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر، ونهى عن المثلة، وكفّر عن يمينه، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيًا أشدّ من بكائه على حمزة رضي الله عنه. فإنّه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق. وبلغ به الغشيّ. وقال: يا عمّ رسول الله، وأسد الله، وأسد رسول الله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله))، وقال صلى الله عليه وسلم: ((جاءني جبريل عليه السلام، فأخبرني أنّ حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله)). ولمّا رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة. سمع نساء الأنصار يبكين على قتلاهم، فذرفت عيناه فبكى. ثم قال:((ولكنّ حمزة لا بواكي له)). فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما إلى دار بني عبد الأشهل. أمرا نساءهما أن يتحزّمن. ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففعلن. فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بكاءهنّ على حمزة. خرج عليهنّ وهنّ على باب المسجد يبكين عليه. فقال: ((رضي الله عنكنّ وعن أولادكنّ، إرجعن رحمكنّ الله، لقد واسيتنّ معي، رحم الله الأنصار، فإنّ المواساة فيهم كما علمت قديمة)). وصارت الواحدة من نساء الأنصار بعد ذلك لا تبكي على ميّتها إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة رضي الله عنه. ثم بكت على ميّتها. أيّها المسلمون. كانت هذه لمحة وجيزة عن أحداث غزوة أُحُد. التي كانت في مثل هذا الشهر. شهر شوّال. من السنة الثالثة للهجرة. فأُحُد نصر لا هزيمة. ذكر سبحانه وتعالى في سورة آل عمران. الدروس الجديرة بأن تحتذى من غزوة أُحُد؛ فقال مخاطبا المسلمين: ((وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)). إنّها معركة فَيَّاضةٌ بالعِبَر والعِظَات، أحداثُها صفحات ناصعة، يتوارثُها الأجيال بعد الأجيال، أنزلَ اللهُ فيها ستينَ آية في سورة آل عمران، إبتداء من قوله تعالى: ((وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)). كان لها أثرٌ عميقٌ في نفس النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ظلَّ يذكره إلى قُبيل وفاته. وفي وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. صلى الله عليه وسلم. للسمهودي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبور الشهداء بأحد

على رأس كل حول فيقول: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ. قال: وجاءها أبوبكر. ثم عمر. ثم عثمان. رضي الله عنهم. وفي طبقات إبن سعد: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر حمزة رضي الله عنه. ترمّه وتصلحه. فتصلّي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت. رضي الله عنها. وروى الحاكم والبيهقي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأحد. فقال: اللهم إنّ عبدك ونبيّك يشهد أنّ هؤلاء شهداء. وأنّهم من زارهم أو سلّم عليهم إلى يوم القيامة ردّوا عليه. أيّتها الأرواح الطاهرة. والنّفوس الزكيّة. التي رجعت إلى ربّها راضية مرضيّة. تسرح في رياض الجنّة. وترد أنهارها مستبشرة مطمئنّة. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ، أنتم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله. وبذلوا مهجهم في حبّ رسول الله. أمدّونا بنفحة. وأسعدونا بلمحة. فحماكم لكل قاصد رحيب. والمتوسّل بكم في مهمّاته إلى الله تعالى مصيب. اللهم إنّا نسألك بحقّهم عليك. أن ترزقنا زِيارَتهمْ، وَلا تَحْرِمْنا شَفاعَتَهم، وامنحنا خيرهم ومودّتهم. وانفعنا بجميع مناقبهم وأخبارهم. وذكر محاسنهم ومفاخرهم. نفعا يكون لنا عندك ذخيرة وكنزا. ومأمنا من آفات الدنيا وحرزا. وفي مواقف القيامة نجاة لنا وفوزا. اللهم إنّا نضرع إليك. ونتوسّل بأحبّ الخلق إليك. وبأصحابه أهل بدر. وشهداء أحد. المقرّبين لديك. أن تكرمنا بخير هو لديك. حتى نكون من الفائزين الآمنين بين يديك. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. والحمد لله ربّ العالمين. اهـ

16- تأييد الرّب الخالق للنبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة أحد بالمعجزات والخوارق

الحمد لله الذي أرسل رسوله المصطفى. وحبيبه المجتبى. سيّدنا محمّدا صلى الله عليه وسلم. بالهدى ودين الحقّ. وفضّله على جميع الخلق. وأيّده بالمعجزات الباهرة. والدلائل الظاهرة. وجعل دينه قويما. وشرعه حكيما. وصراطه مستقيما. وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له. أيّدَ رسلَه والصّالحين من عبادِه بالنّصرِ والفتحِ المبينِ؛ ليظهرَ الحقَّ، ويزهقَ الباطلَ، ويقطعَ دابرَ الكافرين، وأشهدُ أنَّ سيّدَنا محمّداً عبدُه ورسولُه، وصفيّه من خلقه وخليله.

حبيب بأنوار الوقار متوّج * كم اصطكّ سنّا إن رءاه مقابل

رؤوف رحيم محسن متفضّل * لنا وعلينا من كطه يواصل

وبين يديه صحبه الرأس أطرقوا * وقد ملئت منهم بعلم حواصل

هنيئا لهم فازوا بنصرة أحمد * وكم قاتلوا في حبّه من يقاتل

وقد صدقوا ما عاهدوا الله ذا العلا * عليه وكل منهم النفس باذل

ألا يا رسول الله يا منبع الهدى * ويا معدن الجود الذي لا يماثل

عليك صلاة الله والآل جملة * وصحبك ما منهم توالت فواضل

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله المختصّين بخاصيّة غير مكتسبة. المتفرّعين من الشجرة المباركة الطيّبة.

ءال النبيّ لهم في نفس نسبتهم * قدر عظيم له في المجد غايات

فالأولياء وإن علت مراتبهم * في رتبة العبد والسادات سادات

وعلى صحابته الذين أيّدوا الدين ونصروه. واتّبعوا الحقّ ونشروه.

أجلّ الناس منقبة وفضلا * وأعلاهم وأرفعهم مكانه

أجلّ الله منهم كل فرد * وأعلى في ذرى العليا مكانه

وعلى التابعين لهم بإحسان. ما تعاقبت الدهور والأزمان.

صلاة لا انتهاء لها ولكن * تناهت في كمال ما تناهى

علا مقدارها وجلا وجلّت * بقدر لا يقاس ولا يضاهى

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. إنّ لله تعالى في نصرِه وقهرِه، وتأييدِه وتبديدِه، ورفعِه وخفضِه؛ آياتٌ ظاهرةٌ، وعِظاتٌ باهرةٌ، وكراماتٌ لأهلِ الحقّ شاهرةٌ، ففي مثل هذا الشّهر. شهر شوّال. من السّنة الثالثة للهجرة، كانت غزوة أحد. غزوة عظيمة في أحداثها ومجرياتها، عجيبة في آياتها ومعجزاتها، شديدة في ضرّائها وابتلاءاتها، غزيرة في عبرها ودروسها. فبعد عام واحد من غزوة بدر الكبرى. التي غَشِيَ

المشركين فيها ما غشيهم. من هزيمة جيشهم، وقتل سادتهم، وذهاب هيبتهم؛ فأجْمَعُوا أمرهم، وجمعوا حلفاءهم، وأعدّوا عُدَّتهم، وعزموا على غزو المسلمين في المدينة المنوّرة، والثأر لما أصابهم في غزوة بدر؛ فجرت أحداث هذه الغزوة على سفح جبل أحد. فسميّت باسمه. ويقع هذا الجبل في الجهة الشمالية من المسجد النبويّ الشريف، على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا. قال فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما في البخاري ومسلم، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، قال: أقبلنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك. حتّى إذا أشرفنا على المدينة، قال: ((هذه طابة، وهذا أحد. وهو جبل يحبّنا ونحبّه)). وروى الإمام أحمد عن أبي عبس بن جبر مرفوعا: ((جبل أحد يحبّنا ونحبّه وهو من جبال الجنّة)). ولا مانع في جانب الجبل إمكان المحبّة. كما جاز التسبيح من الجبال المسبّحة مع سيّدنا داوود عليه السلام. والخشية من الحجارة التي قال الله فيها في سورة البقرة: ((وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)). وقد خاطبه النبيّ صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل. روى البخاري في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((صعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أحدا(أي جبل أُحد)، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله. وقال:(أثبت أحد، فما عليك إلاّ نبيّ، أو صدّيق، أو شهيدان)). والحقيقة أنّه ما كان اهتزاز الجبل إلاّ طرباً وفرحا بلمس قدم الحبيب صلّى الله عليه وسلّم. حينما شعر أنّها مسّته. راح يرتجف من الطرب. ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني حيث قال في همزيته. الطيبة الغراء:

لا تَلوموا لرجفةٍ واِضطرابٍ * أُحداً إذ علاه فالوجد داءُ

أُحدٌ لا يلام فهو مُحبٌّ * وَلَكم أطربَ المحبّ لقاءُ

رعدةٌ مِن هواهُ هاجت كحُمّى * بَرَدَت بعدَ حرّها الأعضاءُ

مُذ شفاهُ بضربِ أبركِ رجلٍ * قائلَ اِثبُت لم تعره عرواءُ

أيّها المسلمون. دارت أحداث غزوة أحد على ساحة الجبل. أكرم الله فيها الطائفة المؤمنة بآيات عظيمة، وخصّ نبيّه صلى الله عليه وسلم بمعجزات باهرة جسيمة، كانَتْ مُعِينًا للمؤمنين على ثباتهم. ومقوّية لهم في مِحْنَتِهم. رغم قلّتهم وكثرة عدوّهم. ولمّا اشتدّ الكرب على المؤمنين، وقوِيَ كَلَبُ الكافرين، وتمكّنوا من رِقَاب المُؤْمِنين، وعظم خوف الصحابة رضي الله عنهم من نتائج هذه المعركة، ونالهم

من التعب ما نالهم، ألقى الله تعالى عليهم النعاس. وهو النوم الخفيف؛ لينسيهم غمّهم، ويزيل تعبهم، ويجدّد نشاطهم، فكان ذلك كرامة من الله تعالى لهم، وسكينة عليهم وأمنا. قال تعالى في سورة آل عمران: ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ)). روى البخاري في صحيحه.عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت فيمن تغشّاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه. وقال الزُّبَيْر بن العوام رضي الله عنه: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتدَّ علينا الخوف، وأرسل الله علينا النوم، فما منّا أحد إلاّ وذقنه في صدره. وكان من آيات الله تعالى في هذه الغزوة، وإكرامه لعباده المؤمنين: إستجابته تبارك تعالى لدعاء بعضهم، وإعطاؤهم ما سألوا؛ روى الحاكم والبيهقي وابن سعد في الطبقات عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أنّ عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا نَدْعُو الله، فَخَلَوَا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدوّ، فلقّني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه. أي غضبه. أقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه، فأمَّن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني، فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت: يا عبدي، فيم جُدِع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: يا بني، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإنّ أنفه وأذنه لمعلّقان في خيط؛ ومن الآيات العظيمة في غزوة أحد. أنّ الملائكة حضروها، ودافعوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. كما روى الشيخان من حديث سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشدِّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد. ومن أعمال الملائكة في أحد: أنّهم غسّلوا من كان جُنُبًا من الصحابة رضي الله عنهم. فقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم في شأن حنظلة بن أبي عامر: ((إنّ صاحبكم تغسّله الملائكة فاسألوا صاحبته))، فقالت: إنّه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنُب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لذلك غسّلته الملائكة))؛ رواه الحاكم والبيهقي والطبراني. وأظلّت الملائكة عبد الله بن حرام رضي الله عنه. كما روى إبنه جابرٌ رضي الله عنه قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وينهوني عنه وهو لا ينهاني، فجعلت عمّتي فاطمة تبكي، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: ((تبكين أو لا تبكين، فما زالت الملائكة تُظِلُّهُ بأجنحتها حتى رفعتموه))؛

رواه الشيخان. وكان رضي الله عنه حريصًا على الشهادة، طالبًا لها، صادقًا في طلبه إيَّاها، قال جابر: لما حضر أحدٌ دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلاّ مقتولاً في أوّل من يقتل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم. وإنّي لا أترك بعدي أعزّ عليَّ منك، غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنّ عليَّ دينًا فاقضه، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أوّل قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّةً غير أذنه؛ رواه البُخَارِي. ومن أعظم الآيات في هذه الغزوة: مصير شهداء أحد رضي الله عنهم. فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عزَّ وجلَّ أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنّة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلّقة من ذهب معلّقة في ظلّ العرش، فلما وجدوا طِيبَ مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبلِّغ إخواننا عنَّا أنّا أحياءٌ في الجنّة نرزق؛ لئلاّ يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله عزّ وجلَّ: أنا أبلّغهم عنكم؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ في سورة آل عمران: وَلا تَحْسبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))؛ أخرجه أحمد، وأبو داود بإسناد صحيح. وفي زمن خلافة سيّدنا معاوية رضي الله عنه أصاب السيل مقبرة شهداء أحد. فأمر من أبناء الصحابة الموجودين حينها أن يقفوا على قبور آبائهم أثناء نقلها، والتي لم تتغيّر بفعل الزمن ملامح أجسادهم، حتى قالوا: إنّ المسحاة أصابت قدم سيّدنا حمزة رضي الله عنه، فخرج منها الدم، وقالوا: إنّ عمر بن الجموح كانت يده على جبهته عندما توفي، فلمّا أزاحوا يده عنها أثناء نقله خرج منها الدم، فأرجعوها مرّة أخرى. وعمليّة النقل هذه كانت بعد أربعين سنة من تاريخ المعركة، ورغم ذلك احتفظت أجساد الشهداء بهيأتها ولم تتغيّر. وفاحت من قبورهم رائحة المسك. ومن المعجزات التي أكرم الله بها نبيّه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة أحد. ما رواه البيهقي وأبو نعيم والطبراني: أنّ عين قتادة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه. أصيبت يوم أحد. فوقعت على وجنته. فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانت أحسن عينيه. أيها المسلمون. كانت هذه بعض الآيات والكرامات التي منَّ الله تعالى بها على المؤمنين في غزوة أحد. وآياتها عظيمة، وكراماتها كثيرة، وما لا نعلمه منها أكثر وأكثر. ورغم مُصاب المُسلمين في هذه الغزوة. فإنّ فيها خيرًا عظيمًا، لهم بما ناله الشهداء منهم من الدرجات، والمنازل العالية عند ربهم، وبما استفاده الأحياء منهم من الدروس

والعبر، وفي مقدّمة ذلك. إلتزام الطاعة. وامتثال الأمر. والبعد عن المعصية والمخالفة. روى الإمام أحمد والنسائي، والحاكم، عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه: ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من دفن أصحابه ركب فرسه، وخرج المسلمون حوله. عامّتهم جرحى، ومعه أربع عشرة إمرأة. فلمّا كانوا بأصل أُحد قال: إصطفّوا حتى أثني على ربّي عزّ وجلّ، فاصطفّ الرجال خلفه صفوفا، خلفهم النساء، فقال: اللهم لك الحمد كلّه، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، وما مانع لما أعطيت. ولا مقرّب لما باعدت، ولا مباعد لما قرّبت. اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إنّا نسألك النعيم المقيم. الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنّا نسألك النعيم يوم العيلة، اللهم إنّا نسألك الأمن يوم الخوف. والغنى يوم الفاقة، اللهم إنّي عائذ بك من شرّ ما أعطيتنا، ومن شرّ ما منعتنا، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم توفّنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك، ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحقّ)). آمين. فنسأل الله تعالى بمنّه وكرمه أن يفتح للمسلمين فتحا من عنده، وأن يردّهم إلى دينهم ردّا جميلا، وأن يجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، وأن يكبت أعداءهم، إنه سميع مجيب. آمين. والحمد لله ربّ العالمين. اهـ

17- عَذْب المورِد من مناهل أخبار غزوة حمراء الأَسَد المتمِّمة لغزوة أُحُد

الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. صلّى الله عليه وسلّم. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يُتَشرَّفُ بعِلْمِه في الدارَيْن ويُفْتَخَرْ. ورحم الله الحافظَ ابنَ حجر. حيث قال في هذا الشأن من الشِّعْر:

هنيئًا لأصحاب خيرِ الوَرَى * وطُوبَى لأصحاب أخبارِهِ

أولئك فازوا بِتَذْكِيرِهِ * ونحن سَعِدنا بِتِذْكَارِهِ

وهم سبقونا إلى نَصْرِهِ وها نحن أتباعُ أنصارِهِ

ولَمَّا حُرِمْنا لِقَا عَيْنِهِ * عَكَفْنَا على حِفْظِ آثارِهِ

عسى الله يَجْمَعُنَا كُلَّنا * برحمته مَعْهُ في دارِهِ

نحمده تعالى حَمْدَ مَنْ ظَنُّه في ربّه جميل. ونشكره شُكْرَ ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومستدرِج الكافرين بمكره، وجعل العاقبة للمتّقين بفضله، وأظهر دينَه على الدين كلّه، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أرسلَه اللهُ بالحجّةِ القاطعةِ، والمعجزةِ السّاطعةِ، والدّعوةِ الجامعةِ، فبلّغَ الرّسالةَ، وأدّى الأمانةَ، ونصحَ الأمّةَ، وكشفَ الغمّةَ، وجاهدَ في سبيلِ اللهِ حتّى أتاه اليقينُ، واختار له خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، ذوي الخُلُق الأوفى وحُسْن الإنابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة،

يا سامعِي أخبارِه ومفاخِرِهْ * ومطالِعِي آثارِه ومآثِرِهْ

ومؤمِّلِي وافِي الثوابِ ووافرِهْ * إنْ شئتُمُ فوزاً بذاك عظيمًا

صلّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

اللهم صلِّ وسلِّ وبارِك على سيِّدِنا محمد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثها وأذكارها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وهجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، وحَفَظُوا على أتباعهم أقوالَه وأفعالَه وأحوالَه حتى أَمِنَتْ بهم السُّنَنُ الشريفة من ضياعها. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما دامت السماءُ في سُمُوِّها، والأرضُ في اتّساعها، ويكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ قلوبَ المؤمنين. وأفئدةَ المتّقين. وأرواحَ المحبّين. تحيا عند نَشْرِ أحداث السِّيرة النبوية. وتستنِير بسماع

الغزوات المحمّدية. وتتشوَّق إلى بثّ المعجزات المصطفوية. وتتشوّف إلى نَعْت أوصاف نبيّنا صلى الله عليه وسلم الجليلة المُنيفة. وتتشرّف إلى وَصْف أخلاقه العظيمة الشريفة. وفي شرح المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني قال: رُوِيَ عن إسماعيل بن محمد بن سَعْد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم قال: كان أبي يعلّمنا المغازِيَ والسرايا. ويقول: يا بُنَي هذه شَرَفُ آبائكم. فلا تضيّعوا ذِكْرها. وها هو الإمام الزُّهَري عالم الحجاز والشام وهو من قدماء مَنْ عُنوا بِجَمْع السيرة. بل قيل: أنّ سيرته أوّل سيرة أُلِّفَت في الإسلام. كان يقول: في عِلْم السيرة عِلْم الدنيا والآخرة. وإنّها لكلمة صِدْقٍ وحقّ. ولا شكّ أنّ في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم من الفوائد والعِبَر. وترقيق القلوب ورَبْطِها بالله تعالى ما لا يوجد إلاّ في القرآن الكريم. لأجل ذلك كانت هذه الوَقْفة مع حَدَثٍ من أحداث الجهاد والتضحية، وموقف من مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة الكفار العاتية، نُصْرة لله. ودفاعا عن دين الله. أيّها المسلمون، في مثل هذا الشهر، أعني شهر شوّال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة. كانت غزوة حمراء الأسد. التي لم تكن غزوة مستقِلَّة، وإنّما هي جزء من غزوة أُحُد، وامتدادٌ لها. وصفحة من صفحاتها الهامّة الأخيرة في المواجهة التي تمّت بين قريشٍ وحلفائها من جهة، وبين المسلمين من جهة أخرى. حيث كانت غزوة أُحُد يوم السبت وغزوة حمراء الأسد يوم الأَحَد. فكأنّها تابعة أو متمِّمَةً لها، وهي ضِمْن الغزوات التي لم يَحْدُث فيها القتال، وسببها أنّه لمّا انصرف أبو سفيان والمشركون من أُحُد وبلغوا الروحاء. وهي مكان على طريق مكة. تبعد عن المدينة بخمس وسبعين كيلو. قال أبو سفيان: لا محمدًا قتلتم. ولا الكواعب أردفتم، بئس ما صنعتم، ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوّة وشَوْكة، فقذف الله في قلوبهم الرعب. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مع مَن حضر يوم أُحُد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد لمطاردة قريش، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الغزوة أن يُعْلِم العرب في المدينة وخارجها من المشركين وممّن في قلوبهم مرض. أنّ المسلمين لا زالوا أعزّة قادرين على المواجهة، وأنّ جراحهم وآلامهم لا يمكن أن تعوقهم عن مواصلة الجهاد والقتال، وأنّهم لم تلحقهم الهزيمة. وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم ولم يضعفهم عن عدوّهم. ومِن ثَمَّ عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنْ يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي. رغم ما به هو أيضا من جروح، وكان ذلك صباح الغد من معركة أُحُد، أيْ يوم الأَحَد. وأمر بلالاً

أن ينادي في الناس بضرورة التعجيل للخروج للجهاد، ولم يكن الأمر عامّاً لجميع المؤمنين، بل كان مقصوراً على أولئك الذين شهدوا معركة أُحُد بالأمس. وما كاد بلال رضي الله عنه يؤذِّن في الناس بالخروج للجهاد مرّة أخرى، حتى تجمّع أولئك الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمس، وقد أصابهم القرح، وأنهكتهم الجروح والآلام، ولم يسترح أحد منهم بعد، ومع ذلك قالوا: سمعاً وطاعة. وانطلقوا جميعا خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون المشركين، طلبا للنصر أو الشهادة في سبيل الله. وأنزل الله فيهم قولَه تعالى في سورة آل عمران: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ واتَّقَوْا أَجْر عَظِيم))، أيّها المسلمون، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد، فعسكروا هناك، وأقام فيها ثلاثة أيام، متأهِّبًا للقاء قريش. فلم يتشجَّع المشركون على لقائه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بإشعال النيران. فكانوا يشعلون في وقت واحد خمسمائة نار، وذلك من قَبِيل الحرب النفسية على العدوّ. حتى تُرَى من المكان البعيد. ويذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فيكبت الله تعالى عدوّهم. ولمّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد لقيه معبد الخُزاعي. وكانت خُزاعة مسلمهم وكافرهم تحبّه صلى الله عليه وسلم، لما كان بين خزاعة وبني هاشم من الحلف، فقال: يا محمد والله لقد عزّ علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك، ولوددنا أنّ الله تعالى أعلى كعبك، وأنّ المصيبة كانت لغيرك. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق أبا سفيان فَيُخَذِّلَه. ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء. فلمّا رأى أبو سفيان معبدا. ولم يكن يعلم بإسلامه، قال: هذا معبد وعنده الخبر، ما وراءك يا معبد؟ قال: تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جَمْع لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرُّقا، قد اجتمع معه من كان تخلَّف عنه بالأمس من الأوس والخزرج، وتعاهدوا على أن لا يرجعوا حتى يلقوكم فيأخذوا ثأرهم منكم، وغضبوا لقومهم غضبا شديدا، وندموا على ما ضيّعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل، أو حتى يطلع أوّل الجيش من وراء هذه الأكمة. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيّتهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك، وحينئذ انهارت عزائم الجيش المكي. وأخذه الفزع والرعب، فلم ير العافية إلا في مواصلة الانسحاب والرجوع إلى مكة، فانصرفوا سراعا. غير أنّ أبا سفيان حاول أن

يغطّي انسحابه هذا بشنّ حرب نفسية دعائية ضدّ الجيش الإسلامي، لعلّه ينجح في كفّ هذا الجيش عن مواصلة المطاردة، فقد مرّ به رَكْب من عَبْد القيس يريد المدينة، فقال: هل أنتم مبلِّغون عنّي محمداً رسالة، وأَوْقِر لكم راحلتكم هذه زبيبًا بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟ قالوا: نعم. قال: فأبْلِغوا محمداً أنّا قد أجمعنا الكَرَّة أيْ الرجعة، لنستأصله ونستأصل أصحابه. فلمّا بلَّغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: ((حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))، فأنزل الله تعالى فيهم قولَه سبحانه في سورة آل عمران: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ))، وقال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لقد سوّمتُ لهم الحجارة، ولو رجعوا لكانوا كأَمْس الذاهب))، وأرسل مَعْبَد الخزاعي رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبي سفيان ومَن معه خائفين، أيّها المسلمون، وقبل رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظفر المسلمون برجلين من قريش، وهما: معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، أحد جهابذة الشرك في مكة، وثانيهما الشاعر أبو عزّة الجمحي. الذي كان من أسرى بدر، والذي منّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم من غير فداء لأجل بناته، وأخذ عليه عهدًا ألا يقاتله ولا يكثر عليه جمعًا ولا يظاهر عليه أحدًا، ولكنّه نقض العهد وخرج مع قريش يوم أُحُد ويحرّضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشِعره، وقد طلب أبو عزّة العفو مرّة ثانية مثل الأوّل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا والله! لتمسح عارضَيْك بمكة وتقول خدعتُ محمدًا مرتين. لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْر مرتين))، ثم أمر بضرب عُنُقَيْهما، فقُتِلا. قال بعضهم: وهذا المَثَل لم يُسْمَع من غيره صلى الله عليه وسلم. ((لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْر مرتين))، أيْ أنّه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم، وعاد المسلمون بعد ذلك إلى المدينة بروح قوية متوثِّبة، مسحت ما حدث في أُحُد، فدخلوا المدينة أعزّة رفيعي الجانب، قد أفسدوا انتصار المشركين، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود. أيّها المسلمون. لقد حقّقت غزوة حمراء الأسد هدفها، فقد أظهرت قدرة المسلمين وهم في أحلك الظروف على التصدّي لخصومهم وأعدائهم، لأنّهم إذا كانوا قادرين على متابعة التحرّك العسكري خارج المدينة بقسم من قوّاتهم، فإنّهم لا شكّ أقدر على مواجهة أعدائهم داخل المدينة، من اليهود والمنافقين وبقايا المشركين. كما أظهرت هذه الغزوة فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقهم في

سرعة استجابتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج للجهاد. لا طمع في غنيمة أو غرض دنيوي، وإنّما التطلّع إلى النصر أو الإستشهاد في سبيل الله، رغم ما بهم من جراح وتعب وآلام. وصدق الله حين قال: ((فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ))، أيْ فرجعوا من حمراء الأسد إلى المدينة بنعمة من الله بالثواب الجزيل. وبفضل منه بالمنزلة العالية، وقد ازدادوا إيمانًا ويقينًا، وأذلّوا أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتّبعوا رضوان الله بطاعتهم له ولرسوله. والله ذو فضل عظيم عليهم وعلى غيرهم. اللهم يا ذا الجلال والإكرام. ويا ذا العزّة التي لا ترام. نسألك بحرمة من اصطفيته على جميع الأنام. سيّدنا محمّد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وبحرمة آله ذوي المزايا الشريفة. والمناقب المنيفة. وبحرمة أصحابه الذين اصطفيتهم لصحبته. وأهّلتهم لنصرته. فاهدنا اللهم بهديهم وسيرتهم. واسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. اللهم اجعلنا من أحبابهم. و اجعلنا من أتباعهم وأحزابهم. واشرح اللهم بحبّهم صدورنا. ويسّر بجاههم أمورنا. ولا تخالف بنا اللهم عن صراطهم المستقيم. حتى نلقاك على ذلك في فراديس النعيم. ونكون ممّن منننت عليهم بالنظر إلى وجهك الكريم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

18- إفادةُ الجميع بما في التّضحيّة والثّبات على الحقّ من النّصر البديع كما في أحداث سريّة أصحاب الرّجيع أمدّنا الله من إمدادهم الفائض الوسيع

الحمدُ للهِ الذي أَوْضَحَ مَعالِمَ الهُدَى فلا شَكَّ فيها ولا اِلْتِباس، وجَعَل الإبتلاءَ سُنَّةً في كِتابِه النِّبراس، يُديلُ الدُّوَل ويَبْتَلي الأُمَم، كما قال في سورة آل عمران: ((وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)). فسبحانه من إلهٍ اِقْتضت حِكْمته أن يمتحن خيار عباده بأنواع البلاء. ليرفع درجاتِهم ويجزِيَهم أحسن الجزاء. ويثبّت المخلِصين بالقوْل الثابت في السّرّاء والضّرّاء. ويربط على قلوبهم فيَصْدُقون في الشّدّة والرّخاء. نحمده تعالى حَمْدَ مَنْ ظَنُّه في ربّه جميل. ونشكره شُكْرَ ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). وأشهد

أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جَعَلَ دِينَهُ ظَاهِراً عَلَى كُلِّ دِينٍ، وأَعَزَّه بِرِجَالٍ صَادِقِينَ، وَاخْتَارَهُمْ لِمَحَبّةِ نَبِيّهِ. فَكَانُوا نِعْمَ الصّاحِب وَالْمُعِين، وكَتَبَ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ وَالتَّمْكِينَ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خَلْقه وخليله. أرسلَه ربُّه ((بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)). واختار له خير العباد. فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستشهد لله منهم مَنِ اِستشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَنْ توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتبِ * وشائقين بمدح الطّيّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العُجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الأمين المأمون. وعلى آله أشرف القبائل والبطون. وصحابته الفائزين بنصرته على مَنْ سَبَقَهم في سائر الأزمنة والقرون. صلاة تبلّغنا بها المآرب والشؤون. وتفرّج ببركتها عنّا الغموم والهموم والشجون. وتقض لنا بها جميع التبعات والديون. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ مطالعة أخبار الثابتين على الحقّ، المستسلِمين لأمر الله تعالى وحُكْمِه، الراضين بقضائه وقَدَرِه، المقرّين بعِلْمِه وحِكْمَتِه، الموقِنِين بوَعْدِه ونَصْرِه؛ مما يعين على ثبات القلب على الدين، وسلامته من الفتنة، وصبره على البلاء. لأنّ سِيَرَ هؤلاء الرجال تدفع المسلم إلى التّأسّي بهم في ثباتهم ويقينهم. وكم في تاريخ الأمّة المحمّدية من رجال واجهوا المحن والبلايا بالثبات والصبر، من أجل هذا الدين. حتى ضحّوا بأنفسهم. وهم لم يبدّلوا دينهم، أو ينتكسوا على أعقابهم. حالهم كحال الصالحين من أتباع الأنبياء والمرسلين الذين حكى القرآن قصصهم، وأمر الله بالتأسّي بهم. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيءٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)). أي وكم مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ فى المعركة ومعه جموع كثيرة، فلم يفشلوا ولم يضعفوا، بل ثبتوا على دينهم وجهاد عدوّهم، وما فتروا، ولم ينكسر جُنْدُهم لأجل ما أصابهم من قَتْل نبيّهِم أو بعضِهِم، وما كان

قولُهُم في حال شدّتهم. وعند قَتْل نبيّهم مع ثباتهم على دينه: ((إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآَخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)). وثواب الدنيا الذي آتاهم الله إيّاه هو النصرُ والظَّفَرُ وحُسْنُ العاقبة، فجمع لهم بين المثوبتَيْن، ونالوا الحُسْنَيَيْن، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى لَمَّا توقّف الصحابة رضي الله عنهم عن مُقاتلة المشركين في غزوة أُحُد بعدما سمعوا الصارخ يصيح بأنّ محمدًا قد قُتِل. عاتبهم الله على فرارهم وتَرْكِهم القتال، فقال سبحانه يخاطبهم: ((أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ)). أيّها المسلمون. وكما ثبت قوم صالحون من الأمم الماضية على دينهم. فإنّ رجالاً صالحين من هذه الأمّة ثبتوا كذلك؛ ففي مثل هذا الشهر أعني شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة النبويَّة المباركة، وقعت حادثة لِجَمْعٍ من خيار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، جرت عليهم محنةٌ عظيمة، وابتلاء كبير، وغَدَر بهم المشركون، فثبتوا على دينهم حتى لقوا الله تعالى غير مبدّلين ولا مغيّرين. وهم ثابتون على دينهم، موقنون بوَعْد ربّهم لهم. هذه الحادثة هي حادثة ماء الرجيع. أو كما يسمّيها علماء المغازي والسِّيَر: سرية الرجيع أو بَعْث الرجيع. هذه الحادثة كثيرًا ما غفَلَ الناسُ عنها، ولم ينتبهوا إليها، كثيرًا ما كان ينبغي أن تُعْرَضَ هذه الحادثة بتفاصيلها؛ مِن أجْل أنْ يَعرِفَ الناسُ أنَّ نبيَّنا سيّدَنا ومولانا محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم في طريقِه لنشْر الدعوة الإسلامية، فَقَدَ أصحابًا وأنصارًا وإخوانًا، جاهدوا وصبروا، وصمدوا أمام الأحداث الجِسام، وثَبتوا على المبدأ مِن أوَّل أَمْرهم إلى نهايةِ أعمارهم، كانوا بالعهْد مُوفين، وكانوا على الصِّراط المستقيم راسخين، أقْبَلوا على الإسلام والدنيا عنهم في إدْبار، وهل قامَ بُنْيانُ الإسلام إلاَّ على هذا النَّوْع من الرِّجال؟ إنَّهم بُناةُ مَجْدِنا، وبهم دَخَلْنا التاريخ، والسَّيْر على نهْجهم طريقُ الخلاص ممَّا نُعانيه من فساد الأوضاع؛ إذ لا يصلح آخِرُ هذه الأمَّة إلا بما صَلُح به أوَّلها، إنّها الحقيقةُ التي يجبُ أن نعيشَها، وغيرُها هو الوَهْم والسراب والضلال. أيّها المسلمون. وملخَّصُ حادثة الرجيع: أنّه قَدِم إلى المدينة المنوّرة رَهْط من قبيلتي عَضَل والقَارَة فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله إنّ فينا إسلاماً. فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا. ويقرئوننا القرآن. ويعلّمونا شرائع الإسلام. فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه. وجعل عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله

عنه أميراً عليهم. فلمّا وصلوا إلى مكان يقال له الرجيع. وهو موضع ماء لِهُذَيْلِ بين رَابِغ وجدّة. غدر القوم بهم، واستصرخوا عليهم حيّاً من هذيل يقال لهم بنو لَحْيَان، فتبعوهم وكانوا قريباً من مائتي مقاتل، فألجؤوهم إلى مكان مرتفع وحاصروهم وأحاطوا بهم من كل جانب ثم أمروهم بأن يسلّموا أنفسهم ولهم الأمان من القتل. وقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألاّ نقتل منكم رجلا، إنّا والله لا نريد قتلكم، إنّما نريد أن نصيب منكم شيئا من أهل مكة. ولكن قائد السرية عاصم بن ثابت رضي الله عنه أعلن رفضه أن ينزل في ذمّة كافر. وقال: إنّي نذرتُ أن لا أقبل جوار مشرك أبداً. ثم قال: اللهم أخبر عنّا رسولك. فاستجاب الله لعاصم. فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا. كما في الصحيح. وجعل يقاتلهم وهو يقول: اللهم إنّي حميتُ دينَك أوّلَ نهاري، فاحمِ لحمي آخرَه، أي عن أن يمثّلوا به بعد القتل. ثم قاتل رضي الله عنه حتى قُتِل في سبعة من أصحابه بالنَّبْل. وبقي خُبَيْب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدَّثِنَّة ورجل آخر، قال ابن اسحاق وغيرُه: فلمّا قُتِل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد. وكانت قد نذرت حين قَتَل عاصم ابنَيْها يوم غزوة أُحُد، لئن قدرت على رأسه لتشربنّ الخمر في قحفه، وهو ما انفلق من الجمجمة. وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، فمنعته الدَّبْر. أي الزنابير ذكور النحل. فبعث الله عليهم الدَّبْر تطير في وجوههم وتلدغهم. فحالت بينهم وبينه، فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئا. فقالوا: دعوه حتى يمسي فتذهب الدَّبْر عنه فنأخذه، فبعث الله السَّيْل فاحتمله فذهب به. وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد أعطى الله عهدا ألا يمسّ مشركا ولا يمسّه مشرك، فبرّ الله عزّ وجلّ قَسَمَه، فلم يَرَوْه ولا وصلوا منه إلى شئ. وكان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته. وإنّما استجابة الله له في حماية لحمه من المشركين. لقوله: اللهم إنّي حميتُ دينَك أوّلَ نهاري، فاحمِ لحمي آخرَه، فإن قال قائل: لماذا لم يمنعهم الله مِنْ قَتْله كما منعهم من الوصول إلى جسده بعد قتله؟ فالجواب: أنّ الله يحبّ أن يرى صِدْق الصادقين. ويحبّ أن يرى عباده المؤمنين وهم يبذلون أنفسهم لله عزّ وجلّ. فيبوّؤهم منازل الكرامة، ويزيدُهم من فضله، فالله أراد أن يشرّفه بدرجة الشهادة. فلم يمنعهم من قَتْله. ثم حمى جسده من أن يمسّه مشرك. كرامة لهذا الصحابي الجليل. أيّها المسلمون. وأمّا خُبَيْب وزيد والرجل الآخر فقد نزلوا إليهم بالعهد والميثاق، فلمّا استمكن الكفار منهم، غدروا بهم. فربطوهم وأوثقوهم، ثم قتلوا

الرجل الثالث لأنّه أَبَى وامتنع عن المسير معهم لمّا رأى الغدر والخيانة، وانطلقوا بخُبَيْبٍ وزيد حتى باعوهما بمكة. فأمّا خُبَيْب فاشتراه بنو الحارث بن عامر. ليقتلوه انتقاما للحارث الذي كان خبيب قد قتله يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً. روى ابن سعد عن موهب مولى الحارث وماوية زوجه أنّهما قالا لخبيب: ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تسقوني إلاّ العذب. ولا تطعموني ما ذُبِح على النُّصُب. وتخبروني إذا أرادوا قتلي. وقالت ماوية: كان خبيب يتهجّد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورققن عليه. واطّلعتُ عليه من شِقِّ الباب وإنّه لفي الحديد. وإنّ في يده لَقِطفا من عِنَب مثل رأس الرجل يأكل منه. وما أعلم في أرض الله عِنَبًا يؤكل. وما كان إلا رزقا رزقه الله خُبَيْبًا. قال الحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية: وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار. وبرهانا لنبيّه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته. قالت: فلمّا أجمعوا على قتله فأتيته فأخبرته فوالله ما اكترث بذلك. ثم خرجوا به من الحرم إلى التنعيم وهو المسمّى اليوم بمساجد عائشة. فلمّا صلبوه ليقتلوه. قال: دعوني حتى أصلّي ركعتين. فكان أوّلُ مَنْ سَنَّ الركعتين عند القتل. فلمّا سَلَّمَ قال لهم: أَمَا والله لولا أن تظنّوا أنّي إنّما طوّلتُ جَزَعا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة. ثم قال: اللهم أَحْصِهم عدداً. واقتلهم بدداً. أي متفرّقين. ولا تُبْقِ منهم أحداً. وأخذ ينشد ويقول :

وَلَسْتُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً * عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَان في الله مَصْرَعِي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارِك على أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزّعِ

ثم قالوا له: ارجع عن الإسلام نخلّ سبيلك، وإن لم ترجع لنقتلنّك. قال: إنّ قتلي في سبيل الله لقليل، اللهم إنّه ليس هنا أحد يبلِّغ رسولك عنّي السلام، فبلِّغه أنت عنّي السلام. وبلِّغه ما يصنع بنا. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي. فسمعناه يقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، فلمّا سُرِّيَ عنه قال: هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام، خبيب قتلته قريش. رضي الله عنه وأرضاه. أيّها المسلمون. وأما زيد بن الدَّثِنَّة رضي الله عنه فاشتراه صفوان بن أمية، رضي الله عنه فإنّه أسلم بعد ذلك. ليقتله انتقامًا لأبيه أمية بن خلف الذي قُتِلَ يومَ بدرٍ، فعندما أخرجوه مِن الحرَم إلى التنعيم ليقتلوه، اجتمع عليه رهطٌ من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، رضي الله عنه فإنّه أسلم بعد ذلك. فقال له حينما قُدِّمَ لِيُقْتَل: أُنْشِدُك الله يا

زيد، أتحبُّ أنَّ محمدًا عندنا الآن في مكانك تُضْرَبُ عُنقُه، وأنَّك في أهلك؟ قال: والله ما أحبُّ أنَّ محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤْذيه، وإنّي جالسٌ في أهلي، فقال أبو سفيان مقولتَه الشهيرة قبل إسلامه: ما رأيتُ من الناس أحدًا يحبُّ أحدًا، كحُبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمدًا، ثم قامَ مَوْلًى لصفوان بقتْل زيد رضي الله عنه وأرضاه. أيّها المسلمون. فهذه التضحيات الضخمة العظيمة التي قدّمها الصحابة الكرام رضي الله عنهم من أجل دينهم وعقيدتهم ومرضاة ربّهم وثباتهم على الحقّ كانت سبباً في تحقيق الفتوحات الإسلامية. وتثبيتِ شرْعِ الله ونظامِه في الأرض. وتثبيتِ معالِمِ الدين في هذه الحياة. ورغم عِظَم المصاب في هذه الحادثة إلاّ أنّها لم تفتّ في عضد المسلمين، ولا أضعفت من عزمهم في مواصلة الدعوة إلى الله. وخدمة دين الإسلام، وفي هذه الحادثة برزت محبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه. فحظّ الصحابة رضي الله عنهم من حبّه صلى الله عليه وسلم كان أتم وأوفر من غيرهم، ذلك أنّ المحبّة ثمرة المعرفة. وهم بقدْره صلى الله عليه وسلم ومنزلته أعلم وأعرف، ومِنْ ثَمَّ كان حبّهم له صلى الله عليه وسلم أشدّ وأكبر. وقد ظهر هذا الحبّ في الحوار الذي جرى بين أبي سفيان وزيد بن الدّثنّة لمّا أحضروه ليقتلوه، وفي ذلك دلالة على مدى الحبّ للنبي صلى الله عليه وسلم المتمكِّن في قلوب أصحابه رضي الله عنهم، ذلك الحبّ الذي لا يتزعزع حتى في أصعب اللحظات الحرجة، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يَفْدون النبي صلى الله عليه وسلم بأنفسهم أن تصيبه شوكة، وهم بين يدي أعدائهم يعاينون الموت، فما أعظمه من حبّ أدهش أعداءهم في ذلك الوقت، حتى قال أبو سفيان ولا زال يومئذ مشركا قولته المشهورة: ما رأيتُ من الناس أحدًا يحبُّ أحدًا، كحُبِّ أصحابِ محمَّدٍ محمدًا. صلى الله عليه وسلم. وشرّف وكرّم. ومجّد وعظّم. ووالى عليه ذلك وأنعم. اللهم ارزقنا حبّك. وحبّ نبيّك صلى الله عليه وسلم. واشرح اللهمّ بمحبّته صدورنا. واجعل لمحبّته أثراً نسلك به طريق الإتّباع في جميع أمورنا. اللهم نوّر بصائرنا بنور محبّته. واستعمل جوارحنا لاتّباع سنّته. واختم أعمارنا على ملّته. وارزقنا اللَّهُمَّ فِي الدُّنْيَا زِيَارَتَهُ، وَفِي الآخِرَةِ شَفَاعَتَهُ، وَمَتِّعْنَا بِرُؤْيَتِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

19- الحَدَثُ الجَلَل لِمَا وقع لسريّة القرّاء إلى بئر معونة من القَتْل وحُزْن الرسول على الغدر الذي بهم حلّ فنالوا بذلك الرضوان الأكمل من الله عزّ وجلّ

الحمد لله الذي اختار لنبيّه سيّدِنا محمّدٍ صلى الله عليه وسلم خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَعَد بنصْر مَنْ نَصَره. وهدى بفضله إلى العمل الصالح ويسّره. ورفَع درجاتِ مَنْ خاف مقام ربّه وحَذَره. وصبر على الشدائد فحمِدَه وشَكَره. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. خيرُ مَنْ تواطأت القلوب على طاعته وحبّه. وأفضلُ مَنِ اشتاقت النفوس إلى مجاورته وقُرْبِه. الذي كان مولده للمحبّين ربيعا. وهو صلى الله عليه وسلم لأمّته رحيما وشفيعا. وأمره ربّه بإظهار شرفه عليهم. فكان لقوله سميعا. ولأمره مطيعا. فقال له في سورة الأعراف: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً.((

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. العليّ الجاه والمقدار. وعلى آله الأجلّة الأطهار. وصحابته النجباء الأبرار. صلاة تكفينا بها شرّ الأشرار وكيد الفجّار. وتمنحنا بها درجة رفيعة في أعالي الفراديس ودار القرار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أَمَّا بَعْدُ:** فيا أيّها المسلمون. ما أعظم سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم، وما أبلغ هدي الصحابة رضي الله عنهم في نصرة دينهم، والقيام لربّهم، فقد كانوا رجالاً صادقين، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فبذلوا أموالهم، وأوقاتهم، وأريقت دماؤهم في سبيل تبليغ رسالة ربّ العالمين. فهم قدوة للمقتَدين، وسِيَرُهم مشرقة في خدمة هذا الدين، فما أحوجنا لمعرفة أخبارِهم، وتدارسِ أحوالهم، تتربَّى من خلالها أنفسُنا، وينشأ عليها أولادُنا، ويتعرَّفُ عليها ناشئتُنا.قال تعالى في سورة التوبة: ((لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ)). فعبادتهم كما أخبر الله عنهم في سورة الفتح: ((تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)). ومعاملتهم قال عنها سبحانه: ((أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)).وأمّا جهادهم فقال عنه تعالى في سورة آل عمران: ((فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)). أَوَ بعْد هؤلاء يبقى تميّزٌ لأحدٍ، أويُعْجَبُ معجَبٌ بشخصٍ. أو يُرى فضلٌ في غيرهم. اللهم إلا أن يكونَ من التابعين لهم بإحسانٍ. قال تعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). أيّها المسلمون. وممّا حُفِظَ مِن أخْبارِهِم، ودُوِّنَ في مَجْدِهم. ما حصَلَ لطائِفَة من الصحابةِ. بل مِن خيارهم وقرّائهم رضي الله عنهم وأرضاهم، في مثل هذا الشهر أعني شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة. فخبرهم محزِن، فاجعة عظيمة. ومصيبة كبيرة. وحَدَثٌ جَلَل. أحزن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً. وتسمّى هذه الفاجعة بسريّة القرّاء إلى بئر معونة. وما حصل لهم مثالٌ سيّء للخيانة في موضع الإئتمان، وللغدر في وقت الوفاء بالعهد. إنّهم جمْعٌ من الصحابة بلغوا سبعين صحابيًّا من الأنصار، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح: ((آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)). وقال أيضا: ((الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)). كان هؤلاء السبعون من زهَّادِ الصحابة، ومن خيار المسلمين وفضلائهم، كان الصحابة يسمّونهم القرّاء؛ لكثرةِ قراءتهم للقرآن، وتهجّدهم به في الليل. كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلّون بالليل، ويضعون الماء في المسجد للمسلمين، ويطعمون فقراء الصحابة من طِيبِ كسْبهم؛ جرت عليهم محنةٌ عظيمة، وابتلاء كبير، وغَدَر بهم المشركون، فثبتوا على دينهم حتى لقوا الله تعالى غير مبدّلين ولا مغيّرين. ومُلَخَّصُ خبرهم: أنّه في نفس الشهر الذي وقعت فيه مأساة سريّة الرجيع وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو برّاء عامر بن مالك المشهور بلقب مُلاَعِب الأسِنَّة. فدعاه عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام فلم يُسْلِم ولم يَبْعُد، بل قال: إنّي أرى أمرك هذا حَسَناً شريفاً. ولو بعثتَ معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك، ويتّبعوا أمرك. فقال عليه الصلاة والسلام: إنّي أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو برّاء: أنا جَارٌ لهم أن يعرض لهم أحد، فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبعين من الأنصار شبيبةً يسمّون القُرَّاء، وأمَّر عليهم المنذرَ بن عمرو الخزرجي، فلمّا نزلوا ببئر معونة عسكروا بها، بعثوا حرامَ بن ملحان وهو خالُ أنس بن مالك رضي الله عنهما بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّ الله عامر بن الطُّفَيْل، فلمّا أتاه لم ينظر في كتابه. وأمر رجلاً فطعنه بالحِرْبة من خَلْفه، فلما أنفذها فيه. فخرج دمه في سبيل الله. فلما رآه حرام، قال: الله أكبر، فُزْتُ ورب الكعبة. ثم استنفر عدوّ الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقين. فلم يجيبوه لأجل جوار أبي برّاء، فاستنفر بني سُلَيْم، فأجابته عُصَيَّة ورِعْلٌ وذكوان، فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلمّا رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قُتِلوا عن آخرِهم، بعد دفاعٍ شديد لم يُجْدِهم نفعاً لقلّة عددهم وكثرة عدوّهم، وفي السيرة الحلبية. أنّهم لمّا أحاطوا بهم قالوا: اللهم بلِّغ عنّا نبيّنا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيتَ عنّا. فلما جاءه الخبر من السماء قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ إخوانكم قد لقوا المشركين، وقتلوهم، وإنّهم قالوا: ربّنا بلِّغ قومنا أنّا قد لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا. فأنا رسولُهم إليكم إنّهم قد رضوا عنه ورضي عنهم. قال أنس: أنّ ذلك أيْ قولُهم: أنْ بلِّغوا قومنا عنّا أن قد لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا. كان قرآنا يُتْلَى، ثم نُسِخَت تلاوتُه، وقال سيّدنا حسَّان بن ثابت رضي الله عنه يرثي قتلى أصحاب بئر معونة :

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي * بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ

عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقَوْا * وَلَاقَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ بِقَدْرِ

أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ * تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ

وقد تألّم النبي صلى الله عليه وسلم لأجل هذه المأساة ألماً شديداً. حيث وصل خبر مأساة الرجيع وخبر مأساة بئر معونة في ليلة واحدة. فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا ويقنت في صلاة الفجر على أولئك القوم الذين غدروا وفتكوا بأصحابه فدعا عليهم شهراً. أيّها المسلمون. ورَغْم عِظَم المصاب في هذه الحادثة إلا أنّها لم تفتّ في عَضُد المسلمين، ولا أضعفت من عزمهم في مواصلة الدعوة إلى الإسلام، لأنّ الدعوة إلى الله لا يُكْتَب لها الفتح والنصر إلا إذا بُذِل في سبيلها كلّ غالٍ ونفيس، ومِنْ ثَمَّ لم تتوقّف وفود الصحابة عن الخروج من المدينة لنشر الدعوة الإسلامية مهما كانت التضحيات. وقد أظهرت فاجعة بئر معونة بعض المناقب

والكرامات لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم. الذين كانت آياتُ صِدْقِهم ظاهرة، وعلامات إيمانهم وجهادهم وتضحياتهم باهرة. فعامر بن فهيرة رضي الله عنه لمّا قُتِل ببئر معونة وأُسِر عمرو بن أمية الضمري، حيث وُجِد بقربهم يرعى إبلهم. قال له عامر بن الطفيل: مَنْ هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيتُه بَعْدَ ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السماء، حتى إنّي لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِع. وحرام بن ملحان رضي الله عنه عندما اخترق الرمح ظهره حتى خرج من صدره، وأصبح يتلقّى الدم بيديه، ويمسح به وجهه ورأسه ويقول: الله أكبر. فُزْتُ وربِّ الكعبة. وفي ذلك الموقف منقبة وكرامة. إذ هو علامة على صِدْقه في طلبه للشهادة في سبيل الله. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)). وهذه المنقبة كانت سببا في إسلام قاتله جبار بن سلمى رضي الله عنه. أيّها المسلمون. إنّ حادثة بئر معونة تبصّرنا بالمسؤولية الضخمة عن دين الله والدعوة إليه، وتحذّرنا من غدر الغادرين، وتفيدنا كيف أنّ الله سبحانه يكرم بعض عباده بكرامات تزيد إيمان أوليائه، وتؤثّر في نفوس أعدائه، ومَنْ مات صابراً محتسباً فله البشارة من الله. كما أنّها تضع نصْب أعيننا نماذج من التضحيات العظيمة التي قدّمها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من أجل دينهم ومرضاة ربّهم. فرضي الله تعالى عن هذه الطائفة، وأكرم نزلهم، وجمعنا بهم في جنّات النعيم. اللّهُمَّ بِحَقِّهِم عِنْدَكَ. وَمَنْزِلَتهم لَدَيْكَ، إغْفِرْ لنا وَلِوالِدينا وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَانْفَعْنا اللهمّ بمَحَبَّتِهم، واحشرنا في زمرتهم. وَلا تَحْرِمْنا شَفاعَتَهم، وَثَبِّتْنا عَلى قَصْدِهِمْ، ولا تخالف بنا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. وَتَوَفَّنا عَلى ما تَوَفَّيْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَاجْمَعْ بَيْننا وَبَيْنَهُم في مُسْتَقَرِّ دارِ رَحْمَتِكَ، في مَحَلِّ رِضْوانِك، وَمَوْضِعِ اِكْرامِك، مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

20- مجالس التّنوير والتّذكير من سيرة البشير النّذير ببعض أخبار غزوة يهود بني النَّضِير

الحمد لله الذي افتتح أوّلا كتابَه بعد ذِكْر اسمه بتحميده، وأوضح من العلم أبوابًا لمن ارتضاه من عباده، وضاعف بِرَّه وثوابَه لمن قام بعبادته مخلِصًا في توحيده، عمّ العالمين برّا ورحمة، وامتنّ على المؤمنين بما ساقه إليهم من النعمة. فقال في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَٰتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)). فسبحانه من إله كَتَبَ الْعِزَّ وَالْبَقَاءَ لِدِينِهِ، وَالْعُلُوَّ وَالنَّصْرَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالذُّلَّ وَالْهَوَانَ عَلَى أَعْدَائِهِ، من اليهود والنصارى والملحدين، فوَصَفَ كَيْدَه بأنّه متين، فقال سبحانه في سورة الأعراف: ((وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، المتّصف بصفات الكمال عزّة وقوّة وكبرياءً، حذّرنا من كيد اليهود ووصفهم بأنّهم أشدّ الناس للمؤمنين عداءً، فقال سبحانه في سورة المائدة: ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)). وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أفضل هذه الأمّة جهاداً وفداءً، وأعظمها قدوة واطصفاءً، أرسله ربّه بالحق المبين، وابتعثه بالشرع المتين، فجلّى غوامض الشبهات، وأنار حنادس الظلمات، وأباد حزب الكفر وأنصاره، وشيَّد أعلام الدين ومناره .

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ فغدا * على الرُّسْل الكرام أميرا

وشقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله الذين رفعتَ لهم في مراتب السيادة درجاتٍ وأقدارًا. وصحابته الذين جعلتَهم له على دين الحقّ أعوانا وأنصارا. صلاةً نكون بها مِمَّن ملأتَ قلوبَهم مواهبا وأسرارا. وألبستهم من ملابس التقوى هيبةً ووقارا. وعاملتَهم بعفوك ومغفرتك. وجعلت لهم أعلى الفراديس منزلا وقرارا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ما زلنا نعيش في رحاب شهر عظيم مبارك من أشهر العام الهجري القمري الإسلامي، ألا وهو شهر ربيع الأوّل. والذي يحمل في طيّاته أحداثاً ووقائع غيّرت مجرى التاريخ. ففيه وُلِد الحبيب المصطفى. والنبيّ المجتبى. سيّدنا محمد

صلى الله عليه وسلّم. وبمولده أشرقت أنوار الهداية والرشاد. وتنفّست البشرية عبير الحريّة. وعرفت طَعْم الحياة. كما يذكِّرنا مطلع هذا الشهر كذلك بتاريخ الإسلام المجيد. وماضيه التليد. وعزّة رجاله. وفخْر أبنائه. وعلوّ رايته، ففي مثل هذا الشهر من العام الرابع للهجرة النبوية المباركة كانت أحداث غزوة يهود بني النضير. وبنو النضير رهط من اليهود من ذريّة سيّدنا هارون عليه السلام. نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً لخروج النبيّ المنتظر الذي بشّرت به الأنبياء. ويجدونه مكتوبا في كتبهم. قال تعالى في سورة الأعراف: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيءَ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ))، وقال في سورة البقرة: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ أيْ: يعرفون النبي المصطفى سيّدَنا محمداً صلى الله عليه وسلم. كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))، ظناً منهم أنّه سيُبْعَث منهم؛ فبعث الله نبيّه المصطفى صلى الله عليه وسلم من العرب لا من اليهود. وقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس كافّة إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ومن هذه اللحظة كفر اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وأعلنوا الحرب والعداء لدعوته منذ اللحظات الأولى، قال الله جل وعلا في سورة البقرة: ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ))، يقول الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في همزيّته:

بَيَّنَتْهُ تَوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيــ*ـــلُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ

إِنْ تَقُولُوا مَا بَيَّنَتْهُ فَمَا زَا * لَتْ بِهِ عَنْ عُيُونِهِمْ غَشْوَاءُ

أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَتْهُ فَمَا لِلْـــ*ـــأُذْنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَّاءُ

عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلْماً * كَتَمَتْهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَدَاءُ

أَوَ نُورَ الإِلَهِ تُطْفِئُهُ الأَفْـــ*ـــوَاهُ وَهْوَ الذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ

أَوَ لاَ يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ * بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ

وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طُلْـ*ـلَّتْ دِماً مِنْهُمُ وَصِينَتْ دِمَاءُ

كَيْفَ يَهْدِي الإِلَهُ مِنْهُمْ قُلُوباً * حَشْوُهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ

أيّها المسلمون. وكان هؤلاء اليهود ثلاث فِرَق يسكنون المدينة المنوّرة. بنو قَيْنُقَاع، وبنو النَّضِير، وبنو قُرَيْظة. وقد عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معهم بعد الهجرة معاهدة على ألاّ يحاربوه ولا يقفوا مع مَنْ يحاربه، ولكن طبيعة اليهود الغدر والخيانة وعدم الوفاء. ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يتخلَّوا عن تلك الصفات الذميمة الخسيسة. فنقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانت نهايتهم بما يتلاءم مع تلك الأفعال. حيث أجلى بني قَيْنُقَاع أيْ أخرجهم وطردهم من المدينة المنوّرة. وهم أوّل يهود نقضوا العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وذلك في شهر شوّال من السنة الثانية للهجرة. وأجلى بني النَّضِير في شهر ربيع الأوّل من العام الرابع للهجرة. وقتل رجال بني قُرَيْظة في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة. وقد نزل في إجلاء بني النضير سورة الحشر. التي يقال لها سورة بني النضير؛ فقد ثبت في صحيح البخاري عن سَعِيدِ بن جبيرٍ قال: قلت لابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُورَةُ الْحَشْرِ قال: قُلْ سُورَةُ النَّضِيرِ، أيّها المسلمون. تعدّدت أسباب هذه الغزوة. وتنحصر جميعها في غدر اليهود وخيانتهم. ولعلّ أبرز هذه الأسباب تلك الجريمة النكراء. والخيانة العظمى. التي أقدم عليها بنو النضير ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم. حيث تروي لنا كتب السنّة والسيرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم مع عشرة من كبار الصحابة، منهم سادتنا أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ليستعين بهم في دية قتيلين قتلهما خطأ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ، وهما من بني عامر. وكان ذلك حسب الإتّفاقيّة المبرمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبني النضير حول أداء الدّيّات. وإقراراً لما كان يقوم بين بني النضير وبني عامر من عَقْد وحِلْف، فاستقبله يهود بني النضير بِالْبِشْرِ والتّرْحَابِ، ووعدوا بأداء ما عليهم من المساهمة في ديّة القتيلين، بينما كانوا يدبّرون أمرًا لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلّم ومَنْ معه. حيث أجلسوه في مجلسٍ في ظلّ جدار من بيوتهم، فرجع بعضهم إلى بعض وتشاوروا حيث قالوا: إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فهل مِنْ رجل منكم يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ مساكين، يحسبون أنّ الذي أرسله وأنزل عليه الكتاب سيتخلّى عنه، وغابت عنهم معالم قوله تعالى في سورة الزمر: ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ))، ومعاني قوله تعالى في سورة المائدة: ((وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ))، فانبعث أشقى القوم تستشرف نفسه أن يقال له: قَتَل محمداً. فَانْتدبَ لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحد اليهود، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي على الرسول صلى الله

عليه وسلم رَحًى كبيرةً. أَيْ: مطحنة معروفة مصنوعة من الحجر، فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما يُبَيِّتُ اليهودُ من غَدْرٍ، ولكن ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)). فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنّما يريد قضاء حاجته، فلمّا غاب واستبطأه مَنْ معه من الصحابة خرجوا يسألون عنه فعلموا أنّه قد دخل المدينة، وقد سجّل القرآن الكريم هذه الواقعة في آيات بيّنات من سورة المائدة. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)). أيّها المسلمون. لما كان التَّبْيِيتُ لِلْغَدْرِ برسول الله صلى الله عليه وسلم في محلّة بني النضير. لم يَبْقَ مَفَرٌّ من نَبْذِ عهدهم إليهم كما قال تعالى في سورة الأنفال: ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)). لأنّ اليهود لا يصلح معهم المفاوضات ولا يستجيبون لعهود ومواثيق. بل علاجهم الناجح ومعاملتهم الواجيهة هي القوّة. التي لا يعرفون غيرها ولا يؤدّبهم سواها، ومن هنا كان إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فَوْر عودته إلى المدينة، بهذه اللهجة القويّة. ومن مركز القوّة. وبعزّة المؤمن وثقته في نصر الله عزّ وجلّ، حيث أرسل إليهم محمد بن مسلمة برسالة يبلغها لسادتهم: ((قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي. أخرجوا من بلادي، لا تساكنوني فيها، فقد أجّلتكم عشراً، فمَن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه)). فلم يجدوا جواباً يردّون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: يا محمد ما كنّا نظنّ أنْ يجيئنا بهذا رجل من الأوس. فقال لهم: تغيّرت القلوب ومحا الإسلام العهود. فقالوا: نتحمّل ، فمكثوا أيّاماً يعدّون العدّة للرحيل، ويأبى النفاق إلا أن يلعب دوره في عالم الخيانة والغدر. فيمدّ رئيس المنافقين عبد الله بن أُبَيْ بن سلول يد المساعدة لليهود. معاهِداً إيّاهم على النصرة والمنعة والحماية ضدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه، فأنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)). وهناك عادت لليهود ثقتهم، وطمع رئيسهم حُيَيّ بن أخطب فيما قاله رئيس المنافقين؛ فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له: إنّا لن نخرج من ديارنا؛ فاصنع ما بدا لك. أيّها المسلمون. حين بلغ جوابُ حيي بن أخطب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كبَّرَ وكبَّرَ المسلمون معه، ثم نهض صلى الله عليه وسلم لقتالهم ومناجزتهم، وسار إليهم يحمل اللواء سيّدنا علي بن أبي

طالب، فلمّا وصل إليهم فرض صلى الله عليه وسلم عليهم الحصار، فالتجأ اليهود إلى حصونهم، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر صلى الله عليه وسلم بقطعها وتحريقها، فنادوه: أنْ يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه. فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ أنزل الله تعالى في ذلك: ((مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)). فلمّا رأى المنافقون جديّة الأمر. خانوا حلفاءهم اليهود. فلم يسوقوا لهم خيراً، ولم يدفعوا عنهم شرّاً، ((وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ)). ولهذا مثَّلهم اللهُ سبحانه وتعالى بالشيطان فقال: ((كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)). فاستمرّ الحصار ستّ ليال على رواية ابن هشام، وقيل خمسة عشر يوما. حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا واستسلموا، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يجْلِيَهم ويَكُفَّ عن دمائهم على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّتْ به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عَنْ خَشَبَةِ بابه فيحمله على ظهر بعيره، أو يخرّبه حتى لا يسكنه المسلمون حسدا وبغضا. قال الله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). وقد أشار لقصّتهم الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في همزيّته بقوله:

خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْـــ*ـــفَقُ إلاَّ عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ

وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الأَحْزَابِ * إِخْوَا نِهِمُ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ

حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ * رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْحُلَفَاءُ

أَسْلَمُوهُمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ لاَ مِيـ*ـــعَادُهُمْ صَادِقٌ وَلاَ الإِيلاَءُ

سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوباً * وَبُيُوتاً مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلاَءُ

أيّها المسلمون. فخرج جماعة منهم إلى خيبر. ومنهم مَن سار إلى الشام. ولم يُسْلِم من بني النضير إلا رجلان. وهما: يامين بن عُمَيْر، وأبو سَعْد ابن وهب. قال أحدهما لصاحبه: واللهِ إنّك لتعلم أنه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا، فنزلا من الليل وأسلما فأحرزا أموالهما. وكانت أموال بني النضير فَيْئًا خالصًا لله وللرسول صلى الله عليه وسلم. حيث أنّ المسلمين غنموها دون قتال. وقد نبّه الله تعالى عباده المؤمنين على أنّ المعركة التي لا يكون فيها قتال فإنّ الفيء يكون للنبي صلى الهن عليه وسلم يضعه حيث شاء. فقال تعالى: ((وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). فقسّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين خاصَّةً دون الأنصار. عدا رجلين من الأنصار فقيرين هما: سهل بن حنيف وأبو دجانة سماك بن خرشة، وذلك أنّ المهاجرين لم يكن لهم مال بعد الذي تركوه في مكة. وتجرّدوا منه كلّه من أجل عقيدتهم، وكان الأنصار قد أنزلوهم دُورهم وشاركوهم مالهم في أَرِيحِيَّةٍ عاليةٍ وأخوةٍ صادقةٍ وإيثارٍ عجيبٍ ليس له مثيل، ولمّا حانت الفرصة كانت القسمة للمال كما قال الله عزّ وجلّ: ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ)). وامتدح الله الأنصار رضي الله عنهم بمحبّتهم لإخوانهم المهاجرين. وإيثارهم على أنفسهم حتى لو كان بهم الفقر والحاجة والخصاصة، ونزع الله من قلوبهم الْغِلَّ ووجود الحرج لصِدْق إيمانهم وسلامة صدورهم، فأعقب هذه الآية السابقة بالآية اللاحقة في تناسق عجيب وتعبير بليغ كما هو الحال في آيات القرآن الكريم فقال الله عز وجل: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). ثم ذكر الله عزّ وجلّ أهمّ خصائص هذه الأمّة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين حقًّا ومِن عباده المتّقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي

قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)). اللهم مَنْ أرادنا وديننا وبلادنا وأمننا بسوء فاشغله بنفسه. واجعل كيده في نحره. واجعل تدبيره في تدميره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

21- طلب الإنتفاع بقَدْر المستطاع للفائدة والإستمتاع من أخبار غزوة ذات الرِّقاع

الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم الشفيع المشفَّع في المحشر. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يُتَشرَّفُ بعِلْمِه في الدارَيْن ويُفْتَخَرْ. نحمده تعالى أن أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذكر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند سماع خَبَرٍ عنه مصدره أو إليه منتماه. فإنّ الإرتياح للذّكر شهادة الحبّ. وأمارة المُحِبّ. وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم نَقَلَةُ السنّة. أنّ مَنْ أحبّه كان معه في الجنّة. فنسأل الله تعالى أن يكتبنا في محبّيه. الواقفين عند حدّ أوامره ونواهيه. آمين. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. ينصرُ رُسُلَه والصالحين من عباده في كلّ وقت وحين. يمدُّهم بمدده. ويذود عنهم بجُنْده. ويفتح بهم ولهمْ الفتح المبين. ليُظْهِرَ الحقَّ ويُزْهِقَ الباطلَ ويَقْطَعَ دابرَ الكافرين. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. ابتعثه الله تعالى وقد طغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها. وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبّارها. فقاومهم وجاهدهم إلى أن زكّى أنفسهم من أشرارها. وتركهم على المحجّة عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا. لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ. متّبِع لشرور نفسه وفجورها

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتبِ * وشائقين بمدح الطّيّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. العليّ الجاه والمقدار. وعلى آله الأجلّة الأطهار. وصحابته النجباء الأخيار. صلاة تكفينا بها شرّ الأشرار وكيد الفجّار. وتمنحنا بها درجة رفيعة في أعالي الفراديس ودار القرار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أَمَّا بَعْدُ:** فيا أيّها المسلمون. إنّ التعرّف عن سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ومعجزاته ومغازيه. والإعتبار بها. والتفكير فيها. لصلاحًا للقلب. وزيادة في إيمان العبد. واستقامة للحال. وسعادة في المآل؛ ذكر إبن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية عن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: كان أبي يعلّمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعدّها علينا ويقول: يا بنيّ هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها. وقال الزّهري: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة. وهو أوّل من ألّف في السّير. وقال علي بن الحسن: كنّا نُعلَّم مغازي النبيّ صلى الله عليه وسلم. كما نعلَّم السورة من القرآن. أيّها المسلمون. ارتبطت أسماء بعض الغزوات بحجم المعاناة والمشقّة التي كان يجدها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم اجمعين، في سبيل الدعوة ونشر الإسلام. ففي مثل هذا الشهر أعني في شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة كانت غزوة من هذه الغزوات التي بلغ الجهد فيها بالصحابة مبلغه، حتى لبسوا الجلود والخِرق واستخدموها كنوعٍ من الأحذية، بدلاً من النعال أو الخفّ، إنّها غزوة ذات الرقاع. ففي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، قَالَ: فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، فَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ. فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنْ الْخِرَقِ. وتسمّى أيضا غزوة الأعاجيب. أيْ لِمَا وقع فيها من الأمور العجيبة، أيّها المسلمون. كانت هذه الغزوةُ في إطارِ حملةِ النبيِ صلى الله عليه وسلم لمعالجةِ آثارِ مأساةِ غزوة أُحُدٍ، إذ طمَعتْ قبائلُ الأعراب الهمجيةُ في المسلمين؛ وظنّوا أنّ شوكةَ المسلمين كُسِرت بعد أُحُد، وممّا زاد الطينةَ بلّةً أنْ عدى بعض الأعراب على جماعتَيْن من الدعاةِ إلى الله. كانوا في طريقهم لدعوة بعضِ القبائلِ إلى الإسلامِ؛ فكانت مآساةُ يوم الرجيع ومذبحةُ بئر معونة؛ فقَتل الأعرابُ في شهرٍ واحد نحو ثمانين صاحبيًّا، وكان ذلك في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة. وبعدما فرغ النبيُ صلى الله عليه وسلم من تأديب يهود بني النضير؛ بإجلائهم من المدينة المنوّرة؛ مكث شهري ربيع وبعض جمادى. ثم توجّه صلى الله عليه وسلم

بجيشه نحو نجد يريد أن يأخذ بثأر أصحابه من هذه القبائلِ الغادرةِ، قبائل محارب وبني ثعلبة، الذين فتكوا بالصحابة القرّاء الأبرياء. رضي الله عنهم. وذلك حين بلغه أنّهم جمعوا الجموع للهجوم على المدينة المنوّرة؛ فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن سار إليهم في عُقْر دارهم على رأس سبعمائة مقاتل، واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه. وذلك من عجائب التربية النبوية؛ أن أمّر صلى الله عليه وسلم على المدينة المنورة رجلاً من غير الأوس والخزرج، بل هو في عُرْف الجاهلية ينتسب إلى قبيلة من الأعراب ممّن عُرِف عنهم قَطْع الطريق. وهو بذلك صلوات الله وسلامه عليه إنّما يريد أن يطبق قوله في صحيح مسلم: ((إِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا)). فلمّا وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم، دبّ الرعبُ في أرض الظالمين، وخافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال، تاركين نساءهم وأموالهم، هلعًا وفزعًا، وهكذا الجُبْنُ أخو العار، كما أنّ الغدر أخو الشنار. وهكذا، انتصر المسلمون بالرعب. وهو تأييد ربّ العالمين لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ولعامّة المؤمنين، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال في الحديث الصحيح: ((وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)). وعسكر النبي صلى الله عليه وسلم في ديارهم، ليؤكِّد النّصرَ، وليبثَّ الرعبَ، ولمّا كان العدوّ بالجبال؛ وخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، شرع اللهُ تعالى في هذه الغزوة حيئنذ صلاةَ الخوف لضررورة القتال، حيث يصلّي المسلمون الفرائض الخمسة في أوقاتهنّ. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَكْعَتَيْ الْخَوْفِ. وبيّن القرآن الكريم صفة صلاة الخوف ساعة مواجهة العدوّ، قال تعالى في سورة النساء: ((وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)). وصفة هذه الصلاة أنّ طائفة صُفَّت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وطائفة بقيت في وجه العدوّ، فصلّى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً، وأتمّوا لأنفسهم ثم انصرفوا. فصُفُّوا وِجاه العدوّ، وجاءت الطائفة

الأخرى فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتمّوا لأنفسهم ثم سَلَّم بهم. وانتهت الصلاة، ولم يحدث شيءٌ ممّا كان يخشاه المسلمون. وهذا يدلُّ على أهميّة الركن الثاني من أركان الإسلام، ألا وهو الصلاة، فلو كان ثمّةَ تهاونٌ لرفعها الله عن كاهل المجاهد. الذي يقاتل عن بَيضَةِ الدين، وثغر الوطن. ثم هو درسٌ آخرٌ في ضرورةِ ارتباطِ المجاهدِ بالله تعالى دومًا. ولا سيما في ساحات القتال، ليتّصفَ المجاهدُ بالربانية دومًا؛ التي هي شرطٌ أساسي في جند الله. قال تعالى في سورة البقرة: ((حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ)). وقد حقّقت هذه الحملة العسكرية أغراضها. وتمكّنت من تشتيت الحشد الذي قامت به غطفان لغزو المدينة المنوّرة. فأرهب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك القبائل. وألقى عليها درسًا بأنّ المسلمين ليسوا قادرين فقط على سحق من تحدّثه نفسه بالإقتراب من المدينة. بل قادرين على نقل المعركة إلى أرض العدوّ نفسه. وضربه في عُقْر داره. مهما كانت الصعوبات. مثل ما وقع في هذه الغزوة. حيث كان هناك نقصٌ شديد في عدد الرواحل، حتى إنّ الستّة والسبعة من الرجال كانوا يتعاقبون على ركوب البعير. وممّا زاد الأمر سوءاً. بُعْد المسافة. ووُعُورة الأرض. وكثرة أحجارها الحادّة، التي أثّرت على أقدامهم حتى تمزّقت خفافهم، وسقطت أظفارهم، فقاموا بلفّ الخِرَق والجلود والرقاع على الأرجل؛ ليضمّدوا أرجلهم بها. خاصّة مع شدّة الحرّ. ومن هنا جاءت تسميّة هذه الغزوة بغزوة ذات الرقاع، ولم يتجرّء هؤلاء الأعراب ولا غيرهم على رفع رءوسهم بعد هذه الحملة العسكرية المباركة. واستكانوا شيئا فشيئاً حتى استسلموا وأسلموا. وقاموا مع المسلمين فيما بعد في فتح مكة وغزوة حنين. أيّها المسلمون. حدث في هذه الغزوة عدّة مشاهد ووقائع عجيبة. لهذا سُمِّيَت بغزوة الأعاجيب. فمنها ما تقدّم ذِكْره. ومنها ما وقع عند رجوعهم إلى المدينة بعد أن حصل لهم مقصودهم من الغزو. ففي طريق عودتهم، ومع حلول الليل، فرض النبي صلى الله عليه وسلم حراسةً على المعسكر، واختار لهذه المهمّة رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار، وهما عبّاد بن بشر وعمّار بن ياسر رضي الله عنهما، وقسّم الليل بينهما نصفين، فاختار عبّادٌ بن بشر أوّل الليل وقام يصلي، واستغلّ أحد المشركين هذه الفرصة فأطلق سهماً أصاب عبّاداً رضي الله عنه، فنزع السهم من جسده ومضى في صلاته، ثم رماه المشرك بسهم ثانٍ وثالثٍ وهو مع ذلك مستمرٌّ في صلاته، ولم ينصرف حتى أتمّها، فأيقظ عمّاراً ليسعفه بالنجدة،

فلمّا رأى المشرك ذلك ولّى هارباً، فقال عمّار وهو يرى الدماء تسيل من جسد عبّاد: سُبْحَانَ اللهِ! أَفَلا أَهْبَبْتَنِي أَوّلَ مَا رَمَاك؟ فقال عبّاد رضي الله عنه: كُنْت فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتّى أُنْفِدَهَا، فَلَمّا تَابَعَ عَلَيّ الرّمْيَ رَكَعْتُ فَأَذِنْتُك، وَأَيْمُ اللهِ لَوْلا أَنْ أُضَيّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِدَها. لقد بلغ هذا الصحابي إلى درجة من الخشوع والإستمتاع بالقيام وبتلاوة القرآن مبلغًا جعله لا يبالي بتلك الوخزات التي كان يشعرُ بها في قيامه. وهذا المشهد فيه إشارةٌ لطيفة، أنّهم رضوان الله عليهم أحرصُ الناس على الوقت؛ فلم يكتفِ عبّادٌ بالحراسة بل جمع لها القيام، إستثمارًا للوقت، رغم ما بهم من ضنك وشدّة، واستيقظ الجيش في الصباح الباكر، وواصلوا السير إلى الظهيرة، وحان وقت القيلولة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ وهو نبات شوكي. وتفرّق الناس يستظلّون بالشجر، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شجرة سَمُرَةٍ؛ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. فجاء أحد الأعراب وأخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على رأسه وقال له: مَن يمنعك منّي؟ وفي ظنّه أنّه قد تمكّن من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم أنّ الله تعالى قد عصمه من الناس. وتكفّل بحفظه ورعايته، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بكل ثقة ويقين: ((الله))، فلم يتمالك الأعرابيّ نفسه، وأخذته الرجفة حتى سقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: من يمنعك منّي؟ فاعتذر الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم ورجاه أن يتركه ويعفو عنه، فقال له صلى الله عليه وسلم: تشهد أن لا إله إلا الله وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قال: أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فأطلق سراحه، وترك هذا العفو أثراً كبيراً في نفس الأعرابي، حتى إنّه عاد لقومه وهو يقول: قد جئتكم من عند خير الناس. وأسلم هذا بعد، وكانت له صحبة. وفي رواية: أنّ عددًا كبيرًا من أهله قد أسلم، وأنّ هذا الرجل كان اسمه غَوْرَث بن الحارث. وهذه القصّة وإن كانت في ظاهرها عابرة. إلا أنّها تركت أثرًا كبيرًا في أعراب هذه المنطقة من غطفان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس رجلاً كريمًا فحسب، وليس قائدًا شجاعًا جريئًا فقط، وإنّما هو أيضًا نبيّ مرسَل؛ لأنّه ليس من عادة الملوك والقادة أن يتركوا مَن وقف على رؤوسهم بالسيف مهدِّدًا هكذا دون أن يقتلوه، وليس من عادتهم الرحمة والتسامح إلى هذا الحدّ. ولا شكّ أنّ هذه القصّة كان لها أبلغ الأثر في تفكير هؤلاء الأعراب جديًّا في قضيّة الإسلام. أيّها المسلمون. وفي طريق العودة أيضًا، نظر النبي صلى

الله عليه وسلم في جيشه فلم ير جابرَ بن عبد الله رضي الله عنه، وقد كانت سنّة النبي صلى الله عليه وسلم أن يتفقّد أصحابه دومًا في المنشط والمكره. وجابرٌ رضي الله عنه أهلٌ لهذه العناية في هذه الأيام بالذات؛ فقد استُشْهِد أبوه في غزوة أُحُدٍ، وهو سيّدٌ من سادات الأنصار، وقد خلّف وراءه تبعةٌ ثقيلة تَحمّلها ابنه الأكبرُ هذا وحده، وترك الأبُ لولده مهمّةَ رعاية البنات اليُتَّم، وقد بلغ عددهنّ سبعًا، على فقر وشظف، وكان أجدر بغير جابرٍ أن يتخلّف عن مثل هذه الغزوة، متعلِّلاً بهذه المسؤولية الأسرية الصعبة، ولو تخلّف مثل جابر لكان له في ذلك ألفُ عذر. ولكنّها أسرة مسلمةٌ مجاهدة، وربّها مجاهدٌ ابن مجاهد، ومَن يشابه أباه فما ظَلَم.
فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مُرْتَحِلًا عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَعَلَتْ الرِّفَاقُ تَمْضِي، وَجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟)) قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا، قَالَ: ((فَأَنِخْهُ)). وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: ((أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ)) أَوْ قَالَ: ((اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ)). قَالَ فَفَعَلْتُ، قَالَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: ((ارْكَبْ)). فَرَكِبْتُ، فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً، أيْ يُبَارِيهَا في السَّيْر ويُماشيه. قَالَ: وَتَحَدَّثَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟)). قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهَبُهُ لَكَ، قَالَ: ((لَا، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ)). قَالَ قُلْتُ: فَسُمْنِي بِهِ، قَالَ: ((قَدْ قُلْتُ، أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ)). قَالَ قُلْتُ: لَا، إِذًا يَغْبِنُنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((فَبِدِرْهَمَيْنِ)). قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ. قَالَ قُلْتُ: فَقَدْ رَضِيتُ، قَالَ: ((قَدْ رَضِيتَ؟)). قُلْتُ: نَعَمْ، قُلْتُ: هُوَ لَكَ، قَالَ: ((قَدْ أَخَذْتُهُ)). قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟)). قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((أَثَيِّبًا أَمْ بِكْرًا؟)). قَالَ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا. قَالَ: ((أَفَلَا جَارِيَةً؟ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ)). قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنْ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً، تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: ((أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)). قَالَ: ((أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا وهو موضع قُرْب المدينة. أَمَرْنَا بِجَزُورٍ، فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَسَمِعَتْ بِنَا فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا)). قَالَ قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ، قَالَ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيِّسًا)). قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله

عليه وسلم بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ، وَدَخَلْنَا. قَالَ: فَأَخْبَرْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: فَدُونَكَ فَسَمْعًا وَطَاعَةً، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنَخْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ، قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ: ((مَا هَذَا؟)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ، قَالَ:((فَأَيْنَ جَابِرٌ؟)). فَدُعِيتُ لَهُ، قَالَ: ((تَعَالَ أَيْ يَا ابْنَ أَخِي. خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ، فَهُوَ لَكَ)). قَالَ: فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ: ((اذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً)). فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَازَالَ يَنْمِي عِنْدَنَا، وَنَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا حَتَّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ النَّاسُ يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ. أيّها المسلمون. هكذا كانت هذه الغزوة، حافلة بدروس جليلة، دروس في الشجاعة والبسالة، والتجرّد والتجلّد، في أهمية الصلاة، وفي ضرورةِ استشعارِ المسلمِ لخطرها، في فضل حراسة الثغور، وقيام الليل والخشوع، في فضلِ تفقّدِ الإخوانِ، والمشاركة في إصلاحِ معايشهم، وإزالة كرباتهم، ومواساتهم في محنهم. فما أحلى العيش مع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما أجمل الذكريات مع أيامه ومغازيه. ولنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممّن اعتبر وادّكر بهذه السيرة. فتاب إلى ربّه واستغفره من كلّ صغيرة وكبيرة. كما نسأله سبحانه بمنّه وكرمه أن يفتح على المسلمين فتحا من عنده، وأن يردّهم إلى دينهم ردّا جميلا، وأن يجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، اللهم إنّا نعوذ بك من الفتن. ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح شبابنا. وهيّئ لهم دعاة الهدى والفلاح. وجنّبهم دعاة السوء والضلال. اللهم مَنْ أرادنا ودیننا وبلادنا وأمننا بسوء. فاشغله بنفسه. واجعل كيده في نحره. واجعل تدبيره في تدميره. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

22- تحفة الأحباب بأخبار غزوة الأحزاب وذِكْر مناقب سيّدنا سلمان الفارسي صاحب الرّأي الصّواب

الحمد لله الذي اهتدى بهديه ورحمته المهتَدون، وضلّ بعدله وحِكْمته الضّالّون، له التصرّف التّام. لاَ يُسْأَلُ عمّا قضاه من أحكام. كما قال في سورة الأنبياء: ((لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)). فسبحانه من إله اختار لنبيّه سيّدِنا محمّدٍ صلى الله عليه وسلم خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. أرسل سيّدَنا محمّدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وأيّده بالصحابة الكرام، نجوم الهداية للمهتَدين. فكانوا بعد النبيئين والمرسَلين. أفضل الخلائق أجمعين. لذلك لم يلحق فضْلَهم أَحَدٌ من الأوّلين والآخرين. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره ربّه واصطفاه. ورقّاه مراتب وأعيانا، ثم بعثه متمّما لمكارم الأخلاق إلى كافّة الخلق إنسا وجانّا، وهدى به السبيل الأقْوَم لِمَن سبقت له عناية الله رحمة وإحسانا، وأَحْيا به طُرُقَ الإيمان بعد أن جُهِلَت مكانا وَوَهَتْ أركانا.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا

وشقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله الذين رفعتَ لهم في مراتب السيادة درجاتٍ وأقدارًا. وصحابته الذين جعلتَهم له على دين الحقّ أعوانا وأنصارا. صلاةً نكون بها مِمَّن ملأتَ قلوبَهم مواهبا وأسرارا. وألبستهم من ملابس التقوى هيبةً ووقارا. وعاملتَهم بعفوك ومغفرتك. وجعلت لهم أعلى الفراديس منزلا وقرارا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ثَمَّ رجالٌ لهم على أمّة الإسلام أياد بيضاء. لا ينال الأمّة خير ولا بركة إلاّ ولهم فيه القدح المعلَّى؛ بما بلَّغُوا من دين الله. وجاهدوا في سبيل الله. إنّهم صحابةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. إختارهم الله تعالى لصحبة نبيّه صلى الله عليه وسلم. وإقامة دينه. اشتدّ بالله عزمهم. وصدقت لله نواياهم. بالقرآن وآياته شادوا نظاما جديدًا. وعَالَمًا فريدًا في بضع سنين. وهذا اللهِ هو الإعجاز في

الإنجاز. روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمّد صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه. فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتلون على دينه. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرَ هذه الأمّة قلوبًا، وأعمقَها عِلْمًا، وأقلَّها تَكَلُّفًا، قوم اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيّه ونَقْل دينه.

أولئك أصحابُ النبّيّ وحزبُه * ولولاهمُ ما كان في الأرض مسلمُ

ولولاهمُ كادت تميدُ بأهلها * ولكنْ رواسِيَها وأوتادُها هُمُ

ولولاهمُ كانت ظلاماً بأهلها * ولكنْ هُمُ فيها بُدُورٌ وأنْجُمُ

أثنى الله عليهم في كتابه. وأخبر أنّه راضٍ عنهم. وأعدَّ لَهُمُ الحسنى. قال تعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). نفوسٌ صَدَقت في إيمانها. وأخلصت لله نيّاتها. فحرّروا العالَم من وثنيّة العبوديّة وتيه الضمير. وضلال المسير وضياع المصير. بالوقوف على أخبارهم تحيا القلوب. وبالإقتداء بآثارهم تكون السعادة. وكم تزداد الحاجة إلى ذلك في زمنٍ شَغُلَ فيه الناس. وأُشْغِلوا بتوافه الأخبار عن السابقين أو اللاحقين. مِمَّن لم ينالوا من تلك الفضائل فتيلا ولا قطميرًا. أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابيّ جليل. كان له الفضل بِحُسْن مشورته وتدبيره. في غزوة من أعظم الغزوات. أنزل الله فيها سورةً تُتلى إلى يومِ الدّين والمآب. وسمّاها في القرآن العظيم بسورة الأحزاب. واشتُهِرَت باسم غزوة الخندق. نسبة إلى هذه الإستشارة التي أدلى بها هذا الصحابيّ الجليل. ألا وهو: سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه، ففي هذا الشهر، أي شهر شوّال من السنة الخامسة من الهجرة النبوية. كانت وقعة الخندق. التي اجتمع فيها أحزاب الشيطان على أولياء الرحمن، وسببها أنّه بعد غزوة أُحُد. وإجلاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهودَ بني النّضير من المدينة المنوّرة. ثارت ثائرة اليهود، فخرج جمع من كبرائهم، إلى قريش وغطفان وحرّضوهم على حرب النبيّ صلى الله عليه وسلم. فتحزّب الأحزاب لقتال رسول

الله صلى الله عليه وسلم. وكان عددهم عشرة آلاف مقاتل. وقائدهم سيّدنا أبو سفيان رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك يوم فتح مكة. والمسلمون ثلاثة آلاف. فلمّا سمع بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم. إستشار أصحابه أيخرج إليهم أم يبقى في المدينة، فأشار عليه سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يحفر خندقا على المدينة يمنع العدوّ عنها. إذ لم تكن العرب تعرفه. فقال: يا رسول الله إنّا كنّا بأرض فارس. إذا تخوّفنا الخيل. خندقنا علينا، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يُحْفَر الخندق من جهة الشمال الشرقي. وقسّم العمل والمهام على الصحابة، وشاركهم عليه الصّلاة والسّلام في الحفر، وكان طول الخندق حوالي كيلومترَيْن ونصف، وعُرْضه أربعة أمتار ونصف، وعمقه يتراوح ما بين ثلاثة أمتار ونصف إلى خمسة أمتار، وأمّا الجهات الأخرى فتضاريسها الصعبة شكّلت حِصْنًا طبيعيًّا يصعب على العدوّ اختراقه. وتمّ حفر الخندق بسرعة. رغم الجوّ البارد. والمجاعة التي أصابت المسلمين؛ واشتدّ بهم الحال. وضاق عليهم الأمر لمّا سمعوا أنّ يهود بني قريظة. وكانوا شرقيّ المدينة. نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ)). يعني الأحزاب. ((وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ)). يعني بني قريظة. ((وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)). وانقسم الناس إلى قسمَيْن. فالْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ قالوا: ((مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا)). والْمُؤْمِنُونَ قالوا: ((هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)). ومكث الأحزاب محاصرين للنبيّ صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر. فدعا عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم. فأرسل الله عليهم ريحا شديدة قويّة. أسقطت خيامهم. وأطفأت نيرانهم. وأرسل عليهم جندًا من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب، فرحلوا لم ينالوا خيرًا. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)). وأزاح الله تعالى عن المسلمين هذه الغمّة. التي تحزّب فيها الأحزاب. من عرب ويهود، ولو لا لُطْف الله وعنايته بهذا الدين مِنَّةً منه وفضلاً. لساءت الأحوال. وكان جلاء الأحزاب نعمة من الله على المؤمنين. كما قال سبحانه في سورة الأحزاب: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)). وروى البخاري في صحيحه عن سليمان بن صُرَد رضي الله

عنه قال: سمعت النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول حين أُجْلِيَ الأحزاب عنه: ((الآن نغزوهم، ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)). وهكذا كان. حتّى فتَح الله عليه مكّةَ. ثمّ توجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة. فقتل رجالهم. وسبى نساءهم. بِحُكْمِ سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه. أيّها المسلمون. حريٌّ بنا أن نتعرّف على بعض مناقب وسيرة سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه. صاحب فكرة حَفْر الخندق. كان يُعْرَف بسلمان الخير، أو الباحث عن الحقيقة، وكان رضي الله عنه إذا سُئِل مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن الإسلام، من بني آدم، وقصّة إسلامه رضي الله عنه قصّة طويلة عظيمة، فيها العِبْرة والعِظَة والفائدة، مُلَخَّصُهَا: أَنَّهُ هَرَبَ مِنْ أَبِيهِ لِطَلَبِ الْحَقِّ. وَكَانَ مَجُوسِيًّا. فَلَحِقَ بِرَاهِبٍ ثُمَّ بِرَاهِبٍ ثُمَّ بِآخَرَ، وَكَانَ يَصْحَبُهُمْ إِلَى وَفَاتِهِمْ. حَتَّى دَلَّهُ الْأَخِيرُ إِلَى الْحِجَازِ. وَأَخْبَرَهُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَصَدَهُ مَعَ بَعْضِ الْأَعْرَابِ. فَغَدَرُوا بِهِ. وَبَاعُوهُ فِي وَادِي الْقُرَى لِيَهُودِيٍّ. ثُمَّ اشْتَرَاهُ مِنْهُ يَهُودِيٌّ آخَرُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ. فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ. فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَى عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ أَسْلَمَ. ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَدْر وأُحُد، فكان أوّل مشاهده الخندق، ثم قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَاتِبْ عَنْ نَفْسِكَ. قال سلمان: فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة. وعلى أربعين أوقيّة من ذهب. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعينوا أخاكم، فغرس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّخل كلّه. إلا نخلة غرسها سيّدنا عمر، فأطعم النخل كلُّه إلا تلك النخلة التي غرسها سيّدنا عمر، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من غرسها؟ قالوا: عمر، فقلعها وغرسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده الشريفة فأطعمت من عامها. وأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل بيضة الحمامة من ذهب. وقال له: خذ هذه فأدّها مِمَّا عليك يا سلمان. قال سلمان: فأخذتها فوزنت لهم منها. والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقيّة، فأوفيتهم حقّهم. وبقي عندي مثل ما أعطيتُهم. وإلى هذه القصّة أشار صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله تعالى بقوله:

وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ * دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ

كَانَ يُدْعَى قِنّاً فَأُعْتِقَ لَمَّا * أَيْنَعَتْ مِنْ نَخِيلِهِ الأَقْنَاءُ

أَفَلاَ تَعْذُرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا * أَنْ عَرَتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ

أيّها المسلمون. وقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه. كلماتٍ مشْرِقةً مضيئة. هي بمثابة أَوْسِمَةٍ منحها إيّاه النبيّ صلى الله عليه وسلم. نالها باستحقاق وجدارة. جاء في حِلْيَة الأولياء لأبي نعيم عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السُّبَّاقُ أَرْبَعٌ: أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الْفُرْسِ، وَبِلالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ)). وروى الترمذي في سُنَنه في باب مناقب سلمان الفارسي رضي الله عنه. عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ)). وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر عن عامر بن الحصيب. أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أمرني ربّي عزّ وجلّ بحبّ أربعة .وأخبرني أنّه يحبّهم. إنّ منهم: علي بن أبي طالب. والمقداد بن الأسود. وأبا ذرّ الغفاري .وسلمان الفارسي)). وعندما كان الصحابة رضي الله عنهم يحفرون الخندق. تنافس المهاجرون والأنصار في سلمان. فكلاهما يقول: سلمان منّا. إفتخاراً به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سلمان منّا أهل البيت)). وما أجمل ما قال الشاعر في ذلك:

أيا سلمانُ يا مَن حازَ فضلاً * وعَمْرُ الناس إحساناً ومَنّا

ونال بخدمة المختار طه * وعِترتهِ الأكارمِ ما تمنّى

لقد فُقتَ الورى شَرَفاً وفخراً * لقولِ المصطفى سلمانُ مِنّا

وكان رضي الله عنه من خيار الصحابة وزهّادِهم وفضلائِهم، وذوي القرب من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذَكَر ابن عبد البرّ في كتابه الإستيعاب بمعرفة الأصحاب. عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان ملازما له لم يفارقه إلا لحاجة، حتى قال صلى الله عليه وسلم في حقّه: ((لا تقولوا سلمان الفارسي بل قولوا سلمان المحمّدي)). وحين هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة. واستقرّت به الدار هناك، آخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار. فآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء عُويمر بن ثعلبة. رضي الله عنهما. فأقام سلمان أيّاما مع أبو الدرداء في دار واحدة، و كان أبو الدرداء يقوم الليل و يصوم النهار. وكان سلمان يرى مبالغته

في هذا. فحاول أن يثنيه عن صومه هذا، فقال له أبو الدرداء: أتمنعني أن أصوم لربّي وأصلِّيَ له؟ فأجاب سلمان: إنّ لعينيك عليك حقّا، وإنّ لأهلك عليك حقّا. صم وافطر، وصلّ ونم. فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه و سلم. فقال: ((لقد أُشْبِعَ سلمان علما)). وكان سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه. يلقبّه بلقمان الحكيم، وسئل عنه بعد موته فقال: ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، مَنْ لكم بمثل لقمان الحكيم؟ أوتي العلم الأوّل والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل والكتاب الآخر، وكان بحرا لا ينزف. أيّها المسلمون. تولَّى سيّدنا سلمان الفارسي ولاية المدائن من أرض العراق في عهد سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان رافضا لها. ويقول: إن استطعتَ أن تأكل التراب ولا تكوننّ أميرا على اثنين فافعل. قضى عمره المديد مُجِدّاً في طلب الحقّ. حتى كان له ما أراد، وقد شاء الله تعالى له أن يعود من حيث أتى، إلى وطنه وأهله وعشيرته. دالاً لهم ومرشِداً، وأميرَ عَدْلٍ يحكم بينهم بالحقّ. وفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه توفّي سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه. وقد تولّى دَفْنه والصلاة عليه وتجهيزه سيّدنا علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه. وقد حضر عنده قادما من المدينة إلى المدائن جنوب بغداد بالعراق. و قبره عليه قبّة ومسجد وصحن كبير، وهو إلى الآن يُزار ويُتَبرَّك به. فمناقبه رضي الله عنه شهيرة. والأحاديث الواردة في حقّه كثيرة. ويكفي أنّه من الصحابة الحنفاء. المخصوصين بالإنتساب إلى آل بيت المصطفى. ومِمَّن رضي الله عنهم ورضوا عنه من أهل الصدق الوفاء. رزقنا الله حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. اللهم اجعلنا من أحبابهم. وأتباعهم وأحزابهم. وأن تشرح بحبّهم صدورنا. وتيسّر بجاههم أمورنا. بجاه حبيبك سيّدنا محمّد. صلى الله عليه وسلم. عين كمالاتهم. وسرّ جمالاتهم وجلالتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

23- نصائح لتفادي الأعطاب بإسقاط أحداث غزوة الأحزاب على واقعنا في مواجهة (كورونا) بالحجر الصّحّي المستطاب

الحمد لله ممزّق ظُلَلَ البلاء عند اِدْلِهْمَامِهَا. ومفرّق جموع الأعداء بَعْد اِلْتئامها. ومبدِّد شمل الفئة الكافرة حين انتظامها. ومؤيِّد العصبة الصابرة بعزّ نصره أوان استسلامها. فسبحانه من إلهٍ اِقْتضت حِكْمته أن يمتحن خيار عباده بأنواع البلاء. ليرفع درجاتِهِم ويجزِيَهم أحسن الجزاء. ويثبِّت المخلِصِين بالقوْل الثابت في السّرّاء والضّرّاء. ويربط على قلوبهم فيَصْدُقون في الشّدّة والرّخاء. نحمده تعالى حَمْدَ مَنْ ظَنُّه في ربّه جميل. ونشكره شُكْرَ ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. رب الأرباب، علّق النتائج بالأسباب، وهزم وحده سبحانه وتعالى الأوباش في غزوة الأحزاب، ونصر بشرعه من تمسّك به من أُولي الألباب، وأشهد أنّ سيِّدَنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. طِبُّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، وجلاء القلوب وهمومها، كشف لنا الظلمات، ودلّنا على كيفيّة إنارتها بالأنوار البيّنات، حتى نكون في الدنيا فيما يحبه الله، وفي الآخرة نفوز بالجنّة ورضاه،

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا

وشَقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْأموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا محمّد. الرؤوف الرحيم. وعلى آله ذوي السيادة والتكريم. وصحابته المتوّجين بتاج الجلالة والتعظيم. صلاة تشفي بها منّا العليل والسقيم. وتغني بها منّا الفقير والعديم. وتحفظ بها منّا الحاضر والغائب. والمسافر والمقيم. وتسكننا بها فسيح جنّاتك. دار الفوز والكرامة والنعيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. قدّمنا لكم في الخطب الماضية. أنّ شهر شوّال الذي ودّعناه هذا الأسبوع. قد حمل إلينا في طيّاته أحداثا عظيمة من السيرة النبوية الشريفة. ففيه تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيّدة عائشة والسيّدة أُمّ سلمة رضي الله عنهما، وفيه وقعت من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم أربع غزوات كبرى، وهي غزوة بني قينقاع في السنة الثانية من الهجرة، وغزوة أُحُد في السنة الثالثة، وغزوة الخندق في السنة الخامسة،

وغزوة حنين في السنة الثامنة. فهلمّوا إلى رحاب سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالفهم والتفقّه! وها هو الإمام الزُّهَري رحمه الله. عالم الحجاز والشام. وهو من قدماء مَنْ عُنوا بِجَمْع السيرة. بل قيل: أنّ سيرته أوّل سيرة أُلِّفَت في الإسلام. كان يقول:(في عِلْم السيرة عِلْم الدنيا والآخرة). وإنّها لكلمة صِدْقٍ وحقّ. ولا شكّ أنّ في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم من الفوائد والعِبَر. وترقيق القلوب ورَبْطِها بالله تعالى ما لا يوجد إلاّ في القرآن الكريم. فبذكره صلّى الله عليه وسلّم يطيب الإستماع، وعلى سيرته يحلو الإجتماع، وباتّباع سنّته يزيد الإيمان. وتزول الأحزان. وتتآلف قلوب المؤمنين في كلّ زمان ومكان. فهو صلّى الله عليه وسلّم. مِنَّة الله على المؤمنين، قال تعالى في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فدِراسَةُ سِيرةِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم. ومعرفة غزواته ومتعلّقاته. حَتمٌ لاَزِم على كل مؤمن ومؤمنة للإقتداء به، إمتثالاً لقوله سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). أيّها المسلمون. واليوم إن شاء الله تعالى نقف وقفات أمام أحداث غزوة الخندق التي سمّاها القرآن الكريم بغزوة الأحزاب، لأنّ أعداء الإسلام تجمّعوا بمختلف أشكالهم وأوباشهم وأحزابهم لمهاجمة المدينة المنوّرة، واشتركت فيها جميع قبائل العرب المشركة، إضافة إلى قبائل اليهود الحاقدة؛ فتشكّل من ذلك عشرة آلاف مقاتل، فاتّفقوا على مهاجمة المدينة المنوّرة وقَتْل كلّ مَن فيها مِن المسلمين، والمسلمون يومئذ لم يتجاوز عددهم ثلاثة آلاف مقاتل. فتعالوا بنا إذن لنكشف الستار عن الوسائل التي واجه بها النبي صلّى الله عليه وسلّم هذه الأحزاب. نستلهم منها دروسا وعبرا يصلح توظيفها في مواجهة وباء (كورونا)؛ حتى لا يتضرّر به الجميع، ونتفادى الأعطاب. وذلك بإسقاط أحداث غزوة الخندق على واقعنا في مواجهة (كورونا) بالحجر الصّحّي. بين التأصيل والتنزيل، أيّها المسلمون. ففي شهر شوّال من السنة الخامسة للهجرة النبوية. كانت وقعة الخندق. التي اجتمع فيها أحزاب الشيطان على أولياء الرحمن، وسببها أنّه بعد غزوة أُحُد. وإجلاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهودَ بني النّضير من المدينة المنوّرة. ثارت ثائرة اليهود، فخرج جَمْع من كبرائهم، إلى قريش وغطفان وحرّضوهم على حرب النبيّ صلى الله عليه وسلم. فتحزّب الأحزاب لقتاله صلى الله عليه وسلم. أوّلا: عندما علم النبي صلى الله عليه وسلم

بواسطة مخابراته بهذا الخبر عقد على الفور مجلسا للشورى، وفي هذا نتعلّم أمريْن مهمّيْن: الأمر الأوّل: أنّ المخابرات سنّة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن لأيّ دولة أن تستقيم في مسيرتها وتستقيل في مخطّطاتها، إلا بجهاز مخابرتي يكشف لها عن قوّة أعدائها وكيْد مَن يكِيد ضدّها، ونحن في مواجهة (كورونا) نحتاج للخبراء يكشفون عنه الأستار، لمعرفة ما به من الأسرار، حتى نتّقي ما يحمل إلينا من الأشرار. أمّا الأمر الثاني: أنّ الشورى أمرٌ أخذ به النبي صلى الله عليه وسلم في كلّ أموره؛ بحيث لا يَقدم على أمرٍ إلا بعد أخْذ آراء مَن معه، وقد قال الله له في سورة آل عمران: ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ))، وقال سبحانه في أصحابه كما في سورة الشورى: ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ))؛ ونحن في مواجهة (كورونا) يجب أن نستحضر دائما مبدأ الشورى؛ لنستشير أهل الإختصاص من المسؤولين والسلطات والأطبّاء وأهل العلم في كل ما يتعلّق بكيفيّة التّعامل مع هذا الوباء. أيّها المسلمون. ثانيا: لمّا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في هذه الغزوة. أشار عليه سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يحفر خندقا على المدينة يمنع العدوّ عنها. إذ لم تكن العرب تعرفه. فقال: (يا رسول الله إنّا كنّا بأرض فارس. إذا تخوّفنا الخيل. خندقنا علينا)، ولذلك سمّيت بغزوة الخندق، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحْفَر الخندق من جهة الشمال الشرقي. فخرج صلى الله عليه وسلم فحدّد حفر الخندق من ناحية جبل أُحُد إلى جبل سَلْع، وكان طول الخندق حوالي ثلاث كيلومترات ونصف، وعُرْضه أربعة أمتار ونصف، وعمقه يتراوح ما بين ثلاثة أمتار ونصف إلى خمسة أمتار، وأمّا الجهات الأخرى فتضاريسها الصعبة شكّلت حِصْنًا طبيعيًّا يصعب على العدوّ اختراقه. فقد كانت مشبكة بالنخيل والبنيان، ولا يمكن لأي جيش أن يقتحم المدينة إلا من هذه الجهة؛ فوزّع صلى الله عليه وسلم العمل والمهامّ على الصحابة، لكل عشرة منهم أربعون ذراعا يحفرونها. أيْ عشرون مترا. فبدأ صلى الله عليه وسلم العمل بنفسه، وكان صلى الله عليه وسلم يحفر وينقل التراب من الحفرة، حتى عرق صلى الله عليه وسلم وتعب، وكان يردّد:

لا عيش إلا عيشَ الآخرة * اللّهم اغفر للأنصار والمهاجرة.

فكانوا يقولون مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينـا أبدا

وهكذا ينبغي أن نكون عليه في مواجهة (كورونا)؛ كلٌّ في مجاله متعاونين بالعدل والمساواة؛ فلا تنفع محاربته في الأغنياء دون الفقراء، ولا في الطبقة الرفيعة دون الكادحة؛ لأنه يَضرب كل مَن اعترض سبيله من غير انتقاء، ولا يوجد في حساباته هذا الإعتبار، و(كورونا) بنفسه لا يعرف التميّيز العنصري، ولا يعترف بالتمَيُّز الطبقي، الكل عنده كأسنان المشط؛ لا فضْل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالحجر الصحي، لقد هاجم الدول المتقدّمة قبل المتأخّرة، واكتسح التي حاصرت الأرض بالأقمار الصناعية فادّعت مراقبة كل شيء؛ ولكنها أمام (كورونا) انتهى عندها كل شيء؛ لقد انهزمت التكنلوجيا التي تدّعي ترويض الأجرام السماوية في فضاء المجرّات، أمام فيروس لا يُرى بالعين المجرّدة يسكن مع الذرات. أيّها المسلمون. ثالثا: وتمّ حفر الخندق بسرعة. رغم الجوّ البارد. والمجاعة التي أصابت المسلمين؛ واشتدّ بهم الحال. وضاق عليهم الأمر. بل لم يجدوا إلا التمر والماء، فجاءت السيّدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيها بكسرة خبز فقال: ((هذا أوّل طعام أكله أبوك مند ثلاث أيام)). وهكذا اشتد الجوع بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط على بطنه أحجارا. فلمّا علم بذلك جابر بن عبد الله اشتدّ مسرعا لزوجته، يأمرها بإعداد ما لديها من الطعام، وتأمره بدوْرها بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وحده؛ لأنّ الطعام قليل. ما هو إلا عبارة عن شاة صغيرة مع قليل من الخبز، فجاء جابرٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فدعاه للطعام، وما كان صلى الله عليه وسلم أن يستفرد بطعام دون غيره؛ فقام صلى الله عليه وسلم على شفير الخندق ثم قال: ((يا معشر المهاجرين والأنصار. أجيبوا جابرا)). وكانوا نحو ألف رجل، فخرجوا كلهم! فلمّا رأى جابر ذلك. أسرع إلى زوجته وقال لها:(قد واللهِ أتاكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا قِبَل لكِ به. فقالت: هل أنتَ أعلمته بما عندنا؟ فقال: نعم. قالت: هو أعلم بما أتى). فدخل صلى الله عليه وسلم فنظر في القِدر، ثم نظر في التنُّور، ثم دعا بقصعة فثرَّد فيها وغرَّف، فقال: يا جابر. أدخل عليّ عشرة عشرة...، فأكلوا كلهم حتى شبعوا، وما يُرى في القصعة إلا آثار أصابعهم، وبقي واللهِ لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياما). لقد تعاون الصحابة فيما بينهم في الخندق، وساعد الأغنياء منهم الفقراء، ويجب علينا نحن اليوم التعاونُ في مواجهة (كورونا) بمساعدة المرضي المصابين به من جهة، وبمساعدة الفقراء المهدَّدين به من جهة أخرى، ومنّا عائلات وفقراء لا يجدون حتى التمر والماء؛ فلا بد من تقديم المساعدة لهم في عُقر دارهم حتى لا

يخرجوا من الحجر الصحي؛ لأنهم إذا خرجوا بحثا عن لقمة العيش سيعرِّضون أنفسهم لهذا الفيروس، ثم ينشرونه بين الجميع؛ ولهذا كان التعاون والتضامن لزاما على الجميع. أيّها المسلمون. رابعا: استمرّت عمليّة الحفر ما يقارب أربعا وعشرين يوما؛ وانتهى العمل في حفره قبل قدوم الأحزاب بثلاثة أيام، فلمّا جاءت الأحزاب لم يستطيعوا اقتحام الخندق لطوله وعرضه وعمقه، فكانت المناوشة بين الجيشيْن خمسة وعشرين يوما، وأثناء ذلك خان المستوطنون من يهود بني قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهم داخل المدينة، فاشتدّ ذلك على المسلمين. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ)). يعني الأحزاب. ((وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ)). يعني بني قريظة. ((وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)). وانقسم الناس إلى قسمَيْن. فالْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ قالوا: ((مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا)). والْمُؤْمِنُونَ قالوا: ((هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)). وإذا أردت أن تصف هجوم الهموم بسبب (كورونا) اليوم على الإنسانية لن تجد له وصفا أفضل من أن تقول: (إذ جاءكم كورونا من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا هنالك ابتليت الإنسانية في العالم وزلزلوا زلزالا شديدا). أيّها المسلمون. خامسا: كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الخندق يُلحّ في الدعاء، ونحن في مواجهة (كورونا) لا يجوز أن نغفل عن الدعاء؛ إذ لا يستطيع أحد أن يرفع هذا الوباء إلا الله سبحانه؛ ولكن استجابة الدعاء مشروطة بشروط. منها: أن يكون قلب الداعي حاضرا من غير لهو ولا غفلة، وأن يكون العمل طاهرا من غير فسوق ولا عصيان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ غافل))، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعاء))؛ فلا استجابة مع المحرّمات؛ لقد تعلّمنا من (كورونا) الإبتعاد عن العادات السيّئة؛ ومنها: تحيّة الوجوه بتقبيل الوجنات والخدود؛ وهي عادة سيّئة محرّمة مستوردة، ما كان أجدادنا يعرفونها بين الرجال؛ فكيف بين النساء والرجال؟! أيّها المسلمون. سادسا: مكث الأحزاب محاصرين للنبيّ صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر. فدعا عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم. فأرسل الله عليهم ريحا شديدة قويّة. أسقطت خيامهم. وأطفأت نيرانهم. وأرسل عليهم جندًا من الملائكة يزلزلونهم، ويُلقون في قلوبهم الرعب، فرحلوا لم ينالوا

خيرًا. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)). وأزاح الله تعالى عن المسلمين هذه الغمّة. التي تحزّب فيها الأحزاب. من عرب ويهود، ولو لا لُطْف الله وعنايته بهذا الدين مِنَّةً منه وفضلاً. لساءت الأحوال. وكان جلاء الأحزاب نعمة من الله على المؤمنين. كما قال سبحانه في سورة الأحزاب: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)). أيّها المسلمون. في النهاية نصر الله تعالى النبي صلّى الله عليه وسلّم بجنود لا تخطر بالبال. ولا تخضع للمقاييس العسكرية؛ قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا)). أوّلا: نصره الله تعالى بعمّته صفيّة بنت عبد المطّلب. حين أرسل يهود بني قريظة واحدا منهم يستكشف الأمر. ليهاجموا المدينة من الداخل. حيث الأطفال والنساء، فخرجت إليه عمة النبي صلّى الله عليه وسلّم السيّدة صفية فاستغفلته حتى قتلته بخشبة، فظنّ اليهود أنّ بالمدينة من يحرسها. وبذلك سجّلت صفية لنفسها في التاريخ أنها المرأة التي أنقذت جيش الخندق من الهلاك، فحمت بذلك المدينة من الداخل.

ثم ثانيا: لعب رجل واحد أسلم فكتم إسلامه. دوْرا كبيرا في هزيمة الأحزاب، واسمه نُعَيْم بن مسعود رضي الله عنه. حيث جاء للنبي صلّى الله عليه وسلّم فقال له صلّى الله عليه وسلّم: ((اذهب فخذِّل عنّا. فإنّ الحرب خدعة))، فأتى بني قريظة فأقنعهم بعدم التورّط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن، لكيلا يفِرّوا ويتركوهم يواجهون مصيرهم وحدهم مع جيش المسلمين. ولا قِبَل لهم به، ثم أتى قريشا فأخبرهم بأنّ بني قريظة قد ندموا واتّفقوا سرّا مع محمد صلّى الله عليه وسلّم على أن يختطفوا عددا من أشراف قريش ليقتلهم، وبهذه المكيدة من نُعَيْم رضي الله عنه تشتّت شملهم. وتمزّق جمعهم؛ فإذا كانت بداية غزوة الخندق لسلمان الفارسي؛ فإنّ نهايتها كانت لنُعَيْم بن مسعود رضي الله عنهما. ثالثا: أرسل الله على الكفار ريحا هوجاء في ليلة ظلماء. فأقلعت مخيّماتهم. وشتّت أمتعتهم ومراكبهم، فما كان من قائدهم أبي سفيان إلا أن نادى بالرحيل منهزما، فأرسل النبي صلّى الله عليه وسلّم سيّدنا حذيفة بن اليمان ليتأكّد من الخبر؛ ولم يخرجوا من الخندق حتى زال نهائيا الخطر، فلمّا رجع أبو حذيفة أخبره أنّ العدوّ قد غادر. فسأله صلّى الله عليه وسلّم: هل ركبوا الخيول أم الجمال؟ فقال: ركبوا الجمال وقادوا الخيول؛ وإنّما سأله

صلّى الله عليه وسلّم لأنّ الجمال هي المراكب المدنية والخيول هي المراكب العسكرية، وركبوهم الجمال دليل على أنهم فُرَّار وليسوا بكُرَّار؛ أي: انسحبوا من المعركة نهائيا، إذ لو كان مرادهم إعادة الكرّة لركبوا الخيول؛ وحينئذ أعلنها النبي صلّى الله عليه وسلّم نقطة تحوّل في مسار الجهاد بارتياح، واعتبرها بداية اتّخاذ المبادرة، روى البخاري في صحيحه عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول حين أُجْلِيَ الأحزاب عنه: ((الآن نغزوهم، ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)). وهكذا كان. حتّى فتَح الله عليه مكّةَ. فكان صلّى الله عليه وسلّم بعد غزوة الأحزاب يبادر بالهجوم قبل أن يهاجم؛ هكذا يجب الإختفاء والإختباء في الحجر الصحي لمواجهة (كورونا). فلا نخرج إلا للضرورة؛ كما اختبأ الصحابة رضوان الله عليهم في الخندق لمواجهة الأحزاب، ولم يخرجوا منه حتى تأكّدوا من زوال الخطر نهائيا، وبالإلتزام يأتي النصر من حيث لا نحتسب؛ فقد اِلْتزم الصحابة في الخندق بأوامر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وانتصارنا نحن على (كورونا) مرهون بمدى اِلْتزامنا بقواعد الحجر الصحي؛ فوزارة الصحة هنا هي التي تقود القطار، وبمشورتها يُتّخذ القرار، وبالقرار نمتثل أوامر النبي صلّى الله عليه وسلّم في الأخذ بلوازم الفِرار؛ وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: ((فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد))، وما الفِرار من (كورونا) إلا بالحجر الصحي. اللهم أنت السلام ومنك السلام، سلِّمنا من كل بلاء. وارفع عنّا كل ابتلاء، ولا تُسْكِن في أجسامنا داء، فإنه لا يعلم بحالنا إلا أنت، ولا يجبر حالنا إلا أنت، فاجعل لنا من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجاً، اللهم يا رب معجزة من عندك تغيّر الأقدار، تُبعد بها عنّا هذا الوباء. وتحقِّق الأماني. وتسعدنا بها يا رب العالمين. متوجّهين إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى؛ ومتوسّلين إليك بحبيبك المصطفى. سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

24- أخْذ العِبرة والموعظة من بعض أخبار غزوة يهود بني قريظة

الْحَمْدُ لِلهِ الذِي كَتَبَ الْعِزَّ وَالْبَقَاءَ لِدِينِهِ، وَالْعُلُوَّ وَالنَّصْرَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالذُّلَّ وَالْهَوَانَ عَلَى أَعْدَائِهِ، فسبحانه من إله يؤيّد عباده المؤمنين. وينصر منهم المظلومين، ويدمّر الكفرة والظالمين، من اليهود والنصارى والملحدين، وَصَفَ كَيْدَه بأنّه متين، فقال سبحانه في سورة الأعراف: ((وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ضمن العزّة والسعادة للمجاهدين المخلصين. الذين يدافعون عن الوطن والدين. وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبدُه المجتبى. ورسولُه المرتضى، بعثه بالنور المضيء. والأمر المرضي، على حين فترة من الرسل، ودُروسٍ من السبل، فدمغ به الطغيان، وقمع به أهل الأوثان، وجعله حجّة على الناس أجمعين، وأظهر به الإيمان والمؤمنين، وأذلّ به اليهود والمشركين، وكتب البقاء لشريعته إلى يوم الدين،

هذا محمّدٌ صلّوا كلُّكُمْ عَلَنَا * عليه فهو ليوم الحشر عمدتُنَا

ومِنْ مهاوي الرَّدَى والزَّيْغِ أنقذنا * يا مرتَجِين نوالاً مِنْ عطيّتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. النبيّ الأكرم. وعلى آله الطاهرين الأخلاق والشِّيَم. وصحابته سادة الأعاريب والعجم. صلاة ترفع لنا بها الأقدار والهمم. وتكفينا بها شرّ مَن بغى علينا وتعدّى وظلم. وتتبّع عوراتِنا وبحث في أمورنا وغمز وشتم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ مَنْ قرأ كتاب ربّه. وتأمّل في آياته. واتّعظ بعظاته. واهتدى بهداه. يرى أنّ هناك آياتٍ كثيرةٍ حذّرت المسلمين من أعداء كُثُر، وأنّ هناك صِنْفاً هو الأكثر عداءً للمسلمين. فقد ورد الحديث عنهم في أكثر من خمسين سورة من سور القرآن الكريم، وما ذاك إلا لِتَحْذَرَهم أمّة الإسلام أشدّ الحَذَر، وتتنبّه لألاعيبهم وحِيَلِهم التي تخصّصوا فيها على مرّ التاريخ، فمَنْ هم يا تُرَى؟؟ إنّهم اليهود، قال تعالى في سورة المائدة: ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)). إنّهم القوم المغضوب عليهم. الملعونون على لسان الرسل والأنبياء، عُرِفُوا على مرّ التاريخ بالإفساد والتخريب ونقض العهود، وَصَفَهم ربّنا تعالى وذَكَرَ بعض افتراءاتهم. فقال سبحانه في سورة المائدة: ((وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ

كَثِيراً مّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ طُغْيَٰناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاء إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)). وهم قتلة الأنبياء ومكذّبوهم، وهذا من تخصّصهم القبيح، ألم يقل ربنا سبحانه في سورة البقرة: ((وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَءاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)). أولئك اليهود الذين غدروا بخاتم النبيّين. سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده، فإنّه لمّا هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة قَدِمَهَا وفيها ثلاث قبائل من اليهود. فعقد معهم أن لا يخونوا ولا يؤذوا، ولكن أبى طبعهم اللئيم. وسجيّتهم السافلة. إلاّ أنْ ينقضوا ويغدُرُوا، فأظهر بنو قينقاع الغدر بعد أن نصر اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، فأجلاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم من المدينة على أنّ لهم النساء والذرية. ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم. وأظهر بنو النضير الغدر بعد غزوة أُحُد فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقذف الله في قلوبهم الرعب. وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُجْلِيَهم على أنّ لهم ما تحمله إبِلُهم من أموالهم إلا آلة الحرب. فأجابهم النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ذلك. أيّها المسلمون. وأمّا بنو قريظة فهم موضوع خطبتنا اليوم. ففي مثل هذا الشهر. أعني شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة. نقضت بنو قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما لأتهم الأحزاب عليه، حين اجتمعت العرب على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، فأمكن الله تعالى المؤمنين منهم، وباؤا بغضب من الله ورسوله. والصفقةِ الخاسرة في الدنيا والآخرة. فقضوا فيهم بحكم الله تعالى الذي أنزله. قال سبحانه في سورة الأحزاب: ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)). لقد كان من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم أوّل هجرته للمدينة المنوّرة أن وادع اليهود فيها، وعاهدهم بميثاق بيّن فيه ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات، وكان من بين بنود ذلك الميثاق: أنّ للمسلمين دينهم، ولليهود دينهم، وأنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأنّ بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وأنّ اليهود ينفقون مع

المؤمنين ما داموا محاربين. وقد حدث في العام الخامس من الهجرة أن تجمّعت أكبر قوّة معادية للمسلمين في ذلك الوقت للقضاء على الإسلام وأهله داخل المدينة. وأحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل من مشركي قريش وقبائل غطفان وأشجع وأسد وفزارة وبني سُلَيْم. على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل. وكان المتوقَّع أنْ ينضمّ يهود بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضدّ القوّات الزاحفة على المدينة بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين. لكن الذي حدث هو عكس هذا تمامًا! فلم تكتفِ بنو قريظة بمجرّد السلبية. ولكن فوجئ المسلمون بهم يخونونهم في أخطر أوقات محنتهم. ولم يرعوا للعهود حرمة. في سبيل التعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاءً تامًّا. وبمجرّد أن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الخيانة الخطيرة. أرسل وفدًا مكوَّنًا من سيّدِنا سَعْد بن معاذ سيّد الأوس. و سيّدِنا سعد بن عبادة سيّد الخزرج. و سيّدنا عبد الله بن رواحة. وسيّدنا خوات بن جبير رضي الله عنهم أجمعين؛ ليذكِّروا القوم بما بينهم وبين المسلمين من عهود. ويحذّروهم مَغِبَّةَ ما هم مقدِمون عليه. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم. وقالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبينه!! وهكذا ركب القوم رءوسهم. وقرّروا الإنضمام الفعلي للغزاة. وأخذوا يمدّونهم بالمال والعتاد. لكنّ الله عزّ وجلّ فرّق جموعهم. وأبطل كيدهم. وأرسل عليهم ريحاً شديدة قويّة. أسقطت خيامهم. وأطفأت نيرانهم. وأرسل عليهم جُنْدًا من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب، فرحلوا لم ينالوا خيرًا. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)). وأزاح الله تعالى عن المسلمين هذه الغمّة. التي تحزّب فيها الأحزاب. من عُرْب ويهود، ولو لا لُطْف الله وعنايته بهذا الدين وأهله. مِنَّةً منه وفضلاً. لساءت الأحوال. وكان جلاء الأحزاب نعمة من الله على المؤمنين. كما قال سبحانه في سورة الأحزاب: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)). وروى البخاري في صحيحه عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول حين أُجْلِيَ الأحزاب عنه: ((الآن نغزوهم، ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)). وهكذا كان. حتّى فتَح الله عليه مكّةَ. أيّها المسلمون. لمّا انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق دخل المدينة لسبع بقين من ذي القعدة

سنة خمس هو وأصحابه. ووضعوا السلاح. وكان قد صلّى الصبح. ودخل بيت السيّدة عائشة رضي الله عنها، فلمّا كان وقت الظهر أتى أمين الوحي سيّدنا جبريل عليه السلام رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلاّ مِنْ طلب القوم يعني الأحزاب. إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمّد بالمسير إلى بني قريظة. فإنّي عامد إليهم بمن معي من الملائكة، فمزلزل بهم الحصون، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مؤذِّنا فأذَّن في الناس: مَنْ كان سامعا مطيعا فلا يُصَلِّيَنَّ العصر إلا في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم. وقدّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه برايته إلى بني قريظة. وكان عدد مَنْ خرج إلى القتال ثلاثة آلاف مقاتل. فلمّا دنا سيّدنا علي من حصنهم سمع منهم مقالة قبيحة في حقّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق. فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: لِمَ؟ أظنّك سمعتَ منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم. قال: أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت. هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟ أتشتموني، فجعلوا يحلفون ويقولون: ما قلنا. ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، وحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة. حتى جهدهم الحصار. وقذف الله في قلوبهم الرعب. ثم إنّهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة ابن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا، لأنّهم كانوا حلفاء الأوس، وهو منهم. ولأنّه كان مناصحا لهم، ولأنّ ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة. فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فلمّا رأوه قام إليه الرجال، وأسرع إليه النساء. والصبيان يبكون في وجهه من شدّة المحاصرة. وتشتيت ما لهم، فرّق لهم. وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم، وأشار بيده إلى حلقه: أيْ إنّه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أنّي قد خنتُ اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده. وهي التي يقال لها الآن إسطوانة التوبة، وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبدا، ولا يُرَى في بلد خان اللهَ ورسولَه

فيه أبدا، وأنزل الله تعالى في أبي لبابة قوله سبحانه في سورة الأنفال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). فلمّا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبَرُه وكان قد استبطأه. قال: أَمَا إنّه لو جاءني لاستغفرتُ له. فأمّا إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أُطْلِقُه مِنْ مكانه حتى يتوب الله عليه. ثمّ إن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو في بيت أمّ المؤمنين السيّدة أم سلمة رضي الله عنها. قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك. قالت: فقلت: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سِنَّك؟ قال: تيب على أبي لبابة، قالت: قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: بلى، إنْ شئتِ. قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب. فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده. فلمّا مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه. والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ في سورة التوبة: ((وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. ولما طال الحصار على يهود بني قريظة واشتدّ بهم الحال. نزلوا على حُكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوس وقالوا: يا رسول الله إنّهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصر بني قينقاع قَبْل بني قريظة. وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه. فسأله إيّاهم رأس المنافقين عبد الله بن أُبَي ابن سلول فوهبهم له. فلمّا كلّمته الأوس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ترضون يا معشر الأوس أنْ يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سيّدنا سَعْد فجيء به محمولاً على حمار وهو متْعَب من جُرْحِه، وذلك أنّه أُصيب في غزوة الأحزاب بسهم فقطع منه الأكحل. وهو عِرْق في الذراع. لكنّه لم يفقده الأمل، ولا تذرّع بالوجع، بل صنع الطموح في وقت الجراح، وولَّد العزيمة أثناء الكروب والشدائد. ففي مسند الإمام أحمد قال سعد رضي الله عنه بعدما أُصيب: ((اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ)). فاستجاب الله تعالى

دعوة سيّدنا سعد. فاستمسك العِرْقُ فما قطرت منه قطرة. وضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب. فلمّا انتهى سيّدنا سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وهم حوله جلوس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى سيّدكم فأنزلوه. فأقبلوا عليه وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إنّما ولاّك ذلك لتحسن فيهم، فلمّا أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أُحْكُم يا سعد. ثم قال سعد: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه. أنّ الحُكْمَ فيهم لِمَا حكمتُ؟! قالوا: نعم، قال: وعلى مَنْ ها هنا. يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو مُعْرِض عنه إجلالا له، فقال: نعم، فقال سعدٌ: فإنّي أحكم فيهم بأنْ تُقْتَلَ الرجال. وتقسَّمَ الأموال. وتُسْبى الذراري والنساء، فَسُرَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقع)). أي: من فوق سبع سموات. ثم ضُرِبت أعناقهم، وكانوا قُرابة السبعمائة. ((فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)). وما هي إلاّ ليالٍ معدودة. وهذا السيّد البطل ينتظر الشهادة بسبب جرحه الذي في ذراعه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم عنده فقال له: ((جزاك الله خيراً من سيّد قوم. فلقد أنجزتَ ما وعدتّهم. ولَيُنْجِزَنَّكَ الله ما وعدك)). قالت السيّدة عائشة رضي الله عنها: لَمّا انفجر جُرْح سَعْد، عجل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعه أبو بكر وعمر، فأسنده إلى صدره والدماء تسيل عليه، قالت: والذي نفس محمّد بيده إنّي لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإنّي لفي حُجْرتي، فكانا كما قال الله: ((رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إنّ سعدًا قد جاهد في سبيلك، وصدّق رسولك، وقضى الذي عليه، فتقبّل روحه بخير ما تقبّلتَ به روحًا)). فلما سمع سَعْد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتح عينيه، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، إنّي أَشْهد أنّك رسول الله. وبعد انفجار جُرْح سيّدنا سعدٍ. وانفتاق عِرْقه. توفي رضي الله عنه. وصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودُفِن بالبقيع. ولقد تواتر الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد وابن سعد والحاكم وغيرهم: ((إنّ العرش اهتزّ لموت سَعْد فرحًا به))، وناهيك به شرفًا وفضلاً. أيها المسلمون. هذه قصّة من قصص العداء مع اليهود. ذكرناها لكم لنستشعر عزّتنا عندما كانت لنا عزّة بالإسلام، ولندرك ما نحن فيه بعد أن عزلنا الإسلام عن الحياة والدولة. إنّ العداء بين المسلمين واليهود هو عداء عقائدي، عداء وُجِدَ يوم بُعِثَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام الذي جعله الله خاتمة الرسالات، وجعله الطريق إلى دخول الجنَّة في الدار الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من يهودي أو نصراني سمع بي ولم يؤمن بي إلا دخل النَّار)). وليس غريبا على اليهود أن يعادوا الحقّ. فهم على ما أكرمهم الله به من الرسالات والفضائل. فقد ناصبوا اللهَ العداء قبل بعثة سيّدنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فهم الذين عصوا وكفروا، وكان قَتْل الأنبياء شيمة من شيمهم، والغدر من أبشع خصالهم، قال تعالى في سورة آل عمران: ((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُواْ بِغَضَبٍ مِنَ الله وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)). والآيات في وصف خبث اليهود وعدائهم للإسلام. ولرسول الإسلام. ولأمّة الإسلام. كثيرة في كتاب الله، وقد حذّرنا الله منهم. ونهانا عن موالاتهم. أو التودّد إليهم. وجعل ذلك إنْ حصل منّا؛ طعْنًا في عقيدتنا. وميلا إلى ملّتهم. قال تعالى في سورة المائدة: ((يَا أَيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَتَّخِذُواْ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ)). اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين. وأذلّ الشرك والمشركين. ودمّر أعداءك أعداء الدين. وانصر عبادك الموحّدين. واحم حوزة الدين. اللهم وآمنّا في دورنا وأوطاننا. وأصلح واحفظ ولاة أمورنا. اللهم إنّا نعوذ بك من الفتن. ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح شبابنا. وهيّئ لهم دعاة الهدى والفلاح. وجنّبهم دعاة السوء والضلال. اللهم مَنْ أرادنا وديننا وبلادنا وأمننا بسوء فاشغله بنفسه. واجعل كيده في نحره. واجعل تدبيره في تدميره. اللهم وسلّط عليه مَنْ يسومه سوء العذاب، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

25- سرية زيد بن حارثة إلى العِيص وقصّة إسلام أبي العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله الواحد القَهَّار، العزيز الغفّار، مقدِّرِ الأقدار، مصرِّفِ الأمور، مكوّر الليل على النّهار، تبصرةً لذوي القلوب والأبصار، الذي أيقظ مِنْ خلقه مَن اصطفاه

فأدخله في جملة الأخيار، ووفّق مَن اجتباه مِن عبيده فجعله من الأبرار، وبصّر مَن أحبّه فزهّدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهّب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار، وأخذوا أنفسهم بالجدّ في طاعته وملازمة ذِكْره بالعشيّ والإبكار، وعند تغاير الأحوال في آناء الليل والنّهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار، فغدوا رهباناً بالليل فرساناً بالنّهار. فسبحانه من إله جعل العاقبة للمتّقين بفضله، وأفاء على عباده من خيره، وأظهر دينه على الدين كلّه، القاهر فوق عباده فلا يُمانَع، والظاهر على خليقته فلا يُنازَع، والآمِر بما يشاء فلا يُراجَع، والحاكِم بما يريد فلا يُدافَع. نَحْمَدُهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا يَلِيقُ بِهِ، فَلَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ كُلُّهُ، لاَ نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ كَمَا أَثْنَى هُوَ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ هَدَى قُلُوبَ أُنَاسٍ فَشَرَوُا الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، وَضَلَّ عَنِ هِدَايَتِهِ أَقْوَامٌ فَخَلَدُوا إِلَى الفَانِيَةِ وَضَيَّعُوا البَاقِيَةَ؛ قال تعالى في سورة الكهف:((مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وصفيّه من خلقه وخليله. دَعَا إِلَى الهُدَى فَاتَّبَعَهُ ثُلَّةٌ مِنَ السَّابِقِينَ فَدَوْهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَانْخَلَعُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَعَادَوْا عَشَائِرَهُمْ وَقَبَائِلَهُمْ؛ فَسَخَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةً لِنَبِيِّهِ، وَاخْتَارَهُمْ حَمَلَةً لِدِينِهِ، ((أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .((

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا

وشَقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ المحمود. وعلى آله ذوي الكرم والجود. وصحابته الواقفين على الحدود. والموفين بالعهود. صلاة تبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المنى والمقصود. وتفتح بها في وجوهنا كلّ باب مغلق ومسدود. وتجعل بها دعاءنا عندك مقبولا غير مردود. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثٌ تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوب بالإيمان مطمئنَّة، فحبّه صلى الله عليه وسلم في شغاف الأفئدة مغروس، وتوقيره

مشربّة به النفوس، وإنّ السيرة النبوية المباركة كتابٌ ناطقٌ بما يجب أنْ يكون عليه المسلمون من حِرصٍ وحذرٍ وجهادٍ وبذلٍ وحبٍ للفداء والتضحية. فالله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة في شرْعه وخلْقه وتقديره، اختار نبيَّه سيّدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم للرسالة إلى الخلق بهذا الدين الكامل لينشره بين العالمين، واختارَ له من الأصحاب أفضل الناس بعد النبيّين، أبرّ هذه الأمّة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقومها عملاً، وأقلّها تكلّفًا، جاهدوا في الله حق جهاده، نصر الله بهم الدين ونصرهم به، وأظهرهم على كل الأديان وأهلها. فرضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاهم، أيّها المسلمون. إنّ الناظر بعين البصيرة يرى صورًا من سيرته صلى الله عليه وسلم تتبدّى أمام الناظرين، وعبرًا من حياته وجهاده صلى الله عليه وسلم تتراءى أمام المعتبِرين، فقد كانت السنة السادسة من الهجرة حافلة بالسرايا. والسرية هي مجموعة من الجيش يرسلها القائد ويختار أميرَهم ومكانَ إرسالِهم. ففي مثل هذا الشهر أعني في جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة كانت سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى العِيص. وهي مدينة تابعة للمدينة المنوّرة. تقع في شمال غرب المدينة المنورة على بُعْد مائتين وخمسين كيلو متراً عن طريق تجارة قريش المتّجهة إلى الشام قديماً. وسبب هذه السرية أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أنّ قافلة لقريش قد أقبلت من الشام فِيهَا فِضَّةٌ كَثِيرَةٌ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأَمْوَالٌ، فبَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي مِائَةٍ وَسَبْعِينَ رَاكِبًا لِيَعْتَرِضها. فأخذها وما فيها وأسر مَن معها مِن الرجال، وفيهم أبو العاص بن الربيع، زوج السيّدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانةً، خالته أمّ المؤمنين السيّدة خديجة رضي الله عنها. وَهُوَ وَالِدُ أُمَامَةَ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ. أيّها المسلمون. وقدم زيد بأبي العاص وبتلك القافلة المدينة، فَأَمَّا أَبُو الْعَاصِ فدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَحَرًا، وَهِيَ امْرَأَتُهُ فَاسْتَجَارَهَا فَأَجَارَتْهُ. فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ قَامَتْ زَيْنَبُ عَلَى بَابِهَا فَنَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ: ((إنّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بنَ الربيع. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيّهَا النّاسُ. هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَوَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِمّا كَانَ حَتّى سَمِعْتُ الّذِي سَمِعْتُمْ. الْمُؤْمِنُونَ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ. يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ. وَقَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَارَتْ)). وفي الصحيحين: ((ذمّة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمَن أخفر مسلما. أيْ أزال خفارته. أيْ

نقض جواره وعهده. فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)). وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين. فَلَمّا انْصَرَفَ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى مَنْزِلِهِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ زَيْنَبُ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَرُدّ إلَى أَبِي الْعَاصِ مَا أَخَذَ مِنْهُ مِنْ الْمَالِ. فأجابها إلى ذلك، وقال لها: ((أيْ بُنيّة. أكرمي مثواه ولا يخلُصْ إليكِ، فإنّك لا تَحِلّين له)). أيْ لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين. ثُمّ كَلّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَ السرية وَكَانَتْ مَعَ أبي العاص بنِ الربيع بَضَائِعُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فقال لهم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنّ هذا الرجل منّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً. فإنْ تحسنوا وتردّوا عليه الذي له. فإنّا نحبّ ذلك، وإنْ أبيتم فهو فيء الله الذي فاء عليكم، فأنتم أحق به، فقالوا: يا رسول الله بل نَرُدُّ عليه))، فرُدَّ عليه ما أُخِذ منه. فَأَدّوْا إلَيْهِ كُلّ شَيْءٍ حتى إنّهم ليردّون الْإِدَاوَةَ أيْ إناء الوضوء وَالْحَبْلَ حَتّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ. أيّها المسلمون. جاء في السيرة الحلبية أنّ المسلمين قالوا لأبي العاص: يا أبا العاص إنّك في شرف من قريش. وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيْ لأنّه يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جدّه عبد مناف، فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة، فقال أبو العاص: بئسما أمرتموني أفتتح ديني بغدرة: أيّ بالغدر وعدم الوفاء، ثم ذهب أبو العاص إلى أهل مكة فأدّى إلى كل ذي حقّ حقّه، ثم قام فقال: يا أهل مكة هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه، هل وفّيت ذمّتي؟ فقالوا: اللهم نعم، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيّا كريما، فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، واللهِ ما منعني عن الإسلام عنده إلا خشية أن تظنّوا أنّي إنّما أردتُ أن آكل أموالكم. ثُمّ رَجَعَ إلَى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكرم وِفادته ورَدّ عَلَيْهِ زَيْنَبَ بِذَلِكَ النّكَاحِ. وكان يقول عنه: ((حدّثني فصدقني، ووعدني فوفّى لي)). رضي الله عنه. أيّها المسلمون. وسبب ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على صِهره أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه. أنّه كان في أسرى غزوة بدر. وَكَانَ قَدْ وَعَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْجِعَ إلَى مَكَّةَ فَيَبْعَثُ إلَيْهِ بِزَيْنَبَ ابْنَتِهِ، فَوَفَّى بِوَعْدِهِ، وَفَارَقَهَا مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِ لَهَا، فعن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رقّة شديدة. وقال: ((إنْ رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله))، فأطلقوه

وردّوا عليها الذي لها. فَأَخَذَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ. وَكَانَتْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النِّسَاءِ. وَاسْتَكْتَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: كُونَا بِبَطْنِ يَأْجِجَ حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ، فَتَصْحَبَانِهَا فتأتياني بها. وَذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ. فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو الْعَاصِ مَكَّةَ، أَمَرَهَا بِاللُّحُوقِ بِأَبِيهَا، فَتَجَهَّزَتْ، فَقَدَّمَ أَخُو زَوْجِهَا كِنَانَةَ بَعِيرًا، فَرَكِبَتْ، وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ نَهَارًا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا، فَبَرَكَ كِنَانَةُ، وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ بِذِي طُوًى، فَرَوَّعَهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بِالرُّمْحِ، فَقَالَ كِنَانَةُ: وَاللَّهِ لَا يَدْنُو أَحَدٌ إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: كُفَّ أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نُكَلِّمَكَ. فَكَفَّ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُصِبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ عَلَانِيَةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ ذُلٍّ أَصَابَنَا، وَلَعَمْرِي مَا بِنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ، ارْجِعْ بِهَا، حَتَّى إِذَا هَدَتِ الْأَصْوَاتُ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّا رَدَدْنَاهَا، فَسَلْهَا سِرًّا، وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا. قَالَ: فَفَعَلَ، وَخَرَجَ بِهَا بَعْدَ لَيَالٍ، فَسَلَّمَهَا إِلَى زَيْدٍ وَصَاحِبِهِ، فَقَدِمَا بِهَا. أيّها المسلمون. إنّ أحداث السيرة النبوية المباركة يستلهم منها المسلمون المؤمنون دروسًا وعبرًا لحاضرهم ومستقبلهم، فإنّ الله عز وجل قد خاطبنا معشر المؤمنين بقوله في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا)). ليست أحداث السيرة المباركة حكاياتٍ مَضَتْ وانقضت وعفى أثرها وذهب أمرها، بل سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرآةٌ فاحصة، إذا نظر فيها المسلم أدرك ما يدور حوله، وإنّ آخر هذه الأمّة لن يصلح إلا بما صلح به أوّلها، وإنّ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم هم خير الخلق بعد الرسل والأنبياء، وإنّ معرفة أحوالهم لتضيء الطريق أمام المؤمن، فمِن هنا كان لزامًا علينا معرفة أخبارهم ونشْر سِيَرِهم ليعلم المسلمون أنّ هؤلاء هم نَقَلة الإسلام، نفوس صدقت في إيمانها، فتولّدت فيها قوّة الثبات، وحقيقة الولاء، فالواجب على المؤمنين محبّتهم واحترامهم ومعرفة فضلهم وسبقهم والإستغفار لهم، قال تعالى في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)). اللهم انفعنا بمحبّتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولاتخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

26- سرية سيّدنا زيد بن حارثة إلى منطقة حِسْمى لتأديب قبيلة جُذام على اعتداءاتهم الآثمة

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي من توكّل عليه كفاه ما نابه، ومن عمل صالحا هداه للهدى وأثابه، ومن لجأ إليه منيبا نفى عنه ما أرابه. فسبحانه من إله كتب العزّ والنصر للمؤمنين، وألقى الذلّ والصَّغار على الكافرين والمنافقين، وقال في سورة الروم وهو أصدق القائلين: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رضي لنا الإسلام دينا، وفتح علينا من خزائن فضله ونعمه فتحا مبينا، ومنّ علينا بالتحلّي بشرْعه الشريف ظاهرا وباطنا، عملا ويقينا، وأنزل أجلّ الكتب فرقانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل أفضل الهدى سنّة نبيّه الكريم الذي لا يُدْرِك بشرٌ قُصارى مجده ولا شَأْوَ شرفه. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، الصادق الأمين، أرسله اللهُ تعالى رحمةً للعالمين، وخاتمًا للأنبياء والمرسلين، بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

محمد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * أعزز به من نبيّ في سيادتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ إن شئتمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد. خير من شرع الشرائع وبيّن الأحكام. وأفضل من قام بوظائف الدين وجمع شمل الإسلام. وعلى آله مصابيح الظلام. وصحابته الماحيّين بسيوفهم عبدة الأوثان والأصنام. صلاة تنوّر بها بصائرنا بنور الفتح والإلهام. وتزيل بها عن قلوبنا في محبّته الشكوك والأوهام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثُ تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوب

بالإيمان مطمئنَّة، فحبّه في شغاف الأفئدة مغروس، وتوقيره مشربّة به النفوس، وإنّ النظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإعتبار بها والتفكير فيها لصلاحًا للقلب. وزيادة في إيمان العبد. واستقامة للحال. وسعادة في المآل؛ لأنَّ في كلّ جانب من جوانب حياتِه صلى الله عليه وسلم عِلمًا وحِكمةً. وهدًى ورحمة. ودَرسًا وعبرة. لذا كان حَتمٌ لاَزِم دِراسَةُ سِيرةِ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم لِكلّ مَن أَرادَ تَرميمَ أمّتِه والعودةَ بها إلى نَبعِها الأصيل. والّذي لن تقومَ إلاّ بِهِ، امتثالاً لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ))، وقوله سبحانه في سورة آل عمران: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)). لأجل ذلك ولتكالب الأعداء على الأمّة ولحاجة الفرد والمجتمع إلى الإصلاح كانت هذه الوقفة مع حَدَثٍ من أحداث الجهاد، وموقفٍ من مواقف مواجهة الكفار، وكيف استطاع المسلمون التغلّب على عدوّهم. بصِدقهم وبما وعدهم الله به من النصر في كتابِه عندما قالَ في سورة غافر: ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وقال في سورة الروم: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)). وقال في سورة البقرة: ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)). أيّها المسلمون. في شهر جمادى الآخرة من السنة السادسة للهجرة بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيّدَنا زيدَ بنَ حارثة رضي الله عنه فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ على رأس سرية في غاية الأهمية إلى منطقة جِسْمَى في شمال الجزيرة العربية. ووجه الأهمية هو سبب السرية ومكانها، أمّا السبب هو أنّه بعد صُلْح الحديبية تفرّغ النبي صلى الله عليه وسلم لدعوته، فبعث بالرسل والكتب إلى ملوك الأرض وعظمائها، يدعوهم إلى الإسلام، ويُحذّرهم الكفر والضلالة، فكان مِمَّن بعث سيدنا دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ رضي الله عنه برسالة إلى قيصر ملك الروم. ولما وصل دِحْيَةَ إلى قيصر استقبله استقبالًا جيّدًا، واستمع إليه، وأجازه بمال وكساء وهدايا للرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن عند عودة دحية الكلبي رضى الله عنه إلى المدينة المنورة اعترضه أحد زعماء قبيلة جُذام التي تسكن في منطقة جِسْمَى، وهو الْهُنَيْدُ بْنُ عُوصٍ، وَابْنُهُ عُوصُ بْنُ الْهُنَيْدِ الضُّلَعِيَّانِ ومجموعة من رجال قبيلته. فَأَصَابوا كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مَعَهُ، ولم يتركوا عليه إلا ثوبا خَلِقًا ممزَّقًا، فسمع بذلك نفرٌ من جُذام من بني الضُّبَيْبِ، وبنو الضبيب كانوا من المسلمين. فنفروا إليهم، حَتَّى لَقُوهُمْ، فَاقْتَتَلُوا، واستنقذوا لدِحْية ما أُخِذ

منه، وبالفعل استردّوا له الهدايا وحملها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، في عُرْف أُناس كثيرين أنّ الموقف انتهى، ما دام الشيء الذي أُخِذ رَجَع. فليس هناك داع للقتال، ولكن عندما أخبر دحية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر. قرّر أن لا يجعل هذا الموقف يمرّ دون وقفة حتى وإن كان ما سُلِب من المسلمين رُدَّ إليهم؛ وذلك ليعلم الجميع أنّ هيبة الأمّة الإسلامية لا يجب أن تُنْتَقَص أبدا، وأنّ أيّ قبيلة أو إنسان تسوّل له نفسه التعدّي على حُرمة الأمّة الإسلامية ولو كان هذا التعدّي على رجل واحد أو امرأة واحدة من المسلمين؛ لابدّ أنْ يحدث انتقام من قِبَل الأمّة الإسلامية والدولة الإسلامية، حتى يحسّ رعايا الدولة الإسلامية بالأمان والطمأنينة، وهم يوقنون أنّ دولتهم بكاملها تقف وراءهم وتحفظ كرامتهم وتدافع عن حقوقهم وترفع رأسهم في العالم أجمع. لذلك قرّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث جيشًا لعقاب قبيلة جُذام على تعدّيها على أحد رعايا الدولة الإسلامية، وبخاصّة الهُنَيْد بن عُوص وابنه اللذيْن تزعّما الفرقة التي هجمت على دِحْية الكلبي رضى الله عنه. أيّها المسلمون. هذا موقف مشرِّف جداً، يكتب بماء الذهب وأغلى من الذهب، لقد رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ينتفض لانتهاك حرمة امرأة واحدة أُهينت على يد يهود بني قينقاع، فحاربهم وأجلاهم من المدينة جميعاً، وها هو الآن ينتفض لانتهاك حرمة رجل مسلم واحد أُعْتُدِيَ عليه من قبيلة قوية في شمال الجزيرة العربية بعيدة جداً عن المدينة المنورة، وهذا الموقف يزداد قيمة عندما نعرف أنّ القبيلة التي اعتدت على دِحْية الكلبي هي قبيلة جذام القوية، وتقع مساكنها على بعد حوالي ثمانمائة كيلو متر تقريبًا إلى الشمال من المدينة المنورة، مسافة طويلة صعبة، وفي الصحراء وسيتمّ فيها لقاء صعب، ولكن كرامة الأمّة الإسلامية فوق كل الإعتبارات. هكذا يكون التعامل مع هموم وقضايا الأمّة، فجهّز رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ وَرَدّ مَعَهُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيّ. وذلك في شهر جمادى الآخرة من السنة السادسة للهجرة. وَكَانَ زَيْدٌ يَسِيرُ اللّيْلَ وَيَكْمُنُ النّهَارَ حتى لا تكشفه عيون العدوّ، وَمَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ. وباغتت هذه السرية الكبيرة قبيلة جُذام في الصباح فقتلت منهم عدداً كبيراً، وكان من بين القتلى الْهُنَيْدَ وَابْنَهُ وَأَغَارُوا عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فَأَخَذُوا مِنْ النّعَمِ أَلْفَ بَعِيرٍ وَمِنْ الشّاءِ خَمْسَةَ آلَافِ شَاةٍ وَمِنْ السّبْيِ مِائَةً مِنْ النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ. أيّها المسلمون. لقد كان هذا الحدث انتصاراً هائلاً وحدثاً مدوياً في الجزيرة العربية بكاملها. لقد عرف الجميع بوضوح

أنّ انتقاص هيبة الدولة الإسلامية عاقبته الحرب والقتال والجهاد، لابدّ لكل أهل الجزيرة أن يدركوا هذا الأمر جيّداً، ولا بدّ أن يدركوا هذه القيمة العالية للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، ولا بدّ لهم أن يدركوا قيمة كل مسلم، سواء كان مقيماً في المدينة أو مسافراً في أيّ مكان في الجزيرة العربية أو غيرها. لقد كان هذا الموقف في غاية الروعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن مع كون المسلمين يعيشون أزمة اقتصادية كبيرة بعد غزوة الأحزاب، ومع أن هذه الغنائم التي أتت إلى المدينة المنورة فيها خير كبير جداً إلا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد هذه الغنائم مرة ثانية إلى قبيلة جُذام؛ وذلك عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن رفاعة الجذامي رضي الله عنه أحد أفراد قبيلة جُذام، وكان قد أخذ قبل ذلك كتاباً بالأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أسلم هو وبعض أفراد القبيلة، ومع أنّ الكتاب كان قد تمّ نقضه عندما غدرت قبيلة جُذام بدِحْية الكلبي، إلا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام آثر أن يكسب قلوب القبيلة بإعادة الأموال والغنائم والنساء والصبيان، وحصل كل ذلك بعد أن ظهرت هيبة الدولة الإسلامية وظهرت قوّتها وعزّتها، وتحقّق الهدف من السرية، وقد تكون إعادة الغنائم والسبي سببًا في ثبات المؤمنين في القبيلة على الإيمان وسببًا في إسلام مَن لم يسلم بعد. لقد كان هذا تصرّفًا سياسيًّا حكيمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت للجميع سواء في زمنه أو في زمننا هذا وإلى يوم القيامة أنّه صلى الله عليه وسلم لا يقاتل من أجل المال والغنائم والسبي والدنيا بكاملها، وإنّما يقاتل لأجل إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ، ولأجل تعبيد الناس لرب العالمين. ولأجل الدفاع عن كرامة وحرمات الأمّة الإسلامية. نسأل المولى عزّ وجلّ أن يعيننا على السير على خطاه صلى الله عليه وسلم، اللهم أحينا على محبّته. وثبّتنا على سنّته. وأمتنا على ملّته. واحشرنا في زمرته. وأكرمنا بشفاعته. صلى الله عليه وسلم، اللهم وأوردنا حوضه، واسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً، وأنِلنا شرف صحبته في عليّين، مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء الصالحين، وحَسُن أولئك رفيقا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

27- إرشاد المعتبرين بما في غزوة الحديبيّة من فتح مبين

الحمد لله الذي خصّ سيّدنا محمّدا صلى الله عليه وسلم بأسنى المناقب، ورفعه في الشّرف إلى أعلى المراتب، وأيّده بالمعجزات الباهرات العجائب، التي فاقت ضوء النّيّرين وزادت على عدد النّجوم الثّواقب، وجعل سيرته الزّكيّة أمنا لمن تمسّك بها ونجاة من المعاطب. نحمده سبحانه وتعالى أن أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذكر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند سماع خبر عنه مصدره أو إليه منتماه. فإنّ الإرتياح للذّكر شهادة الحبّ. وأمارة المحبّ. وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم نقلة السنّة. أنّ من أحبّه كان معه في الجنّة. فنسأل الله تعالى أن يكتبنا في محبّيه. الواقفين عند حدّ أوامره ونواهيه. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. منّ علينا بالإسلام. وأكرمنا بنبيّه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام. وجعل آثاره الكريمة ضالّتنا المنشودة. والإقتداء بهديه الأهدى غايتنا المقصودة. وأمنيّتنا المودودة. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله.

نبيٌّ إن أتيتَ إلى حِماه * وجدتَ سماحةً في الكفّ بَسْطا

أتى والدِّين أصبح في انقباضٍ * فعاناه إلى أن نال بسطا

وقاتَل في سبيل الله حتى * أزال عن الورى قَنْطا وضَغْطا

جزاه الله عنّا كلّ خيرٍ * وحاط من دِمار الدّين حَوْطا

ولا زالتْ صلاةُ الله تترا * عليه ما بدا بدرٌ وغَطّا

تفوح وخَتْمها مِسْك عبيقٌ * يعمّ عبيرُه آلاً ورَهْطا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله معادن الكرم وبحور النّوال.

أئمّةُ محراب الشهود وسادةُ * الوجود ومَن طابوا بأعظم مَوْرِدِ

هُمُ القوم لا يشقى بهِمْ مَن أحبّهُمْ * وصار بهِمْ في النّاس أكرمِ مقتَدِ

وحقّهِمُ لا يَختشِي الضَّيْمَ عَبْدُهمْ * وهذا بإرث الهاشميّ محمّدِ

فخذْ عنهُمُ واخدِمْ رِحاب جنابهمْ * فهُمْ بتجلِّي الحقّ أشرفُ مقصدِ

وعلى صحابته السرّات الأبطال.

لقد رضي الرحمان عنهمْ فإنّهمْ * هُمُ بايعوا المختار طوعًا بلا قهرِ

بذا أخبر الرحمان عنهم لأنّهمْ * هُمُ الأوّلون السّابقون من الصّدرِ

هُمُ خيرُ مَن يُرجى لرفعِ مُلِمّةٍ * وهمْ خيرُ مَن يُدعَى وهمْ خيرُ مَن يُقْرِ

فأسأل ربّي رؤيةً لوجوهِهِمْ * لدى جنّةِ الفردوسِ في الحُلَلِ الخُضْرِ

وعلى التابعين لهم بإحسان في الحال وفي المآل. صلاةً تبلّغنا بها القصد والآمال. وتعطينا بها من الفتوحات والإلهامات ما تكلّ عنه الألسن. ولا يخطر على بال. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ النّظر في سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ومعجزاته ومغازيه. والإعتبار بها. والتفكير فيها. لصلاحًا للقلب. وزيادة في إيمان العبد. واستقامة للحال. وسعادة في المآل؛ والتعرّف على حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم. الذين جاهدوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. يدعو إلى محبّتهم. والسير على نهجهم. واتّباع سبيلهم. ذكر إبن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية عن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: كان أبي يعلّمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعدّها علينا ويقول: يا بنيّ هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها. وقال الزهري: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة. وهو أوّل من ألّف في السير. وقال علي بن الحسن: كنّا نعلّم مغازي النبيّ صلى الله عليه وسلم. كما نعلّم السورة من القرآن. أيّها المسلمون، في مثل هذه الأيّام الأولى من شهر ذي القعدة. وقعت غزوة الحديبية. التي كانت في أوّل شهر ذي القعدة. من السنة السادسة للهجرة. والتي كان من أمرها. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنّه دخل مكة هو وصحابته آمنين. محلّقين رؤوسهم ومقصّرين. لا يخافون شيئا. فبشّر النبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك. ففرحوا فرحا عظيما. وأمرهم بالتّجهّز للخروج إلى مكة معتمرين. لا يريدون جربا لقريش. ولا قتالا. فخرج معه جمع كبير من المهاجرين والأنصار. بلغ عددهم ألف وأربعمائة تقريبا. يحدوهم الشوق إلى رؤية بيت الله الحرام. بعد أن حرموا من ذلك ستّ سنوات. وأحرم النبيّ صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذي الحليفة. التي تسمّى الآن بأبيار علي. وساق معه الهدي. وهو ما يساق إلى البيت الحرام من الإبل والنّعم. تعظيما للبيت وتكريما. وفعل ذلك ليأمن النّاس من حربه. وليعلموا أنّه إنّما خرج زائرا للبيت. مقدّسا له. وفي طريقه

صلى الله عليه وسلم إلى مكة. أكرمه الله تعالى بمعجزات ظاهرة. تأييدا له ونصرا. منها ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية. ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضّأ منها، ثمّ أقبل على الناس. فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نشربه. ولا ماء نتوضّأ منه. إلاّ ما في ركوتك، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة. فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون، فشربنا وتوضّأنا. قال الراوي عن جابر فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة. ولمّا كان بعسفان أتاه من يقول له: إنّ قريشًا قد جمعوا له جموعًا. وأنّهم مقاتلوه. وصادّوه عن البيت، فتعجّب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقوف قريش في وجه من قصد زيارة الكعبة، فقال: ((أشيروا عليّ أيّها الناس)). فقال سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد. ولا حرب أحد، فتوجّه له، فمن صدّنا عنه قاتلناه. فقال صلى الله عليه وسلم: ((إمضوا على إسم الله)). فساروا؛ ثم قال: ((يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب. ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم. دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظنّ قريش؟ فوالله إنّي لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به. حتى يظهره الله. أو تنفرد هذه السالفة)). وهي صفحة العنق، كناية عن القتل. وبينما رَكْبُ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يسير بأمر الله تعالى. بركت ناقته القصواء في مكان قريب من مكة يسمّى بالحديبية، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء. خلأت القصواء. أي امتنعت عن المشي. فقال صلى الله عليه وسلم: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)). وعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الله تعالى لا يريد له دخول مكة قهرا، ثم قال: ((والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله تعالى إلاّ أعطيتهم إيّاها))، ثم زجرها فقامت، ثم عدل عن دخول مكة. وسار حتى نزل بأقصى الحديبية. على بئر قليل الماء، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فجلس على حافّة البئر، ودعا بماء. فمضمض ومجّ في البئر. وانتزع سهما من كنانته. فأمرهم أن يجعلوه فيها. فجاش لهم بالري فارتووا جميعا. فبينما هم ذلك. إذ بعثت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسلا يستوضحون منه سبب مجيئه. فأخبرهم أنّه لم يأت إلاّ ليزور البيت ويعتمر. وكان

آخر رسل قريش عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك. وإذا به يقف مبهورًا من طاعة المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وتماسكهم وقوّة حبّهم وتعلّقهم بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، فعاد إلى قومه يقول لهم: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى وقيصر والنجاشي، وإنّي والله ما رأيت ملكًا قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمدًا، والله ما تَنخَّم نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده. وما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له، وقد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها. ثمّ بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه إلى أهل مكة ليؤكّد لهم الغرض من مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم أجمعين. وقال له: ((أخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال أحد، وإنّما جئنا زوّارا لهذا البيت. معظّمين لحرمته. معنا الهدي. ننحره وننصرف))، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشّرهم بالفتح، وأنّ الله عزّ وجلّ مظهر دينه بمكة. وإذا بالمشركين يعرضون على سيّدنا عثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت فأبى، وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم. واحتبسته قريش عندها مدّة، وأشيع بين المسلمين بأنّه قتل. فقال صلى الله عليه وسلم: لا نبرح حتى نناجز القوم. أي نقاتلهم، فدعا إلى البيعة على الجهاد، والشهادة في سبيل الله، فكانت بيعة الرضوان. تحت شجرة هناك. فكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بيد أصحابه الواحد تلو الآخر. يبايعونه على أن لا يفرّوا، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيته مادحا سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه:

وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الأَيَادِي التِي طَا * لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الإِسْدَاءُ

حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى * الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الأَعْدَاءُ

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ * يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ

فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا * نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الأَعْمَـ * ـالُ بِالتَّرْكِ حَبّذَا الأُدَبَاءُ

وقد وورد فضل أهل بيعة الرضوان في نصوص كثيرة من الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة الشريفة. قال تعالى في سورة الفتح: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه اللهَ فَسَنُؤتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا))، وقال أيضا: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً))، وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض))، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أخبرتني أمّ مبشّر أنّها سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: ((لا يدخل النّار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)). ولمّا علمت قريش بأمر بيعة الرضوان، خافوا ورأوا الصلح معه صلى الله عليه وسلم على أن يرجع هذا العام ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب. أي الرماح والسيوف في أغمادها. وأرسلت قريش لذلك سهيل بن عمرو رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك. وكان من بنود الصلح: وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن يردّ النبيّ صلى الله عليه وسلم من يأتي إليه من قريش مسلما دون علم أهله، وألا تردّ قريش من يأتيها مرتدّا، وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل فيه. فعزّ ذلك على المسلمين. ثم أمر رسول الله عليه وسلم أصحابه بالتحلّل من العمرة. قائلا لهم: ((قوموا فانحروا ثم احلقوا)). فبادر بنفسه فتحلّل منها. فتبعه المسلمون جميعا. أيّها المسلمون. وقد ظهرت فيما بعد فوائد وثمار هذه الشروط التي صعبت على المسلمين. ورضي بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد سمّى الله هذه الغزوة فتحا مبينا، حيث قال في سورة الفتح: ((إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً)). حيث كان هذا الفتح سببا في ظهور الإسلام وفشوّه ، وذلك أنّ المشركين كانوا ممنوعين من مخالطة أهل الإسلام، للحرب التي كانت بينهم، فلمّا وقع الصلح اختلط النّاس بعضهم مع بعض، وجعل الكفّار يرون أنوار الإسلام، ويسمعون القرآن، فأسلم حينئذ بشر كثير قبل فتح مكة. لأخرج البخاري في صحيحه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحبّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس. ثم قرأ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً). فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئًا

مريئًا، فما لنا؟ فأنزل الله: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنّكم تعدّون الفتح فتح مكة، ونحن نعدّ الفتح صلح الحديبية. وقد ورد عنه صلّى الله عليه وسلم حين بلغه أنّ رجلا قال: ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت، ومنعونا، فقال صلى الله عليه وسلم: ((بل هو أعظم الفتوح، وقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح، ويسألوكم القضيّة، ويرغبوا إليكم فى الأمان، وقد رأوا منكم ما يكرهون)). ذكره السيوطي فى الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور. كما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة رؤيا النبيّ صلى الله عليه وسلم التي كانت سببا في غزوة الحديبية. فقال: ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً)). ولعلّ هذه إشارة إلى فتح مكة الذي كان ثمرة من ثمار صلح الحديبية. ثم أتبع ذلك بتأكيد غلبة هذا الدين وانتصاره، فقال: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً)). اللهم إنّا نسألك بجاه نبيّك الكريم. والرسول العظيم. سيّدنا محمّد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وبحرمة آله البدور الحسان. وبحرمة أهل بدر وشهداء أحد وأصحاب بيعة الرضوان. أن تفتح على قلوبنا من فيوضات أسرارك الغيبية. وتنوّر بصائرنا بأنوارك القدسيّة. وامنحنا اللهم لطائف العلوم والإفادة. واحفظنا من الموانع القاطعة عن الوصول إليك في البدء والإعادة. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.اهـ

28- جَمْع الفوائد وبشرى للحاج ولمعتادي المساجد بإسقاط أحداث صُلْح الحديبيّة على واقعنا في مواجهة مَنْع (كورونا) الحج والمساجد والمعابد

الحمد لله الذي جعل الحمدَ مفتاحاً لذِكره، وسبباً للمزيد من فضْله، ودليلاً على آلائه وعظمتِه، أمرُهُ قضاءٌ وحِكمة، ورضاه أمانٌ ورحمة، يقضي بعِلمه، ويعفو بحلمه، نحمدك اللهم على ما تأخذ وتُعطي، وعلى ما تُعافي وتَبتلي، الحمد لك يا رب إذ لم تُصْبِح بنا مرتدّين عن دينِنا، ولا منكِرين لربّنا، ولا مستوحِشين من إيمانِنا، ولا معذَّبين بعذاب الأُمم من قَبلنا، أصبحنا عبيداً مملوكين لك، لك الحُجّة علينا، ولا

حُجّة لنا عليك، لا نَقدر أن نأخذ إلا ما أعطيتنا، ولا أن نتّقي إلا ما وقَّيْتنا، نحمدك اللهم ونستعين بك ونستغفرك. فسبحانه من إله خَصَّ بَعْضَ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ. بِالْفَضَائِلِ الْعِظَامِ، منها هذا الشهر ذي القعدة الحرام. حيث كانت فيه عُمُرات النبيّ عليه الصلاة والسلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له. خَصّ حبيبه ومصطفاه سيّدنا ومولانا محمّدا صلى الله عليه وسلم بأسنى المناقب، ورفعه في الشّرف إلى أعلى المراتب، وجعل سيرته الزّكيّة أمنًا لمن تمسّك بها ونجاة من المعاطب. فهي أساسَ العمل والعبادة، والإقتداء بها يحقِّق في الدارين السعادة، وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله، العبد الشكور، والداعي إلى كل عِلْم نافع وعملٍ صالح مبرور. فكشف البيان عن مناسك الحج بعد اندرَاسها. فأدّاها كما أمره الله موضِّحا أركانها. فأبطل تعاليم الجاهلية. وأظهر حقيقة الملّة الحنيفية. وقال لأتباعه جميعاً: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا عَنّي مَنَاسِكَكُمْ فَإِنّي لاَ أَدْرِي لَعَلّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هذَا)). فارزقنا اللهم زيارة روضته الشريفة المنوّرة. والكعبة المشرَّفة. واجعلنا مِمَّن يقول مع حجّاج بيتك الحرام: لبّيك اللهم لبّيك. لبّيك لا شريك لك لبّيك. إنّ الحمد والنّعمة لك والملك. لا شريك لك.

يا مرتَجين مِنَ الشفيع تعطُّفًا * كَرَمًا فمَوْلانا به عَنَّا عَفَا

يُرجَى ويَشْفَعُ في المَعاد لِمَنْ هَفَا * هذا المعظَّمُ خيرُ مَنْ وَطِئَ الصَّفَا

صلّوا على هذا الحبيبِ المصطفى

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة تكون لنا مِسك الختام، دافعة للأسقام. رافعة للآلام. ننال بها الشفاعة يوم الزحام، والمجاورة في دار السلام، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أجلّ الأعمال وأشرفها. وأربح المتاجر وأنجحها. نشر سيرة سيّد الأنام. عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. إلى الخاصّ والعام. لأنّ ذلك يحرّك القلوب ويدعوها إلى محبّته. ويندب الأجساد إلى اقتفاء آثاره واتّباع سنّته. صلّى الله عليه وسلّم. وبالنّظر في سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ومعجزاته ومغازيه.

والإعتبار بها. والتفكير فيها. إصلاحًا للقلب. وزيادة في إيمان العبد. واستقامة للحال. وسعادة في المآل؛ بها نصلح مشاكل مجتمعنا بفقهها، ونحارب بالوقوف على أحداثها جهلنا بها، نستمدّ لمواجهة أعدائنا الشجاعة منها، فهي منبعٌ سيّال لا ينضب معينها، ومدرسة عظيمة تنوّعت أبحاثها وشُعَبها، لا يشبع منها الباحث مهما غاص في بحارها، ولا يملّ منها الدارس مهما سار في فِجاجها. أيّها المسلمون. إنّنا إذا ما سلّطنا الأضواء الكاشفة على هذا الشهر الذي نحن فيه. ألا وهو شهر ذي القعدة الحرم. الشهر الحادي عشر من الشهور الهجرية الإسلامية، نجده قد حمل إلينا في طيّاته أحداثا عظيمة من السيرة النبوية الشريفة. ففيه اعتمر النبي صلّى الله عليه وسلّم ثلاث عُمَر: عمرة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، ثم عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة، ثم عمرة الجعرانة في السنة الثامنة بعد فتح مكة. فقد روى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي، وابن سعد، عن أنس رضي الله عنه قال: ((اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عُمَر كلّهن في ذي القعدة إلا التي مع حجّته. عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبِل في ذي القعدة، وعمرة من الجِعْرانة في ذي القعدة، وعمرة مع حجّته)). وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسّنه. وابن ماجه، وابن سعد، والبيهقي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عُمَر، عمرة الحديبية، وهي عمرة الحصر، وعمرة القضاء من قابل، وعمرة الجعرانة، والرابعة مع حجّته)). واليوم إن شاء الله تعالى نقف وقفات أمام أحداث عمرة الحديبية. كانت أوّل مَنْع للنبي صلّى الله عليه وسلّم وللمسلمين من دخول مكة لأداء المناسك، وقد مُنعنا نحن اليوم بسبب (كورونا) من دخول مكة ودخول المساجد. فتعالَوْا بنا إذن نحاول إسقاط أحداث صُلْح الحديبيّة على واقعنا في مواجهة مَنْع (كورونا) الحج والمساجد والمعابد. أيّها المسلمون. في مثل هذا الشهر أعني شَهْر ذِي القَعدَةِ من السَّنةِ السَّادسةِ للهجرة النَّبويةِ أعلنَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في الحاضرةِ والباديةِ أنَّه يريدُ مكةَ لأداءِ العمرةِ. فلا يُريدُ غَزْوًا ولا حَرْبًا. وهذه أوّل عُمَرِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم. وسبب ذلك أنه صلّى الله عليه وسلّم رأى في المنامِ أنَّه دخلَ هو وأصحابُه المسجدَ الحرامَ. وأخذَ مِفْتاحَ الكعبةِ. وطافوا واعتمروا. وحلّقَ بعضُهم وقصّر البعضُ. كما قال الله تعالى في سورة الفتح: ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيباً)). فاستبشرَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وبشَّر أصحابَه بذلك. فَفَرِحُوا وَحَسِبُوا أنَّهم داخلونَ مكةَ عَامَهُم هذا. أيّها المسلمون. وهنا نتعلّم أنّ الرؤيا المنامية نوع من الوحي. وهي ما تبقّى لنا من النبوّة بعد انتقال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم للرفيق الأعلى؛ روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يقول: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُبُوَّة إلاَّ المبُشِّراتُ. قالوا: وَمَا المُبشِّراتُ؟ قَالَ: الرّؤْيَا الصَّالِحةُ)). فإذا كانت من غير النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وجب سترها. ويجوز تفسيرها حسب قواعدها وضوابطها. يعلمها مَن له العناية والدراية بها، ويُمنع نشرها للعموم فلا يجوز. كما يَفعل اليوم البعض في قنوات المواقع الإجتماعية؛ لِمَا جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داوود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد. عَنْ أَبِي رَزِينٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رؤيا المؤمِنِ جزءٌ مِنْ أربعينَ جُزْءًا مِنَ النبوّةِ، وَهِيَ علَى رِجْلِ طائِرٍ، ما لم يُحَدِّثْ بِها، فإذا تَحَدَّثَ بِها سقَطَتْ، ولا تُحَدِّثْ بها إلَّا لبيبًا، أوْ حبيبًا)). أمّا إذا كانت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي شرع وشريعة، وجب الأخذ بها وامتثال أمرها؛ ولذلك بادر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستجابة لها فورا، فتهيّأ عليه الصلاة والسلام للعمرة. والظروف لم تكن مواتية؛ فكفار قريش لا زالوا يسيطرون على مكة المكرّمة، ويتحكّمون في مناسك الحج والعمرة، وبينهم وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرب طاحنة؛ باردة وساخنة، شهدت معارك كبيرة؛ منها غزوة بدر، وغزوة أُحُد، وغزوة الخندق، فكيف السبيل إذن إلى العمرة وتحقيق الرغبة؟!، ولا يتمّ ذلك إلا بدخول مكة والطواف بالكعبة؟! أيّها المسلمون. ورغم ذلك فما كان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يأمر بالمسير لمكة، لابسا إحرامه ملبيّا لأداء العمرة. فلمّا قطع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسافة تزيد عن 400 كيلومترا، وصل إلى مكان إسمه الحديبية، والآن إسمه الشميسي. لا يبعد عن مكة إلا بحوالي 25 كيلومترا، فهناك توقّفت به ناقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسمّاة بـالقصواء. فرفضت المسير، فقال بعض الصحابة: خلأت القصواء، أي: تعبت من السفر، وامتنعت عن المشي. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا والله؛ ما خلأت وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل))؛ إشارة إلى قصة الفيل الذي امتنع من المسير تعظيما لحرمة مكة؛ قال الله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...)). وعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الله تعالى لا يريد له دخول مكة قهرا، أيّها

المسلمون. ثم وقع ما كان متوقّعا فقد مَنع كفارُ قريش النبي صلى الله عليه وسلم من الدخول إلى مكة. ثم بدأت المفاوضات بينهم وبين النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ثمّ بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه إلى أهل مكة ليؤكّد لهم الغرض من مجيئه. وقال له: ((أخبرهم أنّا لم نأتِ لقتال أحد، وإنّما جئنا زوّارا لهذا البيت. معظّمين لحرمته. معنا الهدي. ننحره وننصرف)). فعرض الكفار على سيّدنا عثمان الطواف بالكعبة فرفض. وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم مُنع منها؛ تقديما للأدب على الأمر، فقد أمر الله تعالى بالطواف ولكن تأدّبا مع النبي صلى الله عليه وسلم امتنع سيّدنا عثمان عن الطواف. وكان جزاء هذا الأدب ما قاله الإمام البوصيري رحمه الله في همزيته مادحا سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه:

وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الأَيَادِي التِي طَا * لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الإِسْدَاءُ

حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى * الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الأَعْدَاءُ

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ * يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ

فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا * نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الأَعْمَـ*ـالُ بِالتَّرْكِ حَبّذَا الأُدَبَاءُ

وفي هذه الأثناء شاع وانتشر خبر مَقْتَلِ سيّدنا عثمانِ بنِ عفانَ رضي الله عنه. فتَحوَّلَ موقفُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم. فأعلنَ الحربَ. وأخذ يُبَايِعُ أصحابَه تحتَ الشَّجرةِ. يُبَايِعُهم على الموتِ وألاَّ يَفِرُّوا. ثم أخذَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بيدِه اليمنى فَضَرَبَ بِها يَدَه الأخرى وقال ذه عن عثمانَ)). قال تعالى في سورة الفتح: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً))، ولكن ما لبث أن أطلّ عليهم سيّدنا عثمان ناجيا سالما، لم يقتله أحد، ولم يعتد عليه أحد. ومن هنا نتعلّم أنّ الإشاعات الكاذبة خطرها على المجتمع كبير، وأثرها خطير؛ فقد هتكت الأعراض، وشتّتت الأُسَر ودمّرت العائلات، لا يتعاطاها إلا شرار الناس، يَنشرون في المجتمع بسمومهم البؤس والبأس. والخوف واليأس، فقد كادت أن تكون سببا في مكة لحرب

لو بدأت لا يعلم إلا الله كم من أرواح طاهرة ستزهق، ودماء بريئة ستهرق؟! ولكن الله سَلَّم. أيّها المسلمون. وبعد ذلك أسفرت هذه المفاوضات عن صُلْح يُسمّى في السيرة النبوية بـصُلْح الحديبية، فأمر صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه أن يكتب: ((هذا ما اتّفقت عليه قريش مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم)). فرفضت قريش وصف الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بالنبوّة. قائلين: لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما خالفناك ولا حاربناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فأمر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم سيّدنا علي أن يمحو كلمة رسول الله. فلم يستجب تقديما للأدب على الأمر كما فعل سيّدنا عثمان في الطواف، فمحاها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بيده الشريفة، ثم اتّفقوا على بنود أثارت غضب الصحابة وعلى رأسهم سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما استطاعوا قبولها ولا تحمّلها، ولكن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قبِل بذلك. فقال قبل توقيع المعاهدة: ((والذي نفسي بيده، لا يسألونني خُطّة يعظِّمون فيها حرمات الله تعالى إلاّ أعطيتهم إيّاها))، أيّها المسلمون. ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحلّل من العمرة. قائلا لهم: ((قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا)). فلم يقم منهم رجل، ذلك أنّهم كانوا مشتاقين لدخول مكة، ورؤية البيت العتيق، وكذلك لهوْل ما نزل بهم من جرّاء قبوله صلى الله عليه وسلم بهذه البنود التي ظنّوها ذُلاّ وإهانة، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يراها فتحا ونصرا، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرَّات. فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحد دخل على زوجته أم سلمة فزعا مستغربا ليستشيرها، وهو يُردِّد: ((هلك الناس، هلك الناس))، فأشارت عليه فقالت: ((يا نبيّ الله أتحبُّ ذلك؟ أُخرج ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك)). فعمل بمشورتها، فلمَّا رأَوْا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا. أيّها المسلمون. ومن هنا نتعلّم أنّ الإستشارة أمرٌ لازم؛ فقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم المرأة فأخذ برأيها، فكان فيه الحلّ لمشكل امتناع الصحابة عن امتثال الأوامر لأوّل مرة في حياته صلى الله عليه وسلم؛ إنّ عمرة الحديبية ليست مجرّد حدثٍ وقع ومضى، ومجرّد أمرٍ جاء وانقضى؛ بل هي مدرسة خلَّفت لنا أحكاما شرعية مهمّة، وأخلاقا حسنة عظيمة؛ فليس (كورونا) أوّل مانع منع المسلمين من أداء المناسك في مكة المكرّمة؛ فقد منع كفار مكة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية من أداء العمرة، فنزل القرآن الكريم بأحكام المنع والإحصار من مكة. فصار يتلى على مر

الأزمان. قال تعالى في سورة البقرة: ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ)). أيّها المسلمون. بهذا التحلّل من العمرة في الحديبية كانت عمرتها عمرة مستقلّة كاملة؛ لأنّ الله تعالى قال: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ))، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية غاية ما يستطيع هو التحلّل من العمرة بالحلق وذبح الهدي، فكتب الله له ولأصحابه رضي الله عنهم أجر العمرة كاملة وإن لم يصلوا مكة؛ لأنّ مَن هَمّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة؛ وهنا نتعلّم من عمرة الحديبية فائدتين من أجل إسقاط أحداثها على واقعنا اليوم بسبب كورونا. أيّها المسلمون. الفائدة الأولى: بشرى لحجّاج هذه السنة بحَجّتيْن في حجة واحدة: أزفّ البشرى لأولئك الذين يحاولون التسجيل في الحج عن طريق القرعة لسنوات فلم يسعفهم الحظ، ولم يأت دَورهم بعدُ، ليتعلّموا أنّهم في كل مرة تقدّموا فيها للقرعة فإنّ الله تعالى يكتب لهم أجر الحج كاملا؛ لأنّ الله تعالى يجازي الإنسان على عمله إذا مُنع من أدائه كأنه قد عمله فعلا لا ينقص من أجره شيء؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. وفي رواية إلا شركوكم في الأجر. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)). ووصفهم الله جل وعلا في سورة التوبة بقوله: ((وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)). أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رضي الله عنه قال: فلمّا أخلصوا في نيّاتهم. وصدقوا مع الله. أثابهم على ذلك بأن أبقى ذِكرهم في كتابه العزيز. وأعطى لهم من الأجر العظيم بمثل ما أعطى للمجاهدين في سبيله. و((ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)). وروى الإمام مسلم والتّرمذي عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه أَنَّ النّبِيّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَ الشّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)). والقاعدة في ذلك: المعذور مأجور. روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا مرِضَ العبدُ، أو سافرَ، كُتِبَ له مثلُ ما كان يعمَلُ مقيمًا صحيحاً))؛ وأخرج النسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن أتى فراشَه وهو ينوي أن يقومَ يُصلِّي من الليلِ، فغلبته عيناه حتى

أصبح، كُتِب له ما نوى، وكان نومُه صدقةً عليه من ربِّه عز وجل)). لأنّ الله تعالى يجازي الإنسان على عمله إذا مُنع من أدائه كأنه قد عمله فعلا لا ينقص من أجره شيء؛ وخصوصا منهم حجاج هذه السنة الذين استعدّوا للحج ودفعوا ثمنه، ولكنّهم مُنعوا منه بسبب (كورونا)؛ فأقول لهم: إنّ الله تعالى قد كتب لكل واحد منكم أجر الحج مجّانا وإن لم تسافروا ولم تزروا مكة، ثم في السنة المقبِلة تكون لكم الحَجة الثانية إن شاء الله؛ فهنيئا لكم حجّتان في حَجة. أيّها المسلمون. الفائدة الثانية: أزفّ بشرى أخرى لكل مسلم مُنع من المساجد اليوم بسبب (كورونا)؛ لأنّ الله تعالى يُعطي المسلم الأجر الكامل في الصلاة في المساجد بشرط أن يكون محافظا عليها قبل (كورونا)؛ بدأً من ثواب رَفْع الخطوات للمساجد، إلى أجر الصفوف وتسويتها، إلى أجر الجماعة فيها؛ لا ينقص له من ذلك شيء؛ وهذا من فضل الله تعالى أن يجازيك على عمل حسب نيّتك وإن لم يصدر منك؛ أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: ((إِنَّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً)). فماذا يريد المسلم من عمله غير الأجر عند الله؛ فمَن يستهدف في المساجد غير الأجر يخشى عليه الوقوع في الشرك الأصغر من الرياء والسمعة؛ فهذه عمرة الحديبية قد سجّل الله تعالى أجرها كاملة للنبي صلى الله عليه وسلم وللصحابة الذين معه، ولم يَصِلْ منهم أحد إلى مكة، ولم يُصَلِّ منهم أحد في مسجدها؛ فحتى سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الحديبية حين عُرض عليه الطواف والسعي لإتمام عمرته رفض فكان له برفضه لها أجرُها. فلا داعي لإثارة الوسواس والقلاقل، ونشر التشويش والبلابل؛ ومن الغباوة مَن يقول: لماذا فُتحت الأسواق والمحلاّت ولم تُفتح المساجد؟! فقياس المساجد على الأسواق والمحلاّت قياس مع الفروق؛ والمسلم لا يريد ولا يتمنّى أن يصاب بـ(كورونا) من يتجوّل ولا مَن يسجد؛ وحساب الكل عند الله تعالى؛ ولكن لَأَنْ تَسمع بمئات المصابين بسبب الأسواق والتجمّعات أهون مِن أن تَسمع بمصاب واحد بسبب المساجد؛ وكلّنا يعلم أنّ أعداء الإسلام ينتظرون أيّ فرصة لاستغلالها في ضرب الإسلام؛ فالمساجد لها وزارة تتكلّف بها وتتكفّل بنظامها؛ فلا داعي للتسرّع واستباق الأحداث، أيّها

المسلمون. هذا قليل من كثير. من فضل الله تعالى وكرمه على عباده. ولكن لابدّ من إخلاص النيّة. والصّدق في الطلب. اللهم اجعلنا ممّن ذَكَر فنفعته الذكرى، وأخلص لله عمله سرًّا وجهرًا، ووفّقنا اللهم إلى ما تحبّ وترضى. اللهم يا الله. يا الله. يا الله. يا حيُّ. يا قيّوم. يا عفوّ. يا غفور. يا توّاب. يا هادي. يا فتّاح. يا رزّاق. يا واسع. يا مُعطي. يا مُعين. يا باسط. يا مبدي. يا وهّاب. يا متين. يا حافظ. يا وليّ. يا كافِي. يا حسيب. يا أرحم الراحمين. يا ذا المَنّ. ويا ذا الفضل. ويا ذا الجلال والإكرام. ويا ذا الطَّولِ والإنعام. يا من لا إله إلا أنتَ. يا ظَهْرَ اللَّاجِئِينَ، وَجَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَمَأْمَنَ الْخَائِفِينَ. ويا من تمحو ما تشاء وتُثبِت ما تشاء ولمن تشاء. ويا من عندك أُمّ الكتاب، بحق أسمائك الحسنى. وآياتك العظمى. وبحق اسمك العظيم الأعظم. صلِّ اللهم على سيّدِنا ومولانا وحبيبِنا وشفيعِنا وملاذِنا محمدٍ رسولِك ونبيّك الأكرم. وعلى آله الطّيبين الطاهرين. وصحابته أجمعين. صلاةَ العبد الحائر. الذي ضجّ من ضيق وحرج. ولجأ إلى ربّه. متوسّلا إليه بخير خلقه. فانفتحت له أبواب الفرج. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآله. صلاةً تُزيلُ بهَا الهَمَّ والخَوْفَ والأوْهامَ. وتَشْفينَا بها من جَميعِ الأمراضِ والأسقامِ. وآحْرُسنا في اليقَظةِ والمَنامِ. واغفِرْ لنَا الذُّنُوبَ والآثامَ. واحْفَظنا من تَقلُّباتِ اللَّيالي والأيّامِ. واستُرْنا بسِترِكَ الَّذي منِ اسْتَتَرَ بهِ لا يُضامُ. سُبْحانكَ يا واهِبَ النُّورِ والإنْعامِ. تبَارَكَ اسْمُكَ يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ. أنتَ وليّناِ في الدُّنيا والآخِرة. توفَّنِا مُسلِمين. وألحِقْنا بالصَّالحينَ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. اللهم أنت السلام ومنك السلام، سلِّمنا من كل بلاء. وارفع عنّا كل ابتلاء، ولا تُسْكِن في أجسامنا داء، فإنه لا يعلم بحالنا إلا أنت، ولا يجبر حالنا إلا أنت، فاجعل لنا من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجاً، اللهم يا رب معجزة من عندك تغيّر الأقدار، وتُبعد بها عنّا هذا الوباء. متوجّهين إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى؛ ومتوسّلين إليك بحبيبك المصطفى. سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ

29- عبيرُ الزَّهَر وأُنْسُ السَّمَر حول أحداث غَزْوَة فَتْحِ خَيْبَر

الحمد لله المحمود بجميع المحامد تعظيماً وتشريفاً وثناءً، المتّصِف بصفات الكمال عزّة وقوّة وكبرياءً، به نصول وبه نجول، وبه نؤمِّل دَفْع الكروب شدّة وبلاءً، ودَرْءَ الخطوب ضَنْكا ولَأْواءً. نحمده سبحانه وتعالى أن أسبغ علينا نِعَمَه، وأفاض لدينا مِنَنَه، وأنزل إلينا كتابَه الذي فصّل آياتِه فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شَرْعِه. فعلّمنا فروضَه وسُنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدرَه. ووضع وِزْرَه. ورفع ذِكْرَه، وجعل خير القرون قَرْنَهُ الذي به قَرَنَه.

هديّةُ ربِّنا الهادي إلينا * لنا أهداه مولانا امتِنانا

رحيمٌ بالدّوام بنا رؤوفٌ * سيرحَمُنا فيدخلُنا الجِنانا

وينقذُنا من النيران فضلا * ويسقِيَنا الرحيقَ إذا يرانا

وإنْ كنّا عُصاةً زاد رُحْمًا * فما أبهى من الهادي الحَنانا

فليس لنا رحيمٌ مثلَ طه * إذا القهّار يَقْضِينا امتِحانا

فعند الكَرْبِ أنجانا سريعا * وعند سِقامِنا أيضا شَفانا

وعند العُسرِ أبدَلَهُ بِيُسْرٍ * بدعوته وكان قدِ اِعْترانا

وأظهرَ عِزَّنا في كلّ أرضٍ * فلم نر بعْدَ عِزَّتِنا امْتِهانا

عليه وآلِه أزكى سلامٍ * وأصحابٍ بِهِمْ ربّي هدانا

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. صلّى الله عليه وسلّم. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يُتَشرَّفُ بعِلْمِه في الدارَيْن ويُفْتَخَرْ. أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذِكْر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند سماع خَبَرٍ عنه مصدرُه أو إليه منتماه. وما أحلى ما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله:

هنيئًا لأصحاب خيرِ الوَرَى * وطُوبَى لأصحاب أخبارِهِ

أولئك فازوا بِتَذْكِيرِهِ * ونحن سَعِدنا بِتِذْكَارِهِ

وهم سبقونا إلى نَصْرِهِ * وها نحن أتباعُ أنصارِهِ

ولَمَّا حُرِمْنا لِقَا عَيْنِهِ * عَكَفْنَا على حِفْظِ آثاره

عسى الله يَجْمَعُنَا كُلَّنا * برحمته مَعْهُ في داره

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أمين وَحْيِه، وخاتَمُ رُسُله، وبشير رحمتِه، ونذير نِقْمته، بعثه بالنور الْمُضِي، والبرهانِ الْجَلِي، فسَفُلَتْ بِحَقِّه الدامِغ كلمةُ الباطل بَعْد عُتُوِّها وطُغْيانِها، واتّصلَت برسالته أنوارُ الهدى. وظهرت حُجَجُها بعد اندراسِها وانقطاعها.

واللهِ ما ذَرَأَ الإلهُ ولا بَرَا بشرا * ولا مَلَكًا كأحمدَ في الورى

فعليه صلّى الله ما قَلَمٌ جرى * وجلا الدياجِرَ نُورُه المتبَسِّمُ

فبحقِّه صلّوا عليه وسلِّموا

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِك على سيّدنا محمّد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثها وأذكارها. وتنافست الرجال في خدمتها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. كما ورد ذلك في صحيح السنّة وأخبارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وفتحوا حصون خيبر وقِلاعِها، وهجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، وحَفَظُوا على أتباعهم أقوالَه وأفعالَه وأحوالَه حتى أَمِنَتْ بهم السُّنَنُ الشريفة من ضياعها. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما دامت السماءُ في سُمُوِّها، والأرضُ في اتّساعها، ويكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ قلوبَ المؤمنين. وأفئدةَ المتّقين. وأرواحَ المحبّين. تحيا عند نَشْرِ أحداث السِّيرة النبوية. وتُنِير بسماع الغزوات المحمّدية. وتتشوَّق إلى بثّ المعجزات المصطفوية. وتتشوّف إلى نَعْت أوصاف نبيّنا صلى الله عليه وسلم الجليلة المُنيفة. وتتشرّف إلى وَصْف أخلاقه العظيمة الشريفة. وإنّ دراسةَ السيرةِ النبوية. ومطالعتَها. والتّدبّرَ في أحداثِها ووقائِعِها. لَمَطْلَبٌ هامٌّ لكلّ مسلِمٍ ومسلمة. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو القُدْوَة والأُسْوة. وهو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين. ولقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالإقتداء به صلى الله عليه وسلم. والإهتداء بهديه. والتخلّق بأخلاقه. فقال سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). ولقد كان السلف الصالح من هذه الأمّة

الإسلامية يُدْرِكون ما لسيرة خير الأنبياء. عليه الصلاة والسلام. وسِيَرِ الصحابة النبلاء. من آثارٍ حسنة في تربية النشء. وتنشئة جيلٍ صالح لِحَمْل رسالة الإسلام. فمِنْ ثَمَّ كانوا يتدارسون السيرة. ويلقِّنونها للغِلْمان. أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر عن سيّدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما قال: كنّا نُعَلَّمُ مغازيَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن. وفي شرح المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني قال: رُوِيَ عن إسماعيل بن محمد بن سَعْد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم قال: كان أبي يعلّمنا المغازِيَ والسرايا. ويقول: يا بُنَي هذه شَرَفُ آبائكم. فلا تضيّعوا ذِكْرها. وها هو الإمام الزُّهَري عالم الحجاز والشام وهو من قدماء مَنْ عُنوا بِجَمْع السيرة. بل قيل: أنّ سيرته أوّل سيرة أُلِّفَت في الإسلام. كان يقول: في عِلْم السيرة عِلْم الدنيا والآخرة. وإنّها لكلمة صِدْقٍ وحقّ. ولا شكّ أنّ في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم من الفوائد والعِبَر. وترقيق القلوب ورَبْطِها بالله تعالى ما لا يوجد إلاّ في القرآن الكريم. لأجل ذلك كانت هذه الوَقْفة مع حَدَثٍ من أحداث الجهاد، ومواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه في مواجهة اليهود، ونُصْرة الله تعالى لأوليائه. أيّها المسلمون، في مثل هذا الشهر، أعني شهر الله المحرّم من السنة السابعة للهجرة النبويّة الشريفة. كان ليهود خَيْبَر مَوْعِدٌ مع جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت خيبر آنذاك مدينة كبيرة ذات واحات خِصْبة. يكثر فيها النخيل. وتضمّ حصونا منيعة لليهود. مُقَسَّمَة إلى ثلاث مناطق قتاليّة مُحَصَّنَة. كان فيها نحو من عشرة آلاف مقاتل. تبعد عن المدينة المنوّرة حوالي مائة وسبعين كيلو مترا من جهة الشمال، وكان يهودها أعظم مُهَيِّجٍ للأحزاب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، والذين لا يزالون مجتهِدِين في محالفة الأعراب. والإتّصال بالمنافقين في المدينة. لإثارة القلاقل وبثّ الشائعات والإضرار بالمسلمين. وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُرَجِّي قتالَهم لانشغاله بكفار مكة عنهم. وبَعْد أن أَمِن جانب قريش بالصُّلْح الذي تمّ بالحديبية سنة ستّ. والإتّفاق على وَقْفِ الحرب بين جيش المسلمين وكفار قريش. تفرّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر. وقرّر تصفية التجمّعات اليهودية فيما حول المدينة المنوّرة. بعد أن صفّى اليهود من المدينة نفسها. وكان الله عزّ وجلّ قد وعد رسولَه صلى الله عليه وسلم وأصحابَ بَيْعة الرِّضْوان بفَتْحِ خيبر. وحيازة أموالها غنيمة. وذلك عند منصَرَفه من الحديبية. فنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة، وقال الله تعالى: ((لَقَدْ

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً)). يعني بالمعجَّل صُلْح الحديبية والمغانم الكثيرة الموعود بها فتح خير. فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خيبر أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحابُ الشجرة. أصحابُ بَيْعة الرِّضْوان. وهم ألف وأربعمائة من المشاة. ومائتي فارس. وجاء المخلَّفون عن غزوة الحديبية من المنافقين وضعفاء الإيمان لِيُؤذَن لهم، رجاء أن يكون لهم حظّ في الغنيمة. لأنّهم عَلِموا أنّ الله وَعَدَ رسوله بالغنائم. واللهُ لا يُخْلِف الميعاد. فأمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم فيهم قائلاً: ((سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا)). فقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد، أمّا الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً))، وأمر منادياً ينادي بذلك، فقام المنافقون بخيانة المسلمين. وأرسل عبد الله بن أُبَيْ بن سلول ليهود خيبر يُعْلِمُهم بوِجْهة النبيّ صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه إليهم ليأخذوا حِذْرَهم، أيّها المسلمون. ثم خرج عليه الصلاة والسلام بعد أن ولَّى على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الغفاري. وكان معه من أزواجه أُمّ سلمة رضي الله عنها، وسَمَح لعشرين إمرأة أن يَصْحَبْنَ الجيش لمداواة الجرحى ورعايتهم. وفي الطريق، والجيشُ الإسلامي زاحف نحو اليهود، وفي بعض الليل قال رجلٌ لعامر بن الأكوع: يَا عَامِرُ أَلا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ، يَقُولُ:

اللّهُمّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَا * وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟)). قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ. قَالَ: ((يَرْحَمُهُ اللهُ)). قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللهِ! لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ! وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترحّم على إنسانٍ إلا مات شهيدًا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم. وكان المعتاد أن تُقْطَع المسافة بين المدينة المنوّرة وخيبر في خمسة أيّام. غير أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أسرع في السَّيْر بجيشه. فوصل إلى خيبر قبل فَجْر اليوم الرابع. ولَمّا دَنَا النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ من خيبر، وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا قَالَ: ((قِفُوا!)). فَوَقَفَ الْجَيْشُ، وساد الصمت، وقال: ((قولوا معي: اللّهُمّ رَبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ. وَرَبّ الأَرَضِينَ السّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ. وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ. وَرَبَّ الرّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا. أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ)). وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها. وفي صحيح البخاري مِنْ حديث أَنَسِ بنِ مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً. وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتّى يُصْبِحَ، فَلَمّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ. فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمّدٌ وَاللهِ! مُحَمّدٌ وَالْخَمِيسُ! أيْ والجيش. فرَجَعُوا هَارِبِينَ إلَى حُصُونِهِمْ، وهذا من جُبْنِهِمْ المعروف، وقد قال الله فيهم في سورة البقرة: ((لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)). وفي هروبهم إلى حصونهم، دلالة على كَوْنِهِمْ لا أَرَبَ لهم في القتال المباشر، وإنما كانوا يَتحصَّنون. وفي ذلك يقول الله تعالى عنهم في سورة الحشر:((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)). هنالك قَالَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللهُ أَكْبَرُ. خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)). إذ أنّ هروب العدوّ هو بداية النصر. أيّها المسلمون. كانت غزوة خيبر حافلة بالأحداث الكثيرة المثيرة. يزيد فيها إيمان المؤمنين. من ذلك ما في الصحيح عَنْ سَلَمَةَ بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ. وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ. فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ. فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى

يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). وقد أشار إلى التّفل صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَعَلِيٍّ لَمَّا تَفَلْتَ بِعَيْنَيْـــ*ــهِ وَكِلْتَاهُمَا مَعاً رَمْدَاءُ

فَغَدَا نَاظِراً بِعَيْنَيْ عُقَابٍ * فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لِوَاءُ

وَلَمّا دَنَا سيّدنا عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنْ حُصُونِهِمْ اطّلَعَ عليه يَهُودِيّ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ، فَقَالَ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ الْيَهُودِيّ: عَلَوْتُمْ وحقّ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. ثم خرج فقاتل، فكان الفتح على يديه رضي الله عنه. وغنم المسلمون كل ما في تلك الحصون من أموال. ولم يبق إلا حصنان، ظلّ المسلمون يحاصرونهما، حتى أيقن مَنْ فيهما بالهلاك، فطلبوا أن يخرجوا ويتركوا الأموال مقابل أن يتركهم المسلمون، فوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم سألوه أن يُبْقِيَ خيبر تحت أيديهم. يعملون فيها ويزرعون؛ لأنّهم أعرف بأراضيهم. ولهم نصف ما يخرج منها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، وقال لهم: على أنّا إنْ شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فأقرّوا بذلك. إلى أن أجلاهم سيّدنا عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب. أخرج البخاري وغيرُه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ: ((لـمَّا فَدَعَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، قَامَ عُمَرُ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ. وَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهَمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ...)). فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ مَالًا وَإِبِلًا وَعُرُوضًا، مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «الْفَدَع بِفَتْحَتَيْنِ زَوَال الْمِفْصَل. فُدِعَتْ يَدَاهُ: إِذَا أُزِيلَتَا مِنْ مَفَاصِلهمَا. ومن تلك الأحداث أيضا أنّ إمرأة يهودية بعثت بشاة مشوية مسمومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأكثرت السمّ في الذراع. عندما علمت أنّه يحبّه. فلمّا أكل. قال صلى الله عليه وسلم: إنّ هذا العظم يخبرني أنّه مسموم. فاستجوب المرأة فاعترفت بجريمتها. وسألها عن سبب ذلك فأجابت: قلتُ إن كان نبيّاً لن يضرّه، وإن كان كاذباً أراحنا الله منه، فعفى عنها ولم يعاقبها في حينها. ولكنّه قتلها عندما مات بِشْر

بن البرّاء بن معرور من أثر السمّ الذي ابتلعه في الطعام عندما أكل مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وإلى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله:

ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَةَ الشَّا * ةَ وَكَمْ سَامَ الشِّقْوَةَ الأَشْقِيَاءُ

فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ سُـ*ـمٍّ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

وَبِخُلْقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ * لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ

أيّها المسلمون. وبعد تمام الظَّفَر والنصر تزوّج عليه الصلاة والسلام السيّدة صفيّة بنت حييّ بن أخطب، سيّد بني النضير، وأصدقها عِتْقَهَا، وقد أسلمت رضي الله عنها، فشرُفَت بأُمومة المؤمنين. وفي ثنايا هذا الفتح قَدِم سيّدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومَنْ كان معه في الحبشة، وكانوا قد هاجروا إليها زمن إيذاء المشركين لهم في مكة. فأقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنّين، وفرح عليه الصلاة والسلام بمقدمهم فرحاً عظيماً، وأسهم لهم من غنائم خيبر. وكان مع سيّدنا جعفر أُمُّ حَبيبة بنت أبي سُفيان أُمّ المؤمنين. رضي الله عنها وأرضاها. ولمّا قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبّله بين عينيه. وقال: والله ما أدري بأيّهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين إسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم: خالد بن الوليد المخزومي، وعمرو بن العاص السهمي، وعثمان بن طلحة العبدري، فسُرّ بهم عليه الصلاة والسلام سروراً عظيماً، وقال لخالد: «الحمد لله الذي هداك، قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوتُ ألاّ يُسْلِمُك إلا إلى خير» فقال: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنتُ أشهدها عليك، فقال عليه الصلاة والسلام: «الإسلام يقطع ما قبله». أيّها المسلمون. هذا. وكان كفار قريش يتحسّسون الأخبار لعلّ جيش المسلمين ينهزم أمام الحصون المنيعة. ولكنّ الله عزّ وجلّ خيّب ظنّهم. فأظهر دينه. ونصر نبيّه. وأسبغ على الصحابة نعمه. فأتتهم المغانم الكثيرة التي وعدها الله لهم. أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، وروى عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما فُتِحَت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إيّاها من النخيل. حين صار لهم بخيبر مال ونخيل. اللهمّ اجعلنا ممّن

إعتبر وادّكر بهذه السيرة. فتاب إلى ربّه واستغفره من كلّ صغيرة وكبيرة. اللهم يا ذا الجلال والإكرام. ويا ذا العزّة التي لا ترام. نسألك بحرمة أحبّ الخلق إليك. وأكرمهم عليك. سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. وبحرمة آله ذوي المزايا الشريفة. والمناقب الْمُنيفة. وبحرمة أصحابه الذين اصطفيتهم لصحبته. وأهّلتهم لنصرته. خصوصا أهل بدر وشهداء أُحُد وأصحاب بيعة الرضوان. فاهدنا اللهم بهديهم وسيرتهم. واسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. ولا تخالف بنا اللهم عن صراطهم المستقيم. حتى نلقاك على ذلك في فراديس النعيم. ونكون ممّن مننتَ عليهم بالنظر إلى وجهك الكريم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

30- أحداث غَزْوَة فَتْحِ خَيْبَر

الحمد لله الذي أسبغ علينا نِعَمَه، وأفاض لدينا مِنَنَه، وأنزل إلينا كتابَه الذي فصّل آياتِه فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شَرْعِه. فعلّمنا فروضَه وسُنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدرَه. ووضع وِزْرَه. ورفع ذِكْرَه، وجعل خير القرون قَرْنَهُ الذي به قَرَنَه. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذِكْر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند سماع خَبَرٍ عنه مصدرُه أو إليه منتماه. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. بعثه بالنور الْمُضِي، والبرهانِ الْجَلِي، فسَفُلَتْ بِحَقِّه الدامِغ كلمةُ الباطل بَعْد عُتُوِّها وطُغْيانِها، واتّصلَت برسالته أنوارُ الهدى. وظهرت حُجَجُها بعد اندراسِها وانقطاعها.

واللهِ ما ذَرَأَ الإلهُ ولا بَرَا بشرا * ولا مَلَكًا كأحمدَ في الورى

فعليه صلّى الله ما قَلَمٌ جرى * وجلا الدياجِرَ نُورُه المتبَسِّمُ

فبحقِّه صلّوا عليه وسلِّموا

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِك على سيّدنا محمّد. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وفتحوا حصون خيبر وقِلاعِها، صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن يكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع

برياضها وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ دراسةَ السيرةِ النبوية. ومطالعتَها. والتّدبّرَ في أحداثِها ووقائِعِها. لَمَطْلَبٌ هامٌّ لكلّ مسلِمٍ. لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين. ولقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالإقتداء به. فقال سبحانه في سورة الأحزاب: ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). لأجل ذلك كانت هذه الوَقْفة مع حَدَثٍ من أحداث الجهاد، ومواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة اليهود، ونُصْرة الله تعالى لأوليائه. أيّها المسلمون، في مثل هذا الشهر، أعني شهر الله المحرّم من السنة السابعة للهجرة النبويّة. كان ليهود خَيْبَر مَوْعِدٌ مع جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت خيبر آنذاك مدينة كبيرة ذات واحات خِصْبة. يكثر فيها النخيل. وتضمّ حصونا منيعة لليهود. مُقَسَّمَة إلى ثلاث مناطق قتاليّة مُحَصَّنَة. كان فيها نحو من عشرة آلاف مقاتل. تبعد عن المدينة المنوّرة حوالي مائة وسبعين كيلو مترا من جهة الشمال، وكان يهودها أعظم مُهَيّجٍ للأحزاب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، والذين لا يزالون مجتهِدِين لإثارة القلاقل وبثّ الشائعات والإضرار بالمسلمين. وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يُرَجِّي قتالَهم لانشغاله بكفار مكة عنهم. وبَعْد أن أَمِن جانب قريش بالصُّلْح الذي تمّ بالحديبية سنة ستّ. والإتّفاق على وَقْفِ الحرب بين جيش المسلمين وكفار قريش. تفرّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر. وكان الله عزّ وجلّ قد وعده وأصحابَ بَيْعة الرِّضْوان بفَتْحِ خيبر. وحيازة أموالها غنيمة. وذلك عند منصَرَفه من الحديبية. فنزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة، وقال الله تعالى: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً)). يعني بالمعجَّل صُلْح الحديبية والمغانم الكثيرة الموعود بها فتح خير. فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى خيبر أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحابُ الشجرة. أصحابُ بَيْعة الرِّضْوان. وهم ألف وأربعمائة من المشاة. ومائتي فارس. وجاء المخلَّفون عن غزوة الحديبية من المنافقين وضعفاء الإيمان لِيُؤذَن لهم، رجاء أن يكون لهم حظّ في الغنيمة. لأنّهم عَلِموا أنّ الله وَعَدَ رسوله بالغنائم. واللهُ لا يُخْلِف الميعاد. فأمر الله

تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم فيهم قائلاً: ((سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا)). فقال عليه الصلاة والسلام:((لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد، أمّا الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً))، وأمر منادياً ينادي بذلك، فقام المنافقون بخيانة المسلمين. وأرسل عبد الله بن أُبَيْ بن سلول ليهود خيبر يُعْلِمُهم بوِجْهة النبيّ صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه إليهم ليأخذوا حِذْرَهم، ولَمّا دَنَا النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ من خيبر، وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا قَالَ: ((قِفُوا!)). فَوَقَفَ الْجَيْشُ، وساد الصمت، وقال: ((قولوا معي: اللّهُمّ رَبّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ. وَرَبّ الأرَضِينَ السّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ. وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ. وَرَبَّ الرّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا. أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ)). وفي صحيح البخاري مِنْ حديث أَنَسِ بنِ مالك رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً. وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتّى يُصْبِحَ، فَلَمّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ. فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمّدٌ وَاللهِ! مُحَمّدٌ وَالْخَمِيسُ! أيْ والجيش. فرَجَعُوا هَارِبِينَ إِلَى حُصُونِهِمْ، وهذا من جُبْنِهِمْ المعروف، وقد قال الله فيهم في سورة البقرة: ((لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)). وفي هروبهم إلى حصونهم، دلالة على كَوْنِهِمْ لا أَرَبَ لهم في القتال المباشر، وإنما كانوا يَتحصَّنون. وفي ذلك يقول الله تعالى عنهم في سورة الحشر: ((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)). هنالك قَالَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: ((اللّهُ أَكْبَرُ. خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)). إذ أنّ هروب العدوّ هو بداية النصر. أيّها المسلمون. كانت غزوة خيبر حافلة بالأحداث الكثيرة المثيرة. يزيد فيها إيمان المؤمنين. من ذلك ما في الصحيح عَنْ سَلَمَةَ بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ. وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ. فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ

بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ. فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). وقد أشار إلى النّفل صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَعَلِيٍّ لَمَّا تَفَلْتَ بِعَيْنَيْـــــهِ وَكِلْتَاهُمَا مَعاً رَمْدَاءُ

فَغَدَا نَاظِراً بِعَيْنَيْ عُقَابٍ * فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لِوَاءُ

وَلَمّا دَنَا سيّدنا عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنْ حُصُونِهِمْ اطّلَعَ عليه يَهُودِيّ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ، فَقَالَ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ الْيَهُودِيّ: عَلَوْتُمْ وحقّ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. ثم خرج فقاتل، فكان الفتح على يديه رضي الله عنه. وغنم المسلمون كل ما في تلك الحصون من أموال. ولم يبق إلا حصنان، ظلّ المسلمون يحاصرونهما، حتى أيقن مَنْ فيهما بالهلاك، فطلبوا أن يخرجوا ويتركوا الأموال مقابل أن يتركهم المسلمون، فوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم سألوه أن يُبْقِيَ خيبر تحت أيديهم. يعملون فيها ويزرعون؛ لأنّهم أعرف بأراضيهم. ولهم نصف ما يخرج منها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، وقال لهم: على أنّا إنْ شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فأقرّوا بذلك. إلى أن أجلاهم سيّدنا عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب. ومن تلك الأحداث أيضا أنّ إمرأة يهودية بعثت بشاة مشوية مسمومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأكثرت السمّ في الذراع. عندما علمت أنّه يحبّه. فلمّا أكل. قال صلى الله عليه وسلم: إنّ هذا العظم يخبرني أنّه مسموم. فاستجوب المرأة فاعترفت بجريمتها. وسألها عن سبب ذلك فأجابت: قلتُ إن كان نبيّاً لن يضرّه، وإن كان كاذباً أراحنا الله منه، فعفى عنها ولم يعاقبها في حينها. ولكنّه قتلها عندما مات بِشْر بن البرّاء بن معرور من أثر السمّ الذي ابتلعه في الطعام عندما أكل مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وإلى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله:

ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَةَ الشَّا * ةَ وَكَمْ سَامَ الشِّقْوَةَ الأَشْقِيَاءُ

فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ سُـــ*ـــمِّ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

وَبِخُلْقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ * لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ

أيّها المسلمون. وبعد تمام الظَّفَر والنصر تزوّج عليه الصلاة والسلام السيّدة صفيّة بنت حييّ بن أخطب، سيّد بني النضير، وأصدقها عِتْقَهَا، وقد أسلمت رضي الله عنها، فشرُفَت بأُمومة المؤمنين. وفي ثنايا هذا الفتح قَدِم سيّدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومَنْ كان معه في الحبشة، وكانوا قد هاجروا إليها زمن إيذاء المشركين لهم في مكة. فأقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنّين، وفرح عليه الصلاة والسلام بمقدمهم فرحاً عظيماً، وأسهم لهم من غنائم خيبر. ولمّا قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبّله بين عينيه. وقال: ((والله ما أدري بأيّهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)). أيّها المسلمون. هذا. وكان كفار قريش يتحسّسون الأخبار لعلّ جيش المسلمين ينهزم أمام الحصون المنيعة. ولكنّ الله عزّ وجلّ خيّب ظنّهم. فأظهر دينه. ونصر نبيّه. وأسبغ على الصحابة نعمه. فأتتهم المغانم الكثيرة التي وعدها الله لهم. أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، وروى عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما فُتِحَت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إيّاها من النخيل. حين صار لهم بخيبر مال ونخيل. اللهمّ اجعلنا ممّن إعتبر وادّكر بهذه السيرة. فتاب إلى ربّه واستغفره من كلّ صغيرة وكبيرة. اللهم يا ذا الجلال والإكرام. ويا ذا العزّة التي لا ترام. نسألك بحرمة أحبّ الخلق إليك. وأكرمهم عليك. سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. وبحرمة آله ذوي المزايا الشريفة. والمناقب الْمُنيفة. وبحرمة أصحابه الذين اصطفيتهم لصحبته. وأهّلتهم لنصرته. خصوصا أهل بدر وشهداء أُحُد وأصحاب بيعة الرضوان. فاهدنا اللهم بهديهم وسيرتهم. واسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. ولا تخالف بنا اللهم عن صراطهم المستقيم. حتى نلقاك على ذلك في فراديس النعيم. ونكون ممّن مننتَ عليهم بالنظر إلى وجهك الكريم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.اهـ

31- تطييب مجالس أهل الصفاء بذكر أخبار عمرة القضاء

الحمد لله الذي بعث فينا حبيبه سيّدنا ونبيّنا محمّدا صلى الله عليه وسلم. وجعله من أنفسنا وشرّفنا ببعثته. وجبل القلوب على محبّته وخالص مودّته. وجعل أرواح المحبّين تستروح بذكره الطيّب في جميع الأحوال. وتتشوّق إلى معاهده الشريفة ورؤيته. وقلوب العاشقين تطيب بالثناء عليه. وتنشرح بكثرة الصلاة عليه وسماع مدحته .

بِمَدْحِ المصطفى تَحيا القلوبُ * وتُغْتَفَرُ الخطايا والذُّنُوبُ

يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرُباتِ عنّا * إذا نَزَلَتْ بساحَتِنا الكُروبُ

وأذكرهُ وليلُ الخطبِ داجٍ * عَلَيَّ فَتَنْجلِي عنّي الخُطوبُ

وأرجو أن أعيشَ بهِ سعيداً * وَألقاهُ وَليس عَلَيّ حُوبُ

ولي طرفٌ لمرآهُ مشوقٌ * وَلِي قلب لِذِكْراهُ طَروبُ

لجودِ المصطفى مُدَّت يدانا * وما مدتْ له أيدٍ تخيبُ

صلاةُ الله ما سارت سَحابٌ * عليه وما رسا وثوى عسيبُ

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل لكل شيء سبباً، فجعل الأكل سبباً للشبع، والماء سبباً لريّ الظمأ، والدواء سبباً لشفاء الأسقام، والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم سبباً لهداية الأنام، إلى الصراط المستقيم الموصل للجنّة دار السلام. وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، اختاره الله تعالى على حين فترة من الرسل. فأقام به الملّة العوجاء، ونشر به الشريعة السمحاء، وهدى به بعد الضلالة، وجمع به بعد الفُرْقة، وأعزّ به بعد الذلّة. اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، وعلى آله أهل الصدق واليقين. وصحابته المُعينين له على أعباء هذا الدين، وورثته الحاملين لواء رسالته من بعده أجمعين، وعلى كلّ من هو عامل بشريعته، مُنفِّذ لسنّته. صلاة ينوّر الله تعالى بها قبورنا، ويحشرنا بها تحت لواء شفاعته، ويجعلنا بها جميعاً من أهل جواره في جنّته، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها

المسلمون. إنّ من أجلّ الأعمال وأشرفها. وأربح المتاجر وأنجحها. نشر سيرة سيّد الأنام. عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. إلى الخاصّ والعام. إذ لم تعمر مجالس الذكر بعد كتاب الله. بأحسن من أخبار رسول الله. صلى الله عليه وسلم. لأنّ ذلك يحرّك القلوب ويدعوها إلى محبّته. ويندب الأجساد إلى اقتفاء آثاره واتّباع سنّته. ففي مثل شهرنا هذا. شهر ذي القعدة. من السنة السابعة للهجرة. وهو الشهر الذي صدّى فيه المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول مكة لأداء العمرة وهو بالحديبية، فأنزل الله تبارك وتعالى في سورة البقرة قوله: ((الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَالْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)). أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتجهّزوا للعمرة، ولا يتخلّف أحد ممّن شهد الحديبيّة، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان. ولم يتخلّف من أهل الحديبية إلاّ من استشهد في غزوة خيبر. أو مات قبل عمرة القضاء. وذلك وفاء على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية، أي من أنّه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام. فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المدينة المنوّرة باتّجاه مكة المكرّمة في موكب مهيب يشقّ طريقه عبر القرى والبوادي. لم تألفه العرب من قبل. حيث المسلمون بزيّ واحد من الإحرام. وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية. ويسوقون هديهم معهم. في مظهر بهيّ لم تشهد المنطقة له مثيلا. ومن باب أخذ الحيطة والحذر من غدر قريش اصطحب النبيّ صلى الله عليه وسلم معه السلاح الكامل. الدروع والرماح، وقاد مائة فرس. وما إن وصل خبر مسير النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه هذا العدد الضخم. وهذه الأسلحة المتنوّعة. حتى أرسلت قريش إليه تستوضح حقيقة الأمر. فقالوا: والله يا محمّد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك. وقد شرطت عليهم أن لا تدخل إلاّ بسلاح المسافر. السيوف في القرب، فقال: إنّي لا أدخل عليهم بسلاح، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح خارج الحرم. قريبا منه. تحسّبا لكل طارئ. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة راكبا ناقته القصواء. وأصحابه محدقون به من كل جانب، قد توشّحوا السيوف. رافعين أصواتهم بالتلبية لله العليّ الكبير. لبّيك اللّهمّ لبّيك. لبّيك لا شريك لك لبّيك. إنّ الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك. هذه التلبية التي لم تنقطع منذ أن أحرموا. واستمرّت حتى دخلوا مكة. فقد كان لها مغزى ومعنى. فهي تعلن التوحيد وترفع

شعاره. وتعني إسقاط راية الشرك واندثاره. وتعلن الحمد والثناء على الله الذي مكّنهم من أداء هذا النسك. وكان مظهرا دعويّا مؤثّرا. عندما بدأ الموكب النبويّ يقترب من بيوت مكة المكرّمة. شاقّا طريقه باتّجاه الكعبة المشرّفة. وهم في مظهرهم المهيب. وأصواتهم تشقّ عنان السماء بالتلبية. وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضدّ المسلمين. مفادها أنّهم أضعفتهم حمّى المدينة. فأطلع الله نبيّه على ما قالوا، ثم قال صلى الله عليه وسلّم: رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوّة. فأمر أصحابه أن يرملوا في الأشواط الثلاثة، فاضطبع بردائه. وكشف عضده اليمنى. ففعلت الصحابة كذلك، وشرعوا في الطواف والهرولة. ولمّا رأى المشركون ذلك. قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أنّ الحمّى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا، إنّهم لينفرون نفر الظبيّ. وقد قصد النبيّ صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام. أن يرهب قريشا. وأن يظهر لهم قوّة المسلمين وعزيمتهم. وتمسّكهم بدينهم. ومناعة جبهتهم. ولقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيّام. ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد. ويطوفون بالبيت العتيق. ويصلّي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في جماعة. وكان سيّدنا بلال بن رباح رضي الله عنه بصوته النديّ يرفع الأذان. فكان وقعه على المشركين كالصاعقة. وبعد تحلّله من العمرة. عقد صلى الله عليه وسلم على السيّدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها. ولم يدخل بها في مكة. وذلك أنّ الثلاثة أيّام التي نصّ عليها صلح الحديبية قد انقضت. فأرسلت إليه قريش من يقول له: إنّه قد انقضى أجلك، فاخرج عنّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعنا لكم طعاما فحضرتموه. فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك. أخرج عنّا، ننشدك الله يا محمّد، والعقد الذي بيننا وبينك إلاّ خرجت من أرضنا، فهذه الثلاثة قد مضت. فخرج وبنى صلى الله عليه وسلم بالسيّدة ميمونة رضي الله عنها في طريقه إلى المدينة المنوّرة. في مكان إسمه سرف. قرب مساجد أمّنا عائشة رضي الله عنها. وهي آخر من تزوّج بهنّ من النساء. وآخر من مات من زوجاته بعده. وأنّها ماتت ودفنت بسرف. في مكان عرسها. رضي الله عنها وأرضاها. أيّها المسلمون. لقد حملت عمرة القضاء هذه في مضمونها مهمّة دعويّة عظيمة. فلم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك مكة. حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش: لقد استبان لكلّ ذي عقل أنّ محمّدا ليس بساحر ولا شاعر. وأنّ كلامه من كلام ربّ العالمين. فحقّ كلّ ذي لبّ

أن يتبعه. وأسلم بعد ذلك. وتبعه عمرو بن العاص. وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة. فانطوت هذه العمرة على معنى تمهيدي للفتح الأكبر الذي جاء بعدها. وهو فتح مكة المكرّمة. لقد كانت عمرة القضاء تصديقا إلاهيا لما وعد به النبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم. من دخولهم مكة والطواف بالبيت. وقد نبّه الله عزّ وجلّ عباده إلى هذا التصديق في سورة الفتح بقوله: ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً)). اللهم يا ذا الجلال والإكرام. ويا ذا العزّة التي لا ترام. نسألك بحرمة أحبّ الخلق إليك. وأكرمهم عليك. سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم. وبحرمة آله ذوي المزايا الشريفة. والمناقب المنيفة. وبحرمة أصحابه الذين اصطفيتهم لصحبته. وأهّلتهم لنصرته. فاهدنا اللهم بهديهم وسيرتهم. واسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. ولا تخالف بنا اللهم عن صراطهم المستقيم. حتى نلقاك على ذلك في فراديس النعيم. ونكون ممّن مننت عليهم بالنظر إلى وجهك الكريم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

32- الأضواء المنيرة على غزوة مؤتة الشهيرة وأخذ العبرة والعظة من أحداثها الكبيرة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياتِه فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شَرْعه. فعلّمنا فروضَه وسُنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، سيّدنا ومولانا محمد. صلوات الله وسلامه عليه. فشرح صدره. ووضع وزره. ورفع ذِكْره، وجعل خير القرون قَرْنه الذي به قَرَنَه. فسبحانه من إله إختار لنبيّه خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، ذوي الخُلُق الأوفى وحُسْن الإنابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. شرع الجهاد لحماية حوزة الإسلام، وهو للإسلام ذَرْوَة السنام، ووعد الشهداء بالجنّة دار

القرار، ومنّ عليهم بمحو الذنوب والأوزار، فقال في سورة التوبة: ((إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوٰلَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)). وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستُشْهِد لله منهم مَنِ اِستُشْهِد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم من توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

حبيبٌ بأنوار الوقار متوَّجٌ * كمِ اصطكّ سِنًّا إنْ رءاه مُقابِلٌ

رؤوفٌ رحيمٌ مُحْسِنٌ متفضِّلٌ * لنا وعلينا مَنْ كطه يواصِلُ

وبين يديه صحبُهُ الرأسَ أطرقوا * وقد مُلِئت منهمْ بعِلْمٍ حواصِلُ

هنيئا لهم فازوا بنُصْرة أحمد * وكم قاتلوا في حبّه مَنْ يقاتِلُ

وقد صدقوا ما عاهدوا الله ذا العلا * عليه وكلٌّ منهُمُ النّفسَ باذِلُ

ألا يا رسولَ الله يا مَنْبَعَ الهدى * ويا معدِنَ الجود الذي لا يُماثَلُ

عليك صلاةُ الله والآلِ جملةً * وصحبِك ما منهم توالت فواضِلُ

إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره. وتفريج كربه. فليكثِرْ من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها ترضي الله وترضيه. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الذي مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وعلى آله السادة الأطهار. النجباء الأخيار. وصحابته الباذلين في محبّته النفوس والأعمار. من المهاجرين والأنصار. صلاة تجعلنا بها مِمَّنْ مننتَ عليهم برؤيته وشرّفتهم بمحبّته في هذه الدار وفي تلك الدار. وتهب لنا بها درجة عالية في دار القرار. بين أوليائك المحبّين وأصفيائك الأخيار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ معركةَ الحقِّ والباطلِ تدورُ رحاها باستمرارٍ منذُ خلق الله الإنسان، واستخلفَه في الأرضِ، وعلى رأسِ قادةِ معركةِ الحقِّ: أصفياءُ اللهِ تعالى من خلقِه، رُسُلُه وأنبياؤه والصالحون

من عبادِه، ويتولّى كِبْرَ قيادةِ معركةِ الباطلِ: الشيطانُ، ومِن ورائه حزبُه من الكافرين والمنافقين، الذين ضربَ فيهم بجِرانِه، ونفخَ في يافوخِهم بسحرِه، فاستخفَّهم فأطاعوه، إنّهم كانوا قوماً ظالمين، وتأتي الغايةُ بالنصر لأهل الحقّ. كما وعدَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه عندما قالَ في سورة غافر: ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وقال في سورة الروم: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)). وقال في سورة البقرة: ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)). ومع قدوم شهر جمادى الأولى من كل عام هجري، تعود بنا الذكريات إلى العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة، حيث وقعت غزوة من أعظم الغزوات التي هدّد بها المسلمون كيان الدولة الرومانية وحلفاءها من العرب المتنصِّرة. أظهر المسلمون فيها قوّة ورباطة جأش، رغم قلّتهم مقابل أعداد العدوّ الهائلة والكبيرة جدّاً، فلقد نقلت هذه الغزوة الأمّة من المواجهة المحليّة. إلى المواجهة الخارجيّة، لا من أجل الْهَيْمنة، وإنّما من أجل الدفاع عن المبادئ السامية، والأخلاق الفاضلة، حتى ولو كانت المواجهة ضدّ الروم التي كانت تُهَيْمِن على النظام العالمي فى ذلك الوقت، إنّها غزوة مؤتة. وسببها أنّه بعد صُلْح الحديبية تفرّغ النبي صلى الله عليه وسلم لدعوته، فبعث بالرسل والكتب إلى ملوك الأرض وعظمائها، يدعوهم إلى الإسلام، ويُحذّرهم الكفر والضلالة، فكان مِمَّن بعث: الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه إلى عظيم بصرى من أرض الشام. يدعوه إلى الإسلام، فلمّا نزل مؤتة. وهي قرية في شمال الجزيرة العربية. والآن فهي تابعة لمحافظة الكرك جنوب العاصمة الأردنية عمان. فلمّا نزلها تعرّض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وهو من أمراء قيصر على الشام، فأوثقه رباطا. ثم قدّمه فضرب عنقه. ليموت شهيداً رضي الله عنه وأرضاه. ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فكانت هذه الفِعلة الشنيعة ـ وهي قتل الرُّسل. كافيةً لإعلان الحرب على الرومان مهما كان الثمن، فإنّ قتْل الرسول يعني استضعاف الخصم وامتهان قيادته والتّحدّي له بالمقاومة، وبلغ الخبرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. فأصابه همّ عظيم لقتل رسوله، فقام عليه الصلاة والسلام وجمع المسلمين وأخبرهم الخبر، ودعا الناس للخروج ومقاتلة الروم. حتى يضع حدّاً لهذه التصرّفات الهمجية. ولأجل تأديبهم، وسرعان ما اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف مقاتل، انتصاراً لهذا الصحابي الجليل الذي قُتِل، ولأنّ دم المسلم في الإسلام نفيس. ولما تجهّز الجيش وعزم على

الرحيل قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وعقد لهم لواءً أبيضاً ودفعه إلى سيّدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه. وأمّره على هذا الجيش. ثم قال: ((إنْ أُصِيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإنْ أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم)). وأوصاهم عليه الصلاة والسلام أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا مَنْ هنالك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((اغزوا بسم الله في سبيل الله مَنْ كفر بالله، لا تغدروا ولا تغِيروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ولا كبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرةً ولا تهدموا بناءً)). وهذه من أبرز تعاليم الحروب في الإسلام. فإنّ القتال في الإسلام إنّما شُرِع لنصرة المستضعفين. والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، لا إلى التخريب والاعتداء. وعقد لهم النبي صلى الله عليه وسلم لواءً أبيضا ودفعه إلى زيد بن حارثة. وخرج الجيش الإسلامي وكلُّه بأس وإقدام وشجاعة، يجلّلهم الإيمان، وتغشاهم السكينة، ويعلوهم اليقين، إمّا النصر. وإمّا الشهادة. وسار الجيش حتى نزلوا معانًا. اسم قرية جنوب الأردن. من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمّ إليه مائة ألف أخرى من القبائل العربية الموالية له. يقودهم مالك بن زافلة النصراني. فلمّا علموا بذلك. أصابهم من الغمّ والحزن ما الله به عليم. فعقد المسلمون مجلسا للتشاور، فقال بعضهم: نكتب للنبي صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أنْ يُمِدَّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له، وقال آخرون: قد وطئتَ البلاد وأخفتَ أهلها، فانصرف؛ فإنّه لا يعدلُ العافية شيء. وسيّدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ساكت، فسأله سيّدنا زيد بن حاثة عن رأيه. فقال: يا قوم واللهِ إنّ الذي تكرهون لَلذي خرجتم له. تطلبون الشهادة، ما نقاتل الناس بعدد ولا عُدّة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنّما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهور، وإمّا شهادة، فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، فتشجّع المسلمون، ومضوا لقتال عدوّهم حتى نزلوا مؤتة بأرض الشام، وكان الروم قد نزلوا قريباً منهم، واقترب الفريقان، والتقى الجمعان، وكان يوماً مشهوداً في تاريخ المسلمين، وبدأت المعركة واعتصم المسلمون بالله الواحد الأحد، الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وطلبوا المدد والنصر من القويّ العزيز سبحانه، الذي ينصر عباده المؤمنين في

الحياة الدنيا ويـوم يقوم الأشهاد. ((يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوء ٱلدَّارِ)). معركةٌ عجيبةٌ غريبةٌ في دنيا الواقع، تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، حيث يقف ثلاثة آلاف مسلم أمام مائتي ألفٍ من الروم وأحلافهم، تستغربها موازين البشر وتعجز عن إدراكها العقول. ولكن إذا هبَّت ريح الإيمان جاءت بالعجائب والمذهلات. فلا عجب إذا كان الله عزّ شأنه مالك الملك ورب الأرباب مع المسلمين فمَنْ يهزمهم؟ ومِمَّن يخافون؟ والناصرُ هو الله؟ قال تعالى في سورة الأنفال: ((ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً فَإِن يَكُن مّنكُمْ مّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ)). أيّها المسلمون. أخذ الراية زيد بن حارثة أوّلُ الأمراء الثلاثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحِبّه، فقاتل قتالاً مريراً. وقدّم من ضروب البسالة والشجاعة ما يعجز عنه الوصف، بفضل إيمانه وصِدْقه، وصَدَق فيه قولُ الله تعالى في سورة آل عمران: ((فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)). وبينما هو كذلك أصابه رمح من رماح الأعداء، فخرّ شهيداً رضي الله عنه. مقبِلاً غيرَ مدبِر، وبعده أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. وطفق يقاتل قتالاً عجيبًا، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، وهو أوّل رجل من المسلمين عقر فرسه، وأوّل فرس عُقِر في سبيل الله، عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قتل. ويقال: إنّ روميًا ضربه ضربةً قطعته نصفين، وأثابه الله بذراعيه جناحين في الجنّة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين. وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فالتمسنا جعفراً فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين طعنةً ورميةً وكانت كلها فيما أقبل من جسده). ولما قُتل جعفر أخذ الراية الأمير الثالث عبد الله بن رواحة وكاد أن يرجع وتردّد بعض التردّد، لكثرة الحشود الرومانية الهائلة، فعاتب نفسه وخاطبها شِعْرًا، وتقدّم وهو يقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلنّهْ * طائعةً أو لتُكرَهِنّهْ

إن أجلب الناس وشدّوا الرنّهْ * ما لي أراكِ تكرهين الجنّهْ

قد طالما مذ كنتِ مطمئنهْ هل أنتِ إلا نطفةٌ في شنّهْ

ونزل عن فرسه ولواء النبي صلى الله عليه وسلم بيده، فقاتل مقبِلاً غير مدبِر حتى قُتِل، لاحقاً بزميلَيْه اللذَيْن سبقاه إلى الشهادة، لحقهما وهو يردّد :

يا نفس إلا تُقتَلي تموتِي * هذا حِمام الموت قد صُليتِ

وما تمنّيتِ فقدْ أعطيتِ * إن تفعلي فعلهما هُديتِ

يريد صاحبيْه: زيدا وجعفرا. رضي الله عنهما. ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم بن ثعلبة الأنصاري رضي الله عنه. فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت. فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه. ولم يمض على إسلامه خمسة أشهر بعد، ولكنّها الرجولة التي قال الله تعالى عنها كما في سورة الأحزاب: ((مّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)). فقاتل رضي الله عنه قتالا مريرًا، حتى تكسّرت في يده تسعة أسياف، يقول خالد كما في صحيح البخاري: ودُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، ولم تبق معي إلا صفيحة يمانية. أيّها المسلمون. وقد سارع الوحي إلى إبلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحداث المعركة، فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب. وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان. ثم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)). وبالفعل لقد كان فتحًا عظيمًا ونصرًا مبينًا بفضل الله تعالى ثم بسالة هؤلاء الأبطال، وبعد أن استلم الإمرة سيّدنا خالد رضي الله عنه أراد أن ينقذ الجيش الإسلامي بطريقة تحفظ له كيانه وتبقي هيبته، وقدّر أن الحلّ يكمن بالإنسحاب بعد إرهاب العدوّ وإيهامه بوصول إمدادات جديدة، فصمد حتى الليل واستغلّ الظلام ليغيّر مراكز المقاتلين، وحوَّل الميسرة ميمنة، والميمنة ميسرة، والمؤخّرة مقدّمة والعكس، وطلب من خيّالة المسلمين اصطناع غبارٍ وجلبة قويّة، فظنّ الروم أنّ المسلمين جاءهم مدد، فخارت عزائمهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب. واشتدّ عليهم المسلمون. وانهزم الروم أسوأ هزيمة. ما رؤي مثلها قط. وغنم المسلمون منهم أكثر ما كان معهم، ولم يستشهد من جنود الله إلا اثنا عشر رجلاً. منهم الثلاثة أمراء الجيش. وهذا من عناية الله تعالى بالإسلام وأهله. ومزيد إعزازه ونصره لهم. ومقامهم إلى اليوم في مؤتة. يزار ويتبرّك بهم. وهكذا نجح

سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه في العودة بالجيش إلى المدينة بأقلّ خسارة ممكنة، وقُتل من الروم خلقٌ كثير لا يُعرف عددهم. وكان في ذلك نصرٌ كبير للإسلام والمسلمين. وانتهت المعركة وعاد الجيش إلى المدينة ينعمون ((بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)). واستقبلهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم وصحابتُه الكرام رضوان الله عليهم يحيّونهم على هذا الفتح العظيم ضدّ أكبر قوّة عرفها العالم آنذاك. أيّها المسلمون، هذه بعض أخبار تلك الغزوة العظمى. غزوة مؤتة. التي تتفجّر عظة وعبرة، والتي نصر الله عباده فيها نصراً مؤزَّراً. وأرهبت الروم في شمال الجزيرة العربية. وقذفت الرعب في قلوب الذين كفروا. فصاروا يحسبون للمسلمين ألف حساب، وقدِمت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها تتحالف معه. وزاد عدد الذين صاروا يدخلون في دين الله أفواجاً. نسأل الله الكريم. ربّ العرش العظيم. بحرمة أحبّ الخلق إليه. وأكرمهم عليه. سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله وسلم عليه. وبحرمة آله وأصحابه الذين اصطفاهم لصحبته. وأهّلهم لنصرته. أن يهدينا بهديهم وسيرتهم. وأن يسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. كما نسأله تعالى بمنّه وكرمه أن يفتح للمسلمين فتحا من عنده، وأن يردّهم إلى دينهم ردّا جميلا، وأن يجمع كلمتهم على الحقّ والهدى، وأن يكبت أعداءهم، إنّه سميع مجيب. اللهم واجعلنا من الراشدين. وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.اهـ

33- تيسير الوسائل إلى تعريف الأواخر بجهاد الأوائل كسريّة سيّدنا عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

الحمدُ للهِ الذي جَعَلَ دِينَهُ ظَاهِراً عَلَى كُلِّ دِينٍ، وأَعَزَّه بِرِجَالٍ صَادِقِينَ، وَاخْتَارَهُم لصُحْبة نَبِيِّهِ. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فَكَانُوا نِعْمَ الصّاحِب وَالْمُعِين، وكَتَبَ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ وَالتَّمْكِينَ، فسبحانه من إلهٍ أيّدَ رُسُلَه والصّالحين من عبادِه بالنّصرِ والفتحِ المبينِ؛ ليُظْهِرَ الحقَّ، ويُزْهِقَ الباطلَ، ويَقْطَعَ دابرَ الكافرين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له. وَعَد بنصْر مَنْ نَصَره. وهدى بفضله

إلى العمل الصالح ويسّره. ورفَع درجاتِ مَنْ خاف مقام ربّه وحَذَره. وصبر على الشدائد فحمِدَه وشَكَره. وأشهدُ أنَّ سيّدَنا محمّداً عبدُه ورسولُه، وصفيّه من خلقه وخليله. أرسلَه ربُّه ((بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)). واختار له خير العباد. فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، حتى ظهر دينُ الله وعلت كلمتُه، وشملت رحمتُه وتمّت نعمتُه،

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الحاشر العاقب. الرفيع المكانة والجانب. وعلى آله الأجلّة الأطايِب. وصحابته الشجعان فرسان الكتائب. صلاة تدفع بها عنّا جميع الشدائد والمصائب. وتستر ببركتها ما ظهر منّا وما بطن من القبائح والمعائب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يجب علينا أن نعرف نعمة الله علينا بما أمدّ به رسولَه صلى الله عليه وسلم وأصحابَه من النّصر العزيز. والفتح المبين، وهذه سنّة الله التي لا تبديل لها. فمَنْ ينصُرِ اللهَ ينصُرْه. إنّ الله لقويٌّ عزيز. فإنّهم جاهدوا في سبيل الله. لم يجاهدوا لعصبيّة ولا لوطنيّة. ولا لفخر وخُيَلاء، إنّما جاهدوا لنصرة هذا الدين. ففي هذا الشهر، أعني شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة كانت وقعة ذات السلاسل، عقب وقعة مؤتة، والتي بسطت هيبة الدولة الإسلامية في شمال الجزيرة العربية، وكسّرت عصا التمرّد التي طالما أشهرتها بعض القبائل العربيّة الموالية للروم، وكانت أيضاً سبباً في إسلام الكثير من أهالي بني مرّة، وبني ذبيان، ودخول غيرهما في حِلْفٍ مع المسلمين، وكان الباعث لهذه السريّة، هو إحساس النبي صلى الله عليه وسلم بالخطر المُحْدَق بهم جرّاء التّحرّكات المريبة التي تقوم بها قبيلة قضاعة، والتي تُنْبِئُ عن وجود محاولات حثيثة للهجوم على المدينة المنوّرة وتطويقها. فجهّز النبي صلى الله عليه وسلم سرية من ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، على الرغم من عودتهم القريبة من معركة مؤتة، وأمَّر عليهم سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. وذلك بعد إسلامه بعدّة شهور، بهدف أن يقضي على خطر قضاعة في مهده. ففي مسند الإمام أحمد عن سيّدنا عمرو بن العاص

رضي الله عنه قال: بعث إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ((خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي))، قال عمرو: فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ، ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: ((إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنْ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً)). قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ)). إنّ هذا الموقف يدلّ على قوّة إيمان وصِدْق وإخلاص سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه للإسلام. بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد شهد له بالصلاح، وبأنّه من الصالحين. وقال فيه أيضا: ((أسلم الناس وآمن عمرو)). أيّها المسلمون. وسار الجيش بقيادة سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه مستحضراً وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يوصي بها البعوث، وفي أثناء ذلك مرّ بموضعِ ماءٍ يقال له: السلسل، ومِنْ هنا جاءت تسمية هذه السريّة: (ذات السلاسل). ومنذ اللحظات الأولى لخروجه رضي الله عنه بالجيش. ظهرت عبقريّته الفذّة في الحروب، فمِنْ أوّل الطريق قرّر أن يسير بالمسلمين ليلاً ويكمن نهارًا؛ وذلك لئلاّ ترصده عيون الأعداء إن كانت على الطريق، ووصل بالفعل بالجيش الإسلامي إلى قضاعة. دون أن يعلموا أنّه قد زحف إليهم. فلما صار إلى هناك. علم أنّ طاقته لن تكون قادرة على مواجهة هذه الأعداد الكبيرة من قضاعة. فأرسل رافع بن مَكِيثٍ الجُهَنِي رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنوّرة يطلب منه المدد، وأمر الجيش ألاّ يقاتل حتى يصل ذلك المدد. فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأوّلين، فانتدب أبو بكر وعمر في مائتين من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وأمّر عليهم سيِّدَنا أبا عبيدة ابن الجراح. رضي الله عنه. أمين هذه الأمّة، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يتطاوعا ولا يختلفا. أيّها المسلمون. ولمّا وصلت الإمدادات إلى جيش سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه تلقّاهم المسلمون بالفرح الشديد، فأصبح عدد الجيش تمام الخمسمائة، ولمّا أراد المسلمون الصلاة. تقدّم سيّدنا أبو عبيدة بن الجراح ليؤمّ المصلّين، وكانت العادة أنّ قائد الجيش هو الذي يؤمّ الناس في الصلاة. حينها قال له سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنّما قدمتَ عليّ مددًا لي، وليس لك أن تؤُمّنِي، وأنا الأمير، وإنّما أرسلك النبي صلى الله عليه وسلم إليَّ مددًا. فأطاعه سيّدنا أبو عبيدة، وصار سيّدنا عمرو يصلّي بالناس. والذي لم يُسْلِمْ إلا منذ عدّة أشهر فقط. وهذه صورة حضارية

رائعة في تاريخ المسلمين، ومظهر من مظاهر الوحدة، ومن أبلغ أسباب النصر؛ إذ الجميع يعمل في سبيل الله، لا يتهافت أحد منهم على إمارة. وفي هذه السرية ظهرت عبقريّة سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. وحكمته وخبرته العسكرية. من خلال بعض المواقف في أكثر من مرّة. ففي إحدى الليالي أراد الجيش أن يوقد نارًا بغرض التدفئة من برودة الجوّ ليلاً، فطلبوا ذلك من سيّدنا عمرو بن العاص. إلا أنّه رفض ولم يُجِبْهُمْ إلى طلبهم، فذهب الصحابة إلى سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليتوسّط لهم عند الأمير في إيقاد النار، وحين ذهب إليه الصّدّيق يكلّمه في ذلك، قال له سيّدنا عمرو بن العاص في منتهى الحزم: لا يوقد أحدٌ منهم نارًا إلاّ قذفته فيها. فغضب سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. إلاّ أنّ سيِّدَنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلاّ لعلمه بالحرب. أيْ أنّه أعلم بحكمته وبقدرته على إدارة الجيش، ونحن نسمع ونطيع. ولَمَّا حلّ جيش المسلمين بساحة القوم حملوا عليهم. فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرّق الأعداء منهزمين، فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتّباعَ أثرهم فمنعهم قائدهم سيّدنا عمرو بن العاص، ثم رجعوا إلى المدينة المنوّرة سالمين غانمين، وبينما هم في الطريق أدركتْ سيِّدَنا عمرو بنَ العاص جنابةٌ في ليلة باردة، فلمّا أصبح قال: إنْ أنا اغتسلتُ هلكتُ واللهُ يقول: ((وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)). ثم تيمّم وصلّى بالناس، ثم أمر بالسير. أيّها المسلمون. ولمّا وصل الجيش إلى المدينة المنوّرة. قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته، فأخبروه بما نقموه من قائدهم عمرو بن العاص. من نهيهم عن إيقاد النار، ونهيهم عن اتّباع العدوّ، وصلاته جُنُباً، فسأله النبيّ عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: منعتهم من إيقاد النار لئلاّ يرى العدوّ قلّتهم فيطمع فيهم، ونهيتهم عن اتّباع العدوّ لئلاّ يكون له كمين، وصلّيتُ جُنُباً لأنّ الله يقول: ((وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)). وإنْ أنا اغتسلتُ هلكتُ، فتبسّم عليه الصلاة والسلام وأثنى على عمرو خيراً. إقرارٌ وقَبُولٌ لذلك الإجتهاد الذي اجتهده سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. ومع ما حقّقته هذه المعركة من أهداف على الصعيد الميداني، فقد أسهمتْ كذلك في إبراز سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه كشخصيّة فذّة، وقيادة حكيمة، كان لها دورها في الفتوحات الإسلامية بعد ذلك. فرضي الله تعالى عن سيّدنا عمرو بن العاص. وعن كافّة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم ارزقنا حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع.

واجعلنا من أحبابهم. وأتباعهم وأحزابهم. وأن تشرح بحبّهم صدورنا. وتيسّر بجاههم أمورنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ.

34- فتح مكة

الحمدُ لله الذي جعل شهر رمضان شهر الفتوحات والإنتصارات. والتي منها فتح مكة أمّ القرى. وتطهيرها من الشرك والجهالات، فيا له من عزٍّ ارتفع به صرح الإسلام. واندكّ به بنيان الشرك والضلالات، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أيّد رسله والصالحين من عباده بالنّصر والفتح المبين، ليظهر الحقّ ويزهق الباطل ويقطع دابر الكافرين. وأشهدُ أنّ سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله. أفضل من جاهد لإعلاء كلمة الحقّ المبين. فما وهن لما أصابه في سبيل الله. وما ضعف وما استكان. والله يحبّ الصابرين. اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده. ونصروا دينه ووقفوا عند حدوده. أولئك حزب الله. ألا إنّ حزب الله هم المفلحون. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ شهر رمضان لم يكن عند سلفنا شهر صيام وقيام فحسب، ولا شهر دعاء واعتكاف وإكثار من العبادة، بل كان شهر جهاد ومجاهدة. ودعوة وعمل، فقد سطّروا فيه أعظم الإنتصارات. وأكبر الفتوحات، فقد كان في هذا الشهر فتح مكة المكرّمة. وذلك في مثل هذا اليوم. صبيحة يوم الجمعة في عشرين من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وهو الفتح الأعظم. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلدَه وبيته الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، قال تعالى في سورة النصر: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)). واعلموا عباد الله أنّنا في بداية العشر الآواخر من شهر رمضان. وهي منْ أفضلِ أيّامِ هذا الشّهرِ وأعظمِهَا، حيث تكثر فيها البركات.

وتضاعف الحسنات. وتتنزّل الرحمات. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظّم هذه الأيّام ويعرف قدرها. فعَنِ السيّدةِ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. رواه البخاري. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْهَا رضيَ اللهُ عنهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا وَأَعِنَّا عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْفَوْزِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالرِّضْوَانِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا، واغْفِرْ لنا ولجميع المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.اهـ

35- نثْر الأزهار على مجْمَع الأخيار بذِكْر غزوة حُنَيْن ورِفْعَة مكانة ساداتنا الأنصار عند نبيّنا المصطفى المختار

الحمد لله ربّ العالمين. ينصرُ رُسُلَه والصالحين من عباده في كلّ وقت وحين. يمدُّهم بمدده. ويذود عنهم بجُنْده. ويفتح بهم ولهمْ الفتح المبين. ليُظْهِرَ الحقَّ ويُزْهِقَ الباطلَ ويَقْطَعَ دابرَ الكافرين. نحمده سبحانه وتعالى أن أكرمنا بمعرفة سيرة سيّد البشرْ. صلّى الله عليه وسلّم. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يُتَشرَّفُ بعِلْمِه في الدارَيْن ويُفْتَخَرْ. وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذكر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند سماع خَبَرٍ عنه مصدره أو إليه منتماه. فإنّ الإرتياح للذّكر شهادة الحبّ. وأمارة المُحِبّ. وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم نَقَلَةُ السنّة. أنّ مَنْ أحبّه كان معه في الجنّة. فنسأل الله تعالى أن يكتبنا في محبّيه. الواقفين عند حدّ أوامره ونواهيه. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله.

حبيبٌ بأنوار الوقار متوَّجٌ * كمِ اصطكّ سِنًّا إنْ رءاه مُقابِلٌ

رؤوفٌ رحيمٌ مُحْسِنٌ متفضِّلٌ * لنا وعلينا مَنْ كطه يواصِلُ

وبين يديه صحبُهُ الرأسَ أطرقوا * وقد مُلِئت منهم بعِلْمٍ حواصِلُ

هنيئا لهم فازوا بنُصْرة أحمد * وكم قاتلوا في حبّه مَنْ يقاتِلُ

وقد صدقوا ما عاهدوا الله ذا العلا * عليه وكلٌّ منهُمُ النّفسَ باذِلُ

ألا يا رسولَ الله يا مَنْبَعَ الهدى * ويا معدِنَ الجود الذي لا يُماثَلُ

عليك صلاةُ الله والآلِ جملةً * وصحبِك ما منهم توالت فواضِلُ

إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره وتفريج كربه. فليكثر من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها ترضي الله وترضيه. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الذي مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وعلى آله السادة الأطهار. النجباء الأخيار. وصحابته الباذلين في محبّته النفوس والأعمار. من المهاجرين والأنصار. صلاة تجعلنا بها مِمَّنْ مننتَ عليهم برؤيته وشرّفتهم بمحبّته في هذه الدار وفي تلك الدار. وملأت قلوبهم بأنوار الأذكار. وتهب لنا بها درجة عالية في دار القرار. بين أوليائك المحبّين وأصفيائك الأخيار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل أن تكون عِلْما يُدرَس. هي موضوع شيّق محبّب إلى النفوس، وما ذلك إلا لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو أحبّ الخلْق إلى قلوب المؤمنين، فكلما قرأ المؤمن شيئا من سيرته. إزداد له حبًّا. وشوْقًا إلى رؤيته ولقائه، والنّظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والإعتبار بها. والتفكير فيها. لصلاحٌ للقلب. وزيادة في إيمان العبد. واستقامة للحال. وسعادة في المآل؛ ولذا كان لزامًا على كل مؤمن ومؤمنة النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم. للإقتداء به، إمتثالاً لقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). فهو صلى الله عليه وسلم أجودُ الناس. وأشجعُهم وأحلمُهم وأجملُهم، ولا شكّ أنّ في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم من الفوائد والعِبَر وترقيق القلوب وربطها بالله تعالى ما لا يوجد إلاّ في القرآن الكريم. لأجل ذلك كانت هذه الوقفة مع حدثٍ من أحداث الجهاد، ومواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة الكفار، و نُصْرة الله لأوليائه بجنودٍ لا يعلمها إلاّ هو. كما قال تعالى في سورة المدّثّر: ((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)). ويُعِزُّ جُنْدَه بأسباب لا تخطر على قلب بشر، أيّها المسلمون. في مثل هذا الشهر، أعني شهر شوّال. من السنة الثامنة لهجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم كانت غزوة حُنَيْن. ودارت رحاها في وادي حنين، وهو وادٍ إلى جَنْب ذي المجَاز، بينه وبين مكة

سبعة وعشرون كيلو مترًا تقريبًا، من جهة عرفات. وهي الآن تسمّى بمنطقة الشرائع. وكان عدد المسلمين الذين اجتمعوا في هذه المعركة اثني عشر ألفًا؛ عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفَيْن من أهل مكة. وتبدأ أحداث هذه المعركة بعد أن منّ الله تعالى على رسوله بالفتح الأعظم لمكة. الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وحِزْبه، واستنقذ به بلَدَه وبيته الذي جعله هدى للعالمين. من أيدي الكفار والمشركين، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، وكان لهذا الفتح الأعظم ردّ فعل معاكس لدى القبائل العربية الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدّمتها قبيلتا هوزان وثقيف. حيث امتلأت قلوبهم حقداً وغيظاً للنصر الذي حصل للإسلام. فأخذتهم حميّة الجاهلية. وقالوا: لقد فَرَغ محمد من قتال أهله، ولابدّ من حربنا، فلنغزه قبل أن يغزونا. وأجمعوا أمرهم على القتال، وحشدوا حشوداً كبيرة، وجعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف سيّد هوازن، الذي أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وقصد بذلك أن يحمل الرجال على الثبات في المعركة من أجل الدفاع عن أهلهم وأولادهم ولا يفرّوا من القتال. وانتهى خبر مالك بن عوف وما عزم عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتبسّم وقال: ((تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله))، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في جيش قِوامه عشرة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، وألفان من طلقاء قريش، وعقد صلى الله عليه وسلم الألوية، وركب بغلته ولبس لباس الحرب إيذاناً بالمعركة. وقد قال بعض المسلمين لمّا نظر إلى كثرة الجيش: لن نُغْلَب اليوم. فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وساءته تلك الكلمة. والتقى الجمعان بواد حنين في أوّل النهار في غلس الصبح، وكان المشركون قد كمنوا للمسلمين، فلمّا اقتربوا منهم رشقوهم بالنبال من الشعاب والمضايق والمداخل على حين غفلة من المسلمين، ثم حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد وهم مصلتو السيوف، فانجفل المسلمون مدبرين وانشمروا راجعين لا يلوي أحد على أحد، وكانت هزيمة منكرة لذلك الجمع الكبير. وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة اليمين. وهو يقول: ((هلمّوا إليَّ أيّها الناس. أنا رسول الله. أنا محمد بن عبد الله)). ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته. وظهرت شجاعته عليه السلام فطفق يركز بغلته قِبَل العدوّ وهو يقول: ((أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابن عبد المطّلِبْ)). بِيَدْ أنّ أبا سفيان بن الحارث كان آخذا بلجام بغلته. والعباس بركابه. يكفّانِها أن لا تسرع. ثم دعا عليه السلام: ((اللهم

أنزل نصرك)). وقد روى لنا سيّدنا العباس رضي الله عنه هذا الموقف العصيب، وصوّره لنا أدقّ تصوير، كما في صحيح مسلم فقال: ((شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنَيْن، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فلم نفارقه، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء، فلمّا اَلْتَقَى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مُدْبِرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرْكِضُ بغلتَه قِبَلَ الكفار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيْ عباس، نادِ أصحاب السّمُرَة؛ أيْ: أصحاب بيعة الشجرة. فقال العباس: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأنّ عَطْفَتَهم حين سمعوا صوتي، عَطْفة البقر على أولادها أيْ: أجابوا مسرعين. فقالوا: يا لبيك، يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاوِل عليها إلى قتالهم، فقال: حَمِيَ الوطيس. قال: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيّات، فرمى بهنّ وجوه الكفار، ثم قال: انْهَزَموا وربِّ محمد. قال: فذهبتُ أنظر، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصيّاته، فما زلتُ أرى حَدَّهُم كَلِيلاً، وأمْرَهم مُدْبِرًا. يعني قوّتُهم ضعيفة، وأمْرُهم في تراجع وهزيمة)). وحدّث رجل كان من المشركين يوم حنين قال: لمّا التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حَلْبَة شاة أن كشفناهم، قال: فبينما نحن نسوقهم ونحن في آثارهم، إذ صاحب بغلة بيضاء، وإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقّانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا: شاهت الوجوه إرجِعوا. فانهزمنا من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت إيّاها، وإلى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً * مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الإِلْقَاءُ

فما خلق الله إنسانا إلا مُلئت عيناه ترابا من تلك القبضة، وهُزِم الجمع وولّوا الدُّبُر، وخَلَّفوا وراءهم أموالهم وأنعامهم ونساءهم وذراريهم، وكانت الغنائم كثيرة جدّا. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِجَمْع السَّبْيِ والغنائم، وحَبْسِها بالجِعْرانة. وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري، ولم يقسّمها حتى فرغ من غزوة الطائف. أيّها المسلمون. لقد كانت غزوة حُنَيْن درساً بليغاً في العقيدة. درساً متمِّماً لدرس بدر. فإذا كانت غزوة بدر أكّدت أنّ القلّة الصابرة المؤمنة لا تضرّها الكثرة الكافرة، فإنّ غزوة حُنَيْن قرّرت للمسلمين أنّ الكثرة أيضاً لا تفيدهم إنْ لم يكونوا

صابرين. قال تعالى في سورة التوبة: ((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). ثم توجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى حِصْن الطائف لمطاردة مالك بن عوف ومَنْ معه مِنْ الفارّين. لمّا اَلْتجئوا إلى الطائف، وتحصّنوا بها، فحاصرهم بضعة وعشرون يوماً، ثم أمر أصحابه بالرحيل عنهم، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف، فقال: ((اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين))، ولعلّ صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله يشير إلى ذلك بقوله:

جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى * وَأَخُو الحِلْمِ دَأْبُهُ الإِغْضَاءُ

وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْماً وَحِلْماً * فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ

ثم بعدها قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى الجِعْرانة. وكان في السَّبْيِ الشَّيْماء بنت الحارث السعدية، أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. فلمّا جيء بها إليه. عرفها وبسط لها رداءه. وأجلسها عليه، معزّزة مكرّمة. ثم منّ عليها وعلى قومها. أي قبيلة هوازن. قبيلة أمّه من الرضاعة التي هي السيّدة حليمة السعدية، رضي الله عنها. وكانوا ستة آلاف آدمي. وإنّما أعتقهم لأجل أنّه تربّى فيهم وهو طفل صغير. وإلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن، وإكرامه لأخته. أشار الإمام البوصيري في همزيّته بقوله:

مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا * نَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رَبَاءُ

وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ * وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا والسِّبَاءُ

فَحَبَاهَا بِرّاً تَوَهَّمَتِ النَّـــ*ـــاسُ بِهِ أَنَّمَا السِّبَاءُ هِدَاءُ

بَسَطَ المُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ * أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ

فَغَدَتْ فِيهِ وَهْيَ سَيِّدَةُ النِّـــ*ـــسْوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ

أيّها المسلمون. وبعد رجوعه صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة. حيث ترك السَّبْيَ والغنائم. بدأ بقسمتها. وكان للمؤلّفة قلوبهم النصيب الأوفر، حيث أعطى منه شيئاً كثيراً لأُناس ضَعُف إسلامهم يتألَّفُهم بذلك. وأعطى أُناساً لم يُسْلِموا ليُحَبِّبَ إليهم الإسلام، حتى إنّ أحدهم وهو صفوان بن أمية ليقول: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّه لأبغض الخَلْق إليّ. فما زال يعطيني حتى إنّه لأحبّ الخَلْق إليّ. حتى شاع في الناس أنّ محمّداً يُعْطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفقر، وكانت هذه القسمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيّة على سياسة حكيمة، لكنّها لم تُفْهَم أوّل الأمر، فأُطْلِقتْ أَلْسِنَة شتّى بالإعتراض، والقيل والقال. وكانت الأنصار مِمَّن حُرِموا أَعْطِية حُنَيْن، روى ابن إسحاق عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ. قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ. قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي. قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ

ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَفَرَّقوا. أيّها المسلمون. إنّ هذا الخطاب النبويّ صدر عفو الخاطر. وتوصّل بأقصر طريق وأوجز كلام إلى مشكلة كبيرة، ولمس القلوب وهزّ أوتارها، وهو خطاب يسيل بمعاني الرّقّة والذوق الرفيع. ومشاعر المحبّة الشديدة للأنصار، وهو يَفيض في الوقت ذاته بدلائل التألّم من أن يُتَّهَم من قِبَلِ أحبّ الناس إليه، إنّها النبوّة التي تأبى إلا الإذعان للحقّ. والإقرار بالفضل لذويه. وقد لامست هذه الرّقّة مشاعر الأنصار. وهزّتها هزّاً، ونفضت منها ما قد عَلِقَ بها من الوساوس والهواجس. فارتفعت أصواتهم بالبكاء فرحاً بنبيّهم. وابتهاجاً بقسمتهم ونصيبهم. فجزاهم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين. وقد بالَغَ النبيُّ العظيم صلَّى الله عليه وسلَّم في حُبِّ الأنصار، وجعل ذلك من حُسْنِ الإيمان لكل المؤمنين، روى البخاري في صحيحه عن عن البرّاء بن عازب رضي الله عنه. قال: قال رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الأنصار لا يُحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمضنْ أحبَّهم أحبَّه الله، ومَنْ أبغضهم أبغضه الله)). وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي لله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)). أيّها المسلمون. تلك كانت إلْماحة سريعة. ووقفة عَجْلى مع هذه الغزوة الخالدة. وأبرز عِبَرها وفوائدها، فصلى الله على قائدها، ورضي الله عن المجاهدين فيها. واحشرنا يا مولانا في زمرتهم. وارزقنا حسن الإقتداء بهم. اللهم إنّنا نشهدك بأنّنا نحبّ ساداتنا الأنصار. فلا تحرمنا أن نُحْشَر معهم. يا عزيز يا غفار. اللهم انفعنا بمحبّتهم، وارزقنا بركاتِهم. وأدخلنا مدخلهم. واجمعنا بهم في دار الكرامة. تحت لواء نبيّنا المصطفى المختار. صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

36- الفوائد واللطائف لطلاّب المعارف من أخبار غزوة الطائف

الْحَمْدُ لِلهِ الذِي رَضِيَ لَنَا الإِسْلاَمَ دِيناً، وَنَصَبَ لنَاَ الدَّلاَلَةَ عَلَى صِحَّتِهِ بُرْهَاناً مُبِيناً، وَأَوْضَحَ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ حَقّاً يَقِيناً، فسبحانه من إله أرسل إلينا سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأُمّة، وجاهد في الله حق جهاده حتى ترك أُمّته على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وَأَشْهَدُ أَنْ لاّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وليّ المتّقين، ونصير المجاهدين الصابرين، كَتَبَ الْعِزَّةَ لأَوْلِيَائِهِ، وَالذِّلَّةَ عَلَى أَعْدَائِهِ، ووعد بالتمكين لحزبه الموحّدين، وبلّغهم بنصر دينه ذروة المجد في الأوّلين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّه مِنْ خَلْقه وخليله، قامَ بحَقِّ دَعْوَتِهِ، واستجابَ لرَبِّهِ في تَبْلِيغِ رِسالَتِهِ؛ فكانَ مَناراً علَى مَحَجَّتِهِ، وبُرْهاناً قاطِعاً في حُجَّتِهِ، رَهَّبَ مِنْ عَذابِ اللهِ ورَغَّبَ في جَنَّتِهِ، ونَصَحَ فأخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، حتى فَتَحَ اللهُ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً،

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أنقذنا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. إمام الأنبياء والرسل الكرام. وعلى آله البررة الكرام. وصحابته نجومِ الإهتداء ومصابيحِ الظلام. صلاةً دائمة لا انقطاع لها ولا انصرام. تعود بركتها علينا ببلوغ القصد ونيل المرام. وتجعلها لنا ذخيرة نجد بركتها يوم العَرض والزحام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ النّظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والإعتبار بها. والتفكير فيها. لصلاحٌ للقلب. وزيادة في إيمان العبد. حيث أنّها تنير الطريق للسالكين. وتكشف حقائق الأعداء والأصدقاء للناس أجمعين. فحياته صلى الله عليه وسلم كلّها جهاد ونصيحة. وصبر ومصابرة. حتى أظهر الله الدين. ونصر المسلمين. وهذه وقفة مع حدثٍ من أحداث الجهاد، ومواجهة الكفار، ففي مثل هذا الشهر، أعني شهر شوّال. من السنة الثامنة لهجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم كانت غزوة الطائف. التي تعدّ في الحقيقة امتداد لغزوة حُنَيْن، أيّها المسلمون. بعد أن كتب الله النصر للمؤمنين في غزوة حنين، والتي كانت درساً

بليغاً في العقيدة. لها من الآثار ما لا يحصى، وكان من أهمّ هذه الآثار أنّ المسلمين فقهوا جيّدًا حقيقة النصر في الإسلام، وعلموا تمام العلم أنّ المسلم الذي يَعِدُّ العُدَّة دون أن يرتبط بالله عزّ وجلّ، فإنّ نَصْرَه بعيد، وثباتَه محال. وكان هذا الدرس من أبلغ الدروس التي تعلّمها المسلمون في كل حياتهم السابقة، وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدرس البليغ. والأثر العظيم في سورة التوبة فقال: ((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. بعد انهزام قبيلتا هوازن وثقيف بغزوة حنين. فرّت جيوشهم وعلى رأسهم قائدهم مالك بن عوف النصري. حتى وصلوا في فرارهم إلى مدينة الطائف. وتحصّنوا بها، وأدخلوا معهم قوتَ سنتهم، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعظم الجيش، استغلالا لفرصة انهزامهم وفرارهم. حتى يقابلهم في معركة فاصلة؛ لذلك لم يقسِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حُنين الهائلة إلا عندما ينتهي من قضية هوازن وثقيف، وتستقرّ الأوضاع. ولنا هنا وقفة تأمّل واعتبار. في المقارنة العجيبة بين هذا المسير المهيب للطائف، وبين مسيره صلى الله عليه وسلم إليها منذ أحد عشر عامًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتها متّجهًا إلى الطائف، وهو في أشدّ حالات الحزن والضيق، وكان يسير ماشيًا على قدميه، وليس معه إلا غلامه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فقد طردته مكة، وأخرجته وتنكّرت له، وماتت السيدة خديجة رضي الله عنها، ومات عمّه أبو طالب، وليس معه في مكة إلا أقلّ القليل من المؤمنين الذين لا يتجاوزون المائة. فالوضع كان في قمّة المأساة، ولم تخفّف الطائف من آلامه صلى الله عليه وسلم، بل عمّقت هذه الآلام، ورفضت الدعوة الإسلامية بتكبّر، وحاربت الرسول صلى الله عليه وسلم بشدّة، واستقبلته استقبال اللئام، لا استقبال الكرام، وطردوه هو وصاحبه زيد رضي الله عنه، وقد أمطروهما بوابل من الحجارة والتراب والسِّباب، حتى ألجؤوهما إلى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة. ونحن نعلم الدعاء المشهور الذي دعا به رسول صلى الله عليه وسلم هناك، وهو دعاء يعبّر عن درجة الألم والأسى والحزن الشديد الذي وصل إليه صلى الله عليه وسلم. وغادر في ذلك اليوم الطائف، وعاد متّجهًا إلى مكة. مهمومًا على وجهه، في ظروف لا يتحمّلها عامّة البشر، ومع ذلك ومع كون حالته النفسية قد وصلت إلى أقصى

درجات الألم، إلا أنّه صلى الله عليه وسلم رفض تدمير قَرْيَتَي الطائف ومكة اللتَيْن كفرتا بالله عزّ وجلّ، مع أنّ مَلَك الجبال عرض عليه هذا الأمر، ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في منتهى التّجرّد: ((بَلْ أَرْجُو مِنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَزّ وَجَلّ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)). ومرّت الأيام، وكما يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ((وَتِلْكَ الأَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظّالِمِينَ)). وغيّر الله تعالى الأحوال، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد عشر عامًا كاملة بما لا يتخيّله أحد، لا من الطائف، ولا من مكة، ولا من أهل الجزيرة بكاملها. جاء صلى الله عليه وسلم الآن عزيزًا منتصرًا مُمَكَّنًا، رافعًا رأسه، ومحاطًا بجيش مؤمن جرّار، يزلزل الأرض من حوله، ويرفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله). صلى الله عليه وسلم. أحد عشر عامًا فقط فرّقت بين الموقفين، وتحقّق ما ذَكَره رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه زيد بن حارثة رضي الله عنه يوم قال له في يقين بعد عودتهم المحزنة من الطائف: ((يَا زَيْدُ، إِنّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ)). وسبحان الله! جاء الفرج والمخرج على صورة أعظم بكثير من تخيّل الجميع، ونَصَر الله الدين، وأظهر النبي الكريم. صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. وصل الجيش الإسلامي العملاق إلى الطائف، ويبلغ اثني عشر ألفًا، وتوقّع الجميع معركة هائلة بين هذا التّجمّع الضخم من المسلمين، وبين تجمّع هوازن وثقيف في حصون الطائف في عُقْر دارهم. ولكن رفض المشركون الخروج للحرب، وألقى الله عزّ وجلّ الرهبة في قلوبهم، واختاروا أن يمكثوا في حصونهم دون قتال. فما استطاعوا أن يأخذوا قرار الحرب مرّة ثانية، واكتفوا بفضيحة هزيمة يوم حُنين. فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وعشرون يوماً، فقام أهل الطائف بإطلاق السهام والرماح على المسلمين، وحصونهم عالية وكبيرة، واشتدّ رميهم مع مرور الوقت، واستشهد من المسلمين اثنا عشر من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولم تكن سهام المسلمين تصل إلى الحصون، فأشار الحُبَاب بن المنذر رضي الله عنه أن يبتعد المسلمون عن الحِصن حتى لا تصيبهم السهام، وبالفعل عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان بعيد، إلى محل مسجد الطائف الآن، فعسكروا هناك. وكان معه من نسائه أُمّ سلمة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما، فضَرب لهما قُبَّتَيْن، وقام سلمان الفارسيّ رضي الله عنه بصناعة منجنيق؛ لقَذْف حصون الطائف بالحجارة،

وصنعوا دبّابةً خشبية كان يختبئ تحتها الجنود؛ ليصلوا إلى القلاع والحصون دون أن تصيبهم السهام. وبدأ المسلمون في قَذْف أسوار الطائف بالمنجنيق. وبالفعل كسّروا جزءًا من السور، وكاد المسلمون يدخلون داخل أسوار الطائف، لولا أنّ أهل الطائف فاجئوا المسلمين بإلقاء الحَسَك الشائك المُحمَّى في النار، وهو عبارة عن أشواك حديدية ضخمة أُوقدت عليها النار حتى احمرّت فألقَوْها على المسلمين. وأصيبوا بإصابات بالغة. دفعت المسلمين إلى التراجع. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَطْع حدائق العنب وتحريقها، كجزء من سياسة الحرب لإلجاء العدوّ إلى الإستسلام. وبدأ المسلمون في حرق وقطْع كَمِّيَّةٍ ضخمة من العنب؛ ولكنّ ثقيفًا نادت على المسلمين من وراء الأسوار: لِمَ تُقَطِّع أموالنا؟ إمّا أنْ تأخذها إنْ ظهرتَ علينا، وإمّا أنْ تدعها لله وللرَّحِم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فَإِنِّي أَدَعُهَا لِلّهِ وَلِلرَّحِمِ)). ثم أمر صلى الله عليه وسلم مَنْ ينادي بأنّ كلَّ مَن ترك الحِصن ونزل فهو آمن، فخرج إليه بضعة عشر رجلاً. أيّها المسلمون. لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ تمنُّع ثقيف شديد، وأنّ الفتح لم يُؤْذَن فيه. استشار صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه من أصحاب الخبرة العسكرية والرأي السديد، استشار نَوْفَل بن معاوية الدِّيلي رضي الله عنه في الذهاب أو الْمُقام، فقال: يا رسول الله. هم ثعلب في جُحْر. إن أقمتَ عليه أخذتَه، وإن تركته لم يضرّك. وحينئذ عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على رَفْع الحصار والرحيل، فأرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنْ ينادي في الناس ويقول: إِنّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللّهُ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لأبي بكر: ((إنّي رأيتُ أنّي أُهدِيَت لي قَعْبة مملوءة زبدا، فنقرها ديك فأهراق ما فيها)). قال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظنّ أنْ تدرك منهم يا رسول الله يومك هذا ما تريد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وأنا لا أرى ذلك)). وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قولوا: لا إله إلا الله وحده، صدق وَعْده، ونصر عَبْده، وهزم الأحزاب وحده)). فلمّا ارتحلوا واستقلّوا قال: ((قولوا: آيبون عابدون لربنا حامدون)). ولمّا عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رفع الحصار عن الطائف مكث بالجِعْرانة بضع عشرة ليلة، وكان فيها قِسْمة غنائم حنين، ولمّا فرغ من توزيع الغنائم وقسمتها أَهلَّ معتمراً منها، فأدّى العمرة وانصرف راجعا إلى المدينة المنوّرة. وهكذا عاد المسلمون من غزوة الطائف، منتصرين وإن لم يفتحوا الحِصن، منتصرين بإيمانهم، وثباتهم، وصبرهم، إضافة لما حصل من استسلام بعض أهل

الطائف وإسلامهم. أيّها المسلمون. ولنا وقفة مهمّة مع موقف في منتهى الرقي من مواقفه صلى الله عليه وسلم وهو يغادر الطائف، قال له بعض الصحابة رضوان الله عليهم والغيظ يملأ قلوبهم لعدم التّمكُّن من فَتْح الحِصن: يا رسول الله، ادعُ الله على ثقيف. فقال صلى الله عليه وسلم في هدوء، وفي حبٍّ، وفي أمل: ((اللّهُمّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأْتِ بِهِمْ مسلمين)). ولعلّ صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله يشير إلى ذلك بقوله:

جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى * وَأَخُو الحِلْمِ دَأْبُهُ الإِغْضَاءُ

وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْماً وَحِلْماً * فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ

ما غابت عنه صلى الله عليه وسلم رسالته قَطّ، فهو يريد أن يصل بدعوته إلى الناس لا أن يقتلهم، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ الّتِي تَقَعُ فِي النّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنّ، وَيَغْلِبْنَهُ وَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَنِ النّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)). إنّ المتأمّل في سيرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه مع أصحابه وأعدائه ليُدرك عظمة أخلاقه، ونُبْل صفاته، ولا يستغرب أفعاله، ولا يتعجّب من مواقفه، فهو أحلم الناس وأعفاهم عن جاهل، وكان حلمه وعفوه دائماً عجيباً يفوق الحدّ الذي يتصوّره الإنسان، خاصّة وأنّ عفوه كان مع القدرة على البطش والإنتقام ممّن أساء إليه، لكنّه صلوات الله وسلامه عليه كان يقول عمّن آذاه وأساء إليه: ((اللّهُمّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)). ويقول: ((بَلْ أَرْجُو مِنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَزّ وَجَلّ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))، ويقول: ((اللهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً)). وصدق الله العظيم الذي يقول عنه في سورة الأنبياء: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)). وهكذا كان صلى الله عليه وسلم، فلم يمض على ارتحاله عنهم عشرة أشهر حتى استجاب الله دعاءه. وجاءه وَفْد ثقيف في رمضان من السنة التالية مسلمين، أيّها المسلمون. تلك كانت إلْماحة سريعة. ووقفة عَجْلى مع هذه الغزوة الخالدة. وأبرز عِبَرها وفوائدها، فصلى الله على قائدها، ورضي الله عن المجاهدين فيها. واحشرنا يا مولانا في زمرتهم. وارزقنا حسن الإقتداء بهم. اللهم انفعنا بمحبّتهم، وارزقنا بركاتِهم. وأدخلنا مدخلهم. واجمعنا بهم في دار الكرامة. تحت لواء نبيّنا المصطفى المختار. صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار. بفضلك

وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

37- المختصر اللطيف في قصّة إسلام ثقيف أَوْ تكملة الفوائد واللطائف في إسلام أهل الطائف

الحَمْدُ للهِ الوَلِيِّ الحَمِيدِ، العَلِيمِ المَجِيدِ؛ ((يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)). نحمده تعالى أن هدانا لدينه القويم، وأرشدنا إلى صراطه المستقيم، ونسأله التوفيق للعمل بما يقرّبنا إلى مرضاته. معترفين بالتقصير فيما يلزمنا من شكر هباته، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ شهادة تبلِّغ معتقِدَها أمله، ويختم الله لقائلها بالسعادة عمله، ونشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده المنتخب من بريَّته، ورسوله الداعي لخلقه إلى طاعته، وصفيّه من خلقه وخليله. أرسله بالحق المبين، وابتعثه بالشرع المتين، فجلّى غوامض الشبهات، وأنار حنادس الظلمات، وأباد حزب الكفر وأنصاره، وشيَّد أعلام الدين ومناره .

بُحْ بالصلاة على المخصوص بالكرمِ * وصفوة الله من عُرْبٍ ومن عَجَمِ

مَنْ قال للناس إنّ الله أرسلني* للكلّ بالدين والقرآن والحِكَمِ

فمَنْ يصلِّ عليه كيف يخذُلُهُ * أَمْ كيف يُسْلِمُه في موقف الندمِ

صلّوا عليه جميعا إخوتي عَلَنًا * تُجْزَوْن عنها غدًا بالعفو والكرمِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. أجمل مَنْ طابت بذكره المجالس والمحافل. وعلى آله المنتَخَبِين من أشرف القبائل. وصحابته ليوث الوغى والسادة الأماثل. صلاة تطهّرنا بها من القبائح والرذائل. وتحلّينا بها بأشرف الخصال وأكمل الفضائل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ المتأمّل في سيرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه مع أصحابه وأعدائه ليُدرك عظمة أخلاقه، ونُبْل صفاته، ولا يستغرب أفعاله، ولا يتعجّب من مواقفه، فهو أحلم الناس وأعفاهم عن جاهل، وكان حلمه وعفوه دائماً

عجيباً يفوق الحدّ الذي يتصوّره الإنسان، خاصّة وأنّ عفوه كان مع القدرة على البطش والإنتقام ممّن أساء إليه، لكنّه صلوات الله وسلامه عليه كان يقول عمّن آذاه وأساء إليه: ((اللّهُمّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)). ويقول: ((بَلْ أَرْجُو مِنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَزّ وَجَلّ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))، وعندما غادر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف، قال له بعض الصحابة رضوان الله عليهم والغيظ يملأ قلوبهم لعدم التّمكُّن من فَتْح الحِصن: يا رسول الله، ادعُ الله على ثقيف. فقال صلى الله عليه وسلم في هدوء، وفي حبٍّ، وفي أمل: ((اللّهُمّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأْتِ بِهِمْ مسلمين)). لقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. هادياً إلى الحقّ داعياً، ولم يُبْعَث جابياً، وهو نبي الرحمة بالإضافة إلى أنّه نبي الملحمة. كيف يدعو عليهم، وهو يحاربهم لا ليبيدهم إنّما ليعطفهم إلى الحقّ ويأطّرهم عليه؟ وصدق الله العظيم الذي يقول عنه في سورة الأنبياء: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)). وهكذا كان صلى الله عليه وسلم، فلم يمض على ارتحاله عنهم عشرة أشهر حتى استجاب الله دعاءه. وجاءه وَفْد ثقيف في رمضان من السنة التالية مسلمين، ولكنْ كيف جرت الأحداث حتى اقتنعوا بالدخول في الإسلام؟!! أيّها المسلمون. لمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف، تبعه أحد زعمائهم وهو عُرْوَة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه. حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه يرغّبهم في الإسلام، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ قومك أزمعوا أن يقتلوك إن عدت إليهم مسلماً، فما يزالون ممتنعين، يكرهون أن يتركوا دينهم إلى دين الله)). قال عروة: يا رسول الله؛ أنا أَحَبُّ إليهم من أبكارهم، وكان فيهم كذلك محبّبا مطاعاً. قال صلى الله عليه وسلم: ((فاخرج إذاً. وأَكِلُ أمرك إلى الله)). فخرج عروة يدعو قومه إلى الإسلام وهو يرجو أن لا يخالفوه لمنزلته الرفيعة فيهم، فلمّا وصل الطائف، وأشرف على عَلِّيَّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. لم يراعوا فيه منزلته، ولا مكانته الرفيعَة فيهم، لقد حرّكتهم نخوة الجاهليَّة، وشياطين الإنس، ووسوساتُ الجانّ. وهذا ما نراه في كل زمان ومكان، لا يرعَوْن في مؤمن إلاًّ ولا ذِمّة. قال بعضهم متشفّياً: ما ترى في دمك؟! ألم يذهب سدى؟! قال: لا. بل كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ. ((يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)). وما أنا إلا واحد من الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يترحل عنكم، فادفنوني معهم. فهو مدفون خارج

الطائف مع الشهداء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: ((إنَّ مثَله في قومه كمثل صاحب يس في قومه)). أيّها المسلمون. لقد كان مقتل عروة بن مسعود الثقفي حدثاً جليلاً في قومه، جعلهم يفكّرون فيما هم عليه ويأتمرون بينهم، ورأوا أنّهم لا طاقة لهم بحرب العرب مِن حولهم الذين أسلموا، وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداً من القبائل كلها مكوَّناً من ستّة أشخاص، وانطلق الوفد إلى المدينة، فلما دنوا منها لقيهم المغيرة بن شعبة. وهو منهم. ونهض مسرعا ليبشّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومهم، فلقي أبا بكر الصديق فاستخبره عن شأنه، فأخبره بقدوم وفد قومه ثقيف للإسلام، فأقسم عليه أَبُو بكر أن يؤثره بتبشير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فأجابه المغيرة إلى ذلك، فكان أَبُو بكر هو الذي بشّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ثم رجع إليهم المغيرة ورجع معهم وأخبرهم كيف يحيون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته). فلم يفعلوا، وحيّوه بتحيَّة الجاهليّة. قائلين: عِمْ صباحاً يا محمد. وكان قدومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة التاسعة. أيّها المسلمون. وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف فى المسجد. وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن. ويروا الناس إذا صلوا. ومكث الوفد أياماً عديدة يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويختلف إليهم. وهو يدعوهم إلى الإسلام. روى ابن سعد: أنّه صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء. فيقف عليهم يحدّثهم حتى يراوح بين قدميه. أيْ يقوم على كل قدم مرّة من التعب. وروى موسى بن عقبة في مغازيه: أنّ عثمان بن أبي العاص كان في ذلك الوفد. وكان أصغرهم. فكانوا إذا ذهبوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّفوه على رحالهم. فكان عثمان كلّما رجع الوفد. وقالوا في الهاجرة. عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين. واستقرأه القرآن. واختلف إليه عثمان على ذلك مراراً حتى فقه الدين. وكان إذا وجد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نائما عمد فذهب إلى أبي بكر. وكان يكتم ذلك من أصحابه. فأعجب ذلك منه صلى الله عليه وسلم وأحبّه. وأخيراً دخل الإسلام أفئدتهم. إلاّ أنّهم طلبوا أموراً رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها: أن يدع الطاغية اللات. ثلاث سنين لا يهدمها، وهي الصنم المعبود في الطائف، وكانت من أعظم أصنام العرب، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك. فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم. حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم. فأبى عليهم أن يدعها إلى أيّ أجل.

قال: ((لا يجتمع إيمان وشرك أبداً))، وكانت حجّتهم أنّهم يريدون أن يَسْلَموا من سفهائهم، ويكرهون أن يروعوا أهلهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلامُ دخولاً على مراحل دون طفرة!! وسألوه أن لا يهدموا أوثانهم ولا يكسّروها بأيديهم، فأعفاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كسرها بأيديهم. وأبى أن يدع لهم وثنا، وبعث معهم أبا سفيان بْن حرب، والمغيرة بْن شعبة لهدم الأوثان والطاغية وغيرها، وقبل أن يقوموا طلبوا طلباً أخيرا وهو أن يعفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة. فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا دين لمن لا صلاة له، ولا خير في دين لا صلاة فيه، إنّ بين الرجل والكفر تركَ الصلاة. وهي الركن الثاني من الإسلام)). وبهذا أقرّ وفد ثقيف بكل ما أمر به صلى الله عليه وسلم، وقرّروا العودة إلى الطائف. ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم. وأكرمهم وحباهم. وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص لِمَا رأى من حرصه على الإسلام. وكان قد تعلّم سوراً من القرآن. وأمره أن يصلّي بهم. وأن يقدّرهم بأضعفهم. ولا يطوّل عليهم، وهذا موقف لابدّ أن نعلّق عليه لأهميّته، وهو أنّه لا يكون المسلم عظيماً إلا إذا عظّم الإسلامُ في نفسه. وفَقِهِ دين الله وكتابه. وكان حريصاً على الإستزادة منه فهماً ودراية، وعمِلَ بما عَلِمَ. ولهذا نرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّر على هذا الوفد وعلى ثقيف بكاملها عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه مع أنّه أصغر القوم؛ وذلك لشدّة حرصه على التعلّم، وحُسن فهْمه. ودقّة نظرته، وكفاءته القيادية. وهذا يوضّح لنا قيمة الشباب في الإسلام، وإمكانيات الشباب الهائلة التي كان يقدّرها صلى الله عليه وسلم. أيضاً تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام مع ثقيف كما تعامل مع أهل مكة. فقد عفا عنهم أجمعين برغم التاريخ السّيّئ الذي مرّ به المسلمون مع الطائف، ليثبّت لنا وللجميع أنّ منهج العفو هو منهج أصيل في الإسلام، ولم يكن حدثاً عابراً خاصّاً بمكة المكرّمة. أيّها المسلمون. إنّ إسلام الطائف كان جائزة كبيرة جدّاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد صبر سنوات طويلة جداً، وأُوذي من الطائف أشدّ الإيذاء، ومع ذلك ظلّت رسالته نقيّة، والعاقبة للمتقين. ومرّت الأيام والسنوات وذهب الألم وبقي الأجر إن شاء الله، وأثمر جهدُ السنين إسلامَ مدينة عظيمة ثابتة على الإسلام وهي الطائف. وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتدّت الجزيرة العربية بكاملها إلا ثلاث مدن وقرية. وهم: المدينة المنوّرة ومكة المكرّمة والطائف وقرية هجر بالبحرين. لتتحقّق الأمنية الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخرج الله عزّ وجلّ من أصلابهم من

يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. صلى الله عليه وسلم. ما أعظمها من أمنية، وما أسعده من نصْر تحقّق ورآه صلى الله عليه وسلم بعينيه، وما أجملها من نهاية لقصّة إسلام مدينة الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم اهدنا فيمن هديت، وتولّنا فيمن تولّيت، اللهم اكشف الغمّة، وأصلح أحوال الأمّة، واجمع كلمتها على الحق والدين. اللهم هيّئ لهذه الأمّة رجالاً من أمثال تلك القدوات الصالحة، من العلماء العاملين. والدعاة الناصحين. الذين يستنيرون بنور النبوّة. ويقتدون بنهجها. ويستنّون بسنّتها. اللهم أبرم لهذه الأمّة أمرا رشدا. يُعَزّ فيه أهل طاعتك. ويذلّ فيه أهل معصيتك. ويؤمر فيه بالمعروف. وينهى فيه عن المنكر. يا سميع الدعاء. اللهم احفظ المسلمين في دينهم ودمائهم. وأعراضهم وبلادهم، واكفهم شرّ عدوّك وعدوّهم. اللهم انصر إخواننا المستضْعَفين في كل مكان يا رب العالمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

38- النور المضيء من أخبار سريّة سيّدنا علي بن أبي طالب إلى قبيلة طيء

الحمد الله الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ومَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، نحمده تعالى أن منّ علينا بالإسلام. وأكرمنا بنبيّه سيّدنا محمّد عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام. وجعل الإعتناء بدلائل نبوّته ومغازيه من أجلّ ما يُتَشرَّفُ بعِلْمِه بين الأنام. فسبحانه من إله اختار لنبيّه صلى الله عليه وسلم خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومستدرِج الكافرين بمكره، وجعل العاقبة للمتّقين بفضله، وأظهر دينَه على الدين كلّه، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه

وخليله. أَقْوَمُ الخَلْقِ سِيرةً، وأَنْقاهُم بَاطِناً وسَرِيرَةً، قَامَ خَيْرَ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَنَصَحَ فَأَخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ،

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ المحمود. وعلى آله ذوي الكرم والجود. وصحابته الواقفين على الحدود. والموفين بالعهود. صلاة تكفينا بها شرّ كلّ عدوّ وحسود. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المنى والمقصود. وتفتح بها في وجوهنا كلّ باب مغلق ومسدود. وتجعل بها دعاءنا عندك مقبولا غير مردود. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هادياً إلى الحقّ داعياً، ولم يُبْعَث جابياً، وهو نبي الرحمة بالإضافة إلى أنّه نبي الملحمة. وإنّ المتأمّل في سيرته وحياته صلى الله عليه وسلم ومواقفه مع أصحابه وأعدائه ليُدرك عظمة أخلاقه، ونُبْل صفاته، ولا يستغرب أفعاله، ولا يتعجّب من مواقفه، فهو أحلم الناس وأعفاهم عن جاهل، وكان حلمه وعفوه دائماً عجيباً يفوق الحدّ الذي يتصوّره الإنسان، وصدق الله العظيم الذي يقول عنه في سورة القلم: ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)). وهذه نبذة عن حسن معاملته صلى الله عليه وسلم مع ابنة وابن حاتم الطائي المعروف بالجود والكرم بين العرب. أيّها المسلمون. انقضت السنة الثامنة الهجرية بكل أحداثها. فقد فُتِحت مكة. ودانت لرسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قريش،. وأسلمت هوازن وثقيف، وعادَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المدينة المنوّرة ظافِراً منتصِراً. ويتحدّث القرآنُ الكريم عن قدوم وفود القبائل العربية المختلفة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وما حقّقه الإسلام من فتح وانتصار. فيقول الله تعالى في سورة النصر: ((إذا جاء نَصرُ الله والفَتحُ ورأيتَ النّاسَ يَدخُلُونَ في دينِ الله أفواجاً فَسبِّح بَحمدِ رَبِّكَ وَاستَغفِرهُ إنّهُ كان توّاباً)). وبالرغم مِن هذا الإقبال المتزايد على الإسلام. فقد قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في السنة التاسعة من الهجرة ببعث عدّة سرايا، وكانت في الأغلب لهدم الأصنام الكبيرة التي لا تزال بعض القبائلُ العربيةُ المشركِةُ تقدّسها وتعبدها، ومن جملة هذه السرايا سريّة سيّدنا

علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه إلى هدم الفُلْس صنم قبيلة طيّء. والغارة عليهم. أيّها المسلمون. في مثل هذا الشهر أعني في شهر ربيع الثاني من السنة التاسعة للهجرة بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سيّدنا عِلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه في خمسين ومائة رجل من الأنصار. على مائة بعير وخمسين فرسا. معه راية سوداء ولواء أبيض. إلى هَدْم الفُلْس، صنم كان بنجد تعبده طيِّىء. فشنّ الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر. وهدّم الفُلْس وأحرقه. واستاق نَعَمهم وشاءهم وسبيهم، وكان في السبي سَفّانة أخت عدي بن حاتم الطائي، وهرب عدي إلى الشام، ولمّا رجع سيّدنا عِلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى المدينة المنوّرة طلبت سفَّانة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أن يَمُنَّ عليها، فأجابها لطلبها. لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلم كان من سنته أن يُكْرِم الكرام، فقد جاء في السيرة الحلبية أنّها قالت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا محمد أرأيتَ أن تمنّ عليّ ولا تفضحني في قومي. فإنّي بنت سيّدهم، إنّ أبي كان يطعم الطعام، ويحفظ الجوار، ويرعى الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العريان، ولم يردّ طالب حاجة قط. أنا بنت حاتم الطائي. فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: ((هذه مكارم الأخلاق حقا، ولو كان أبوك مسلما لترحمتُ عليه، خلّوا عنها. فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإنّ الله يحب مكارم الأخلاق)). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أكرموا عزيزَ قومٍ ذلَّ، وغنيًّا افتقر، وعالماً ضاع بين الجهّال)). فأسلمت وحسن إسلامها. وكان من دعائها لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أن قالت: شكرتْكَ يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتكَ يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سبباً لردّها عليه. ثم قال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: ((يا جارية إلى أين تريدين أن تذهبي؟)). قالت: أريد اللحاق بأهلي في الشام، فقال: ((ولكن لا تعجلي بالخروج حتى تجدي من تثقين به من قومك، ليبلّغك بلاد الشام، فإذا وجدت الثقة فأعلميني))، ثم أقامت حتى قدم ركبٌ فيهم مَن تثق به، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت: يا رسول الله. لقد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، فكساها النبي صلى الله عليه وسلم، ومنحها ناقة تحملها، وأعطاها نفقة تكفيها، وأطلق سراح قومِها كلِّهم إكراماً لها، أيّها المسلمون. وكانت هذه المعاملة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سبباً في إسلام أخيها عدي بن حاتم الطائي الذي فرّ إلى الشام عندما رأى الرايات الإسلامية قاصدة بلاده، وكان

من حديث مجيئه أنّ أخته توجّهت إليه بالشام، وأخبرته بما عُوملت به من الكرم، فقال لها: ما ترين في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى أن تلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضل، وإن يكن ملكاً فأنت أنت. قال: والله هذا هو الرأي. ولعلّها لم تظهر له إسلامها لئلا ينفر طبعه. وقولها له إن يكن نبيا أيْ على الفرض والتنزّل تحريضا له على اللحوق به، فخرج عدي حتى جاء المدينة المنورة، ولقي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فقال له عليه الصلاة والسلام: ((مَن الرجل؟)). قال: عدي بن حاتم الطائي، فأخذه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم إلى بيته، وبينما هما يمشيان إذ لقيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم امرأة عجوز ضعيفة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكَلّمه في حاجتها، فقال عدي: والله ما هو بملك. ثم مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وِسادة من جلد محشوّة ليفاً فقدّمها إلى عدي، وقال: ((اجلسْ على هذه)). فقال عدي: بل أنت تجلس عليها، فامتنع عليه الصلاة والسلام وأعطاها له، وجلس صلّى الله عليه وآله وسلم على الأرض، فقال عدي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال صلّى الله عليه وآله وسلم: ((يا عدي أسلِم، تسلَمْ)) قالها ثلاثاً، فقال عدي: إنّي على دين، وكان نصرانياً. فقال له عليه الصلاة والسلام: ((أنا أعلم بدينك منك)). فقال عدي: أأنت أعلم بديني منّي؟ قال: ((نعم)). ثم عدّد له أشياء كان يفعلها اتّباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء، كأَخْذه المرباع وهو ربع الغنائم. قال عدي: بلى والله، وعرفتُ أنّه نبي مرسل يعلم ما يجهل. ثم قال: ((يا عدي إنّما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى، تقول: إنما اتَّبعه ضَعَفةُ الناس ومن لا قوّة لهم، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم، فوالله ليُوشكَنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتى لا يُوجد مَنْ يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، أتعرف الحِيْرة؟)) قال عدي: لم أرها وقد سمعتُ بها، قال: ((فوالله ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جِوار أحد، ولعلّك إنّما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم)). قال عدي: فأسلمت فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استبشر، ورأيت القصور البيض وقد فتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلاّ الله، ووالله لتكوننّ الثالثة ليفيضنّ المال حتّى لا يقبله أحد. ثم عاد إلى قومه معزَّزاً مكرَّماً. وصار بعد ذلك من خيار المسلمين. أيّها المسلمون. ولقد شاء الله أن يحقّق قول نبيّه عليه الصلاة والسلام،

فجاءت الثالثة في عهد الخليفة الزاهد العابد سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حيث فاضت الأموال على المسلمين حتى جعل مناديه ينادي: من يأخذ أموال الزكاة؟ من فقراء المسلمين؟ فلا يجد أحداً. وبرّ عدي بن حاتم بقسمه. أيّها المسلمون. إنّ الجانب الأخلاقي والإنساني كان واضحاً وقويّاً في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لسفَّانة ولأخيها عدي. وكانت هذه المعاملة من عوامل الجذب لدين الله. فهو صلى الله عليه وسلم يريد أن يصل بدعوته إلى الناس لا أن يقتلهم، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُ الّتِي تَقَعُ فِي النّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنّ، وَيَغْلِبْنَهُ وَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَنِ النّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)). وصدق الله العظيم الذي يقول عنه في سورة الأنبياء:((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)). اللهم أدّبنا جميعاً بآداب نبيّك، وأعنّا على ذلك. اللَّهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنّا سَيِّئَهَا. لا يَصْرِفُ عَنّا سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ. اللهم اهدنا فيمن هديت، وتولّنا فيمن تولّيت، اللهم أبرم لهذه الأمّة أمرا رشدا. يُعَزّ فيه أهل طاعتك. ويُذَلّ فيه أهل معصيتك. ويؤمر فيه بالمعروف. ويُنْهى فيه عن المنكر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

39- المدارسة الجادّة من أخبار سريّة عَلْقَمة بن مُجَزِّز المُدْلَجي إلى جدّة والعبرة من قِصّة عبد الله بن حُذافة وأَخْذ الفائدة

الحمد لله الذي جعل ذِكْر نبيّه صلى الله عليه وسلم نزهة لذوي الأبصار والإستبصار. وسَرْد سيرته يحيي موات القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والإنتساب إليه يرفع قدر الخامل ويرقّيه إلى مقام العزّ والإفتخار. والإعتصام بحبله المتين يجير المستجير ويحفظه من سطوة البغاة والأعادي والأشرار. والإستشفاع به والتوسّل بجاهه يقضي جميع الحوائج والأوطار. نحمده سبحانه وتعالى أن أنعم على قلوبنا بالإرتياح لذكر حبيبه ومصطفاه. والإهتزاز عند

سماع خبرٍ عنه مصدره أو إليه منتماه. فإنّ الإرتياح للذّكر شهادة الحُبّ. وأمارة المحِبّ. وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم نَقَلةُ السنّة. أنّ مَن أحبّه كان معه في الجنّة. فنسأل الله تعالى أن يكتبنا في محبّيه. الواقفين عند حدّ أوامره ونواهيه. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. النصير لِمَن نصر شَرْعه. والمعزّ لِمَن أعزّ دينه وأمْره، والقاهر فوق كلّ شيء قهره، ينصر رسله والصالحين من عباده في كل وقت وحين. يمدّهم بمدده. ويذود عنهم بجنده، ويفتح بهم ولهم الفتح المبين. وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله. وصفيه من خلقه وخليله. أرسله بالحقّ نورا يتلالا. وغيثا يتوالى. ورفع به منار الحقّ وأعلا. وكشف به غياهب الباطل وأجلى. وأيّده بصِحابٍ نصروا دينه حتى عاد إليه مَنْ كان أعرض عنه جَهْلا. وانتظم لأهل الإسلام وكان له في أعمال الصالحين فعلا .

يا أُمَّةَ المصطفى الهادي إلى الرَّشَدِ وَالْمُرْتَجِينَ ثوابَ الواحِدِ الصَّمَدِ

إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تنالوا أَعْظَمَ الْمَدَدِ مِنَ الإله وتَنْجُوا في شفاعتِهِ

صلّوا على المصطفى يَا أَهْلَ مِلَّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. إمام الزُّهَّاد والعُبّاد. وعلى آله النجباء الأفراد. وصحابته ذوي الجِدِّ والإجتهاد. صلاة تصلح بها منّا القلوب والأجساد. وتحفظ لنا بها المال والأهل والأولاد. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية القصد والمراد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ثَمَّ رجالٌ لهم على أمّة الإسلام أيادٍ بيضاء. لا ينال الأمّة خير ولا بركة إلاّ ولهم فيه القدح المعلَّى؛ بما بلَّغُوا من دين الله. وجاهدوا في سبيل الله. إنّهم صحابةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. فهم قدوة للمقتَدين، وسِيَرُهم مشرقة في خدمة هذا الدين، فما أحوجنا لمعرفة أخبارِهم، وتدارسِ أحوالهم، تتربَّى من خلالها أنفسُنا، وينشأ عليها أولادُنا، ويتعرَّفُ عليها ناشئتُنا.قال تعالى في سورة التوبة: ((لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). فعبادتهم كما أخبر الله عنهم في سورة الفتح: ((تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)). ومعاملتهم قال عنها سبحانه: ((أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)).وأمّا جهادهم فقال عنه تعالى في سورة آل عمران: ((فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)).

أَوَ بعْد هؤلاء يبقى تميّزٌ لأحدٍ، أويُعْجَبُ معجَبٌ بشخصٍ. أو يُرى فضلٌ في غيرهم. اللهم إلا أن يكونَ من التابعين لهم بإحسانٍ. قال تعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). أيّها المسلمون. ففي مثل هذا الشهر أعني في شهر ربيع الثاني من السنة التاسعة للهجرة بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَايَاهُمْ أَهْلُ جَدَّةَ في مراكبهم يريدون الإغارة عليها، والقيام بأعمال القَرْصَنَة ضد أهل مكة، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ علقمة بن مُجَزِّز المُدْلَجي رضي الله عنه. الصحابي بن الصحابي. أبوه مُجَزِّز بن الأَعور الكناني المدلجي رضي الله عنه. عُرِف أبوه بالقائف. وهو الذي يتتبّع الآثار ويعرفها، أو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود. ففي سنن أبي داود وغيره عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ. فَقَالَ: ((أَيْ عَائِشَةُ. أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِيَّ رَأَى زَيْدًا وَأُسَامَةَ قَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا بِقَطِيفَةٍ وَبَدَتْ أَقْدَامُهُمَا فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)). قَالَ أَبُو دَاوُد كَانَ أُسَامَةُ أَسْوَدَ وَكَانَ زَيْدٌ أَبْيَضَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ علقمة بن مُجَزِّز المُدْلَجي رضي الله عنه فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فذهب حتى وصل جدَّةَ، ونزل في المراكب ليدركهم، وكان الأحباش متحصّنين في جزيرة هناك، فلمّا رأوا المسلمين يريدونهم هربوا، ولم يلقَ المسلمون كيداً، فرجع علقمة بمن معه. ثم لما كانوا في أثناء الطريق تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيهِمْ قبل بقية الجيش فَأَذِنَ لَهُمْ، وأمّر عليهم عبد الله بن حُذافة السَّهْمي، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا. وقال لهم: ألستم مأمورين بطاعتي؟ قالوا: نعم، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا ما تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ، فقال بعضهم: ما أسلمنا إلا فراراً من النار، وقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ فَتَجَهَّزُوا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اجْلِسُوا إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:((لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا)). وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)). أيّها المسلمون. لقد كان لعبد الله بن حُذافة السَّهْمي في خلافة سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قصَّة من أروع القصص مع قيصر عظيم الروم، ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء: عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ

وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟ قَالَ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مُلْكِ الْعَرَبِ، مَا رَجَعْتُ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ. قَالَ: إِذًا أَقْتُلَكَ. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ بَدَنِهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ. وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِي فِيهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى. ثُمَّ بَكَى، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ. مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي وَأُخَلِّيَ عَنْكَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَعَنْ جَمِيعِ الْأَسَارَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ. وَقَدِمَ بِالْأَسَارَى عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ. أيّها المسلمون. إنّ مطالعة أخبار الثابتين على الحقّ، المستسلِمين لأمر الله تعالى وحُكْمِه، الراضين بقضائه وقَدَرِه، المقرّين بعِلْمِه وحِكْمَتِه، الموقِنِين بوَعْدِه ونَصْرِه؛ مما يعين على ثبات القلب على الدين، وسلامته من الفتنة، وصبره على البلاء. لأنّ سِيَرَ هؤلاء الرجال تدفع المسلم إلى التّأسّي بهم في ثباتهم ويقينهم. فرضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأَكْرَم نُزُلَهم، وجمعنا بهم في جنّات النعيم. اللّهُمَّ بِحَقِّهم عِنْدَكَ. وَمَنْزِلَتهم لَدَيْكَ، إغْفِرْ لنا وَلِوالِدينا وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَانْفَعْنا اللهمّ بمَحَبَّتِهم، واحشرنا في زمرتهم. وَلا تَحْرِمْنا شَفاعَتَهم، وَثَبِّتْنا عَلى قَصْدِهِمْ، ولا تخالف بنا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. وَتَوَفَّنا عَلى ما تَوَفَّيْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَاجْمَعْ بَيْننا وَبَيْنَهُم في مُسْتَقَرِّ دارِ رَحْمَتِكَ، في مَحَلِّ رِضْوانِك، وَمَوْضِعِ اِكْرامِك، مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

40- القول الجلي بتذكير الطالب الذكي عن غزوة تبوك آخِر غزوات النبي صلاةً وسلاما عليه من الله العلي

الحمد لله ناصِر مَنْ تحقّق بنصره. وذاكِر مَنْ تعلّق بذكره. ومهلِك مَنْ تجبّر بكفره. ومدرِك مَنْ خالفه وفسق عن أمره. فسبحانه من إله جَعَلَ دِينَهُ ظَاهِراً عَلَى كُلِّ دِينٍ، وأَعَزَّه بِرِجَالٍ صَادِقِينَ، وَاخْتَارَهُمْ لِمَحَبّةِ نَبِيِّهِ. صلى الله عليه وسلم. فَكَانُوا نِعْمَ الصّاحِب وَالْمُعِين، وكَتَبَ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ وَالتَّمْكِينَ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. ممزّق ظُلَلَ البلاء عند اِدْلِهْمَامِهَا. ومفرّق جموع الأعداء بَعْد اِلْتئامها. ومبدِّد شمل الفئة الكافرة حين انتظامها. ومؤيِّد العصبة الصابرة بعزّ نصره أوان استسلامها. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أرسله بالقسط قائما. وللأمّة عاصما. ولِعَلَم الرشاد رافعا. وإلى جهاد الأضداد مسارعا. فلم يزل صلى الله عليه وسلم لمهجته باذلا. وعن التوحيد وحوزته مناضلا. حتى أعزّ الله به الإيمان. وقهر دينه الأديان. وكسّر الأوثان. ونكّس الصلبان. وأرغم الشيطان. وأرضى الرحمان .

فملاذنا المولى المعظَّمُ أحمدُ * وجنابُه للمذنبين مُمَهَّدُ

وبه علينا كلُّ كَرْبٍ يُبْعَدُ * صلّوا على خيرِ البريةِ تَسْعَدُوا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمّد. الذي تُغني محبّته عن الأخلاّء والعشائر. وعلى آله الأنجمِ الزواهر. وصحابته سيوفِ الحقّ البواتر. صلاةً تُصلِح لنا بها البواطن والظواهر. وتجعلها لنا عُدَّةً من أسنى الذخائر. وتظلّنا بظلّها الظليل يوم تحقّ الحقائق وتُبْلى السرائر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. إنّ الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثٌ تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوبٌ بالإيمان مطمئنَّة، فحبّه في شغاف الأفئدة مغروس، وتوقيره مشربة به النفوس، فيه العبرة، والموعظة الحسنة. ويحوي أحكامًا فقهية، ودروسًا تربوية، وينطوي على علوم متعدّدة؛ كالسياسة؛ والإقتصاد؛ وشؤون الحرب؛ والجهاد؛ وأحكام الهدنة والسلام؛ وغير ذلك ممّا يحتاجه المسلمون. وكان ممّا وقع في مثل هذا الشهر. أعني شهر رجب من السنة التاسعة للهِجْرة من الأَحْداث الكبرى، والمغازي العظمى. غزوة تبوك، التي كانت آخر مَغَازي رسول الله صلى الله عليه وسلم. كانت غزوة مليئة بالأحداث، فيها أخبار الْمُوسَرِين الذين أنفقوا، والفقراء الذين عجزوا، وفيها أنباء المنافقين الذين فُضِحوا، وحكاية الثلاثة الذين خُلّفوا، ناهيكم عن أخبار المسير والحصار، وفَرْض الجزية على أهل الكتاب، وما الحديث عنها تكفيه الساعات؛ ولكن هذه أجزاء

ومقتطفات. أيّها المسلمون. لقد ميّز القرآن الكريم هذه الغزوة عن غيرها، فسمّاها الله تعالى ساعة العسرة، قال تعالى في سورة التوبة: ((لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيءِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)). فقد كانت غزوة عسرة بمعنى الكلمة. إذ اجتمع على المسلمين فيها عُسْرة الظهر، وعسرة الزَّاد، وعُسْرة الماء، وعسرة الحر، وعسرة الطريق، وعسرة إيذاء المنافقين وإرجافهم؛ وسببها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أنّ الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده، وكان ذلك في زمن عُسْرة الناس، وجدْب البلاد، وشدّة الحرّ حين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، فأمر عليه الصلاة والسلام بالتجهّز، وكان قلّما يخرج في غزوة إلا ورّى بغيرها، ليُعَمِّي الأخبار على العدوّ. إلا في هذه الغزوة، فإنّه أخبر بمقصده. وأنّه يريد الروم. وذلك لبُعد الشّقةِ ولشدّة العدوّ، ليأخذ الناس عدّتهم لذلك، فخطبهم وحثّهم على الجهاد. ورغّبهم في بذل الصدقات وقال: ((مَنْ يجهِّز جيشَ العسرة وله الجنّة؟)). فجهّزه سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بتسعمائة بعيرٍ، ومائة فرس. وجاء بألف دينار في ثوبه فصبّها في حِجْر النبي صلى الله عليه وسلم. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلّبها بيده ويقول: ((ما ضرَّ ابنَ عفَّان ما عمِلَ بعد اليوم، يُرَدِّدُها مرارًا)). وجاء سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه بماله كله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أبقيتَ لأهلك شيئاً؟ فأجاب: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه. وجاء سيّدنا عمر بن الخطاب بنصف ماله. وجاء سيّدنا عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله وأنفق ألفي درهم، وجاء سيّدنا العباس بمالٍ كثير، وجاءت النساء بما قدرن عليه من صدقات وحليّ وخلاخل وقروط وخواتم، وألقينه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، آثروا جنّة عرضها السموات والأرض على تجملهنّ وتحليّهنّ. وتسابق المؤمنون في بذل الكثير والقليل. كلٌّ حسب طاقته واستطاعته. وهناك آخرون قد بلغوا من الفقر غايته، فهم ضعفاء لا يملكون شيئًا، ولكنّهم بذلوا ما بأيديهم، وقدّموا ما بوسعهم، فهذا عُلبة بن زيد لم يجد ما يتصدّق به. فرفع يديه إلى ربه والله يعلم صدقه، فقال: اللهم إنّك أمرت بالجهاد ورغّبت فيه. اللهم إنّه ليس عندي مال أتصدّق به، اللهم إنّي أتصدّق بعِرْضي على مَنْ ناله من خلقك، فعندما جاء الصباح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديًا ينادي: ((أين المتصدِّق بعِرْضه البارحة؟)). فقام عُلبة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله قد قبل صدقتك)). ويأتي سبعة من فقهاء الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم. فقال: لا أجد ما

أحملكم عليه، فيتولّون وأعينُهم تفيض من الدمع حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون، وفيهم قال الله قرآنًا يتلى: ((لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ)). ومع أنّهم عُذِروا، ولم يخرجوا للغزو. فإنّ قلوبهم كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم. ذَكَر النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسير خبرهم. فقال كما في صحيح البخاري: ((إنّ بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر))؛ إنّها مواقف مؤثّرة. وصور معبّرة. من البذل والعطاء. والجهاد والفداء، كل هذا استجابة لنداء ربّهم: ((انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)). فرضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، أيّها المسلمون. وأمّا المنافقون الكاذبون فشحّت قلوبهم وجفّت أيديهم وانطلقت ألسنتهم في أهل الإيمان همزًا ولمزاً وسخرية وطعناً. فإذا جاء المؤمن بالمال الكثير. قالوا: ما أراد هذا إلا الفخر والرياء. وإذا جاء المؤمن بالقليل. قالوا: إنّ الله لغنيّ عن صدقة هؤلاء. قال الله تعالى في هؤلاء المنافقين: ((الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). ولمّا أعلن النبي صلى الله عليه وسلم النفير. بدأ المنافقون يعتذرون عن المسير معه؛ وذلك لتثبيط هِمَمِ الناس، وإضعاف معنوياتهم. متحجّجين بحجج واهية. قال تعالى: ((فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)). وها هو أحدهم يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى ابن هشام: ((هل لك في جلاد بني الأصفر؟)). أي: الروم، فيقول: يا رسول الله، ائذن لي ولا تَفْتنّي، فوالله لقد عرف قومي أنّه ما مِنْ رجل أشدّ عُجبًا بالنساء منّي، وإنّي أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم، ولكنّ الله جلّ وعلا فضحه وأذلّه في قوله تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)). ويأتون بالأيمان الكاذبة ليبدوا أعذارهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلّفهم عن

الغزوة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويعذرهم، فيعاتبه ربه بقوله تعالى: ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)). والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير لحبيبه صلى الله عليه وسلم على ترك الأولى. وهو التوقّف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال. ثم قال تعالى: ((لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)). لقد كان المنافقون يعيشون بين الصحابة، وجلُّ الصحابة رضي الله عنهم لا يعرفونهم إلا من أسرَّ له النبي صلى الله عليه وسلم ببعضهم؛ كحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما. ولكن بعد تَبُوك، وعقب نزول سورة براءة عرف الصحابة كثيرًا منهم؛ إذ نصَّتِ السورة على أقوالهم وأفعالهم، فعُرِفَ أن ّأصحاب تلك الأقاويل والأفعال كانوا منافقين. ولذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يسمّيها الفاضحة؛ لأنّها فضحت المنافقين، أيّها المسلمون. ثم تحرّك الجيش يريد تبوك، وقد بلغ تعدادُه ثلاثين ألفًا في جَمْع كبيرٍ ما شُهِد مثلُه في جيوش المسلمين من قبل، حتى إنّ المسلمين لم يستطيعوا تجهيزَه تجهيزًا كاملا رغم كلّ ما بذلوه، وتخلّف عنه نفر من المسلمين عن غير شكّ ولا ارتياب. منهم كعب بن مالك. ومرارة بن الربيع. وهلال بن أمية. وأبو خيثمة. وكانوا نفر صِدْق لا يُتَّهمون في إسلامهم. غير أنّ أبا خيثمة لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك. وعانى المسلمون في هذه الرحلة جهودا شاقّة. وأتعابا جسيمة. حتى أكلوا في طريقهم أوراقَ الشجر حتى تورّمت شفاهُهم، وأصابهم عطش شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها. وكان ثمانيةَ عشرَ رجلا يعتقِبون بعيرًا واحدا، حتى إنّ جمل أبي ذرّ رضي الله عنه قد تثاقل عن حمله، فنزل عنه أبو ذرّ وحمل متاعَه على ظهره وأخذ يمشِي على قدمَيه. والأرض قد التهبَت حرًّا يريد أن يدركَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ولا عجبَ فإنّ ذلك كان نابعًا من قوّة إيمانهم. وتحقّق يقينهم بما وعد الله المجاهدين في سبيله من الفضل الكبير والأجر العظيم. وخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّدنا علي بن أبي طالب على أهله. وأمره بالإقامة فيهم. فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالا له وتخفّفا منه. فلمّا قالوا ذلك أخذ سيّدنا علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف. فقال: يا بني الله زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وتخفّفت منّي. فقال: ((كذبوا. ولكنّي

خلّفتك لِمَا تركت ورائي. فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك. أفلا ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي)). فرجع سيّدنا علي إلى المدينة رضي الله عنه. ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك لم يجد هناك كيدا ولا قتالا. وبالرغم أنّ الجيش مكث هناك عشرين ليلة. فقد اختفى وتفرّق الذين كانوا قد تجمّعوا للقتال. أخذهم الرعبُ، فلم يجترئوا على التقدُّم واللقاء، بل تفرّقوا في البلاد خائبين خاسِرين، وأعزَّ الله جندَه، وفرض رسول الهأ صلى الله عليه وسلم عليهم الجزية، امتثالا لقول الله تعالى: ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآَخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)). ثم فقفل الجيش راجعين مظَفَّرين منصورين. لم ينالوا كيدًا، وكفى الله المؤمنين القتال. فلمّا أشرفوا على المدينة المنوّرة قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ((هذه طابة. وهذا أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه)). و خرج النساء والصبيان والوِلدان يقابلون الجيش ويرحّبون به. وكان رجوعه صلى الله عليه وسلم في رمضان. يعني أنّه غاب في هذه الغزوة قرابة شهرين. أيّها المسلمون. ولم يتخلّف عن هذه الغزوة إلاّ بضعٌ وثمانون من المنافقين. وجمعٌ من أهل الأعذار وثلاثةُ نفرٍ من المؤمنين الصادقين. لم يكن لهم عذر، فجاء المنافقون يعتذِرون بأعذارٍ شتّى واللهُ يعلم إنّهم لكاذبون، فقَبِل النبيّ صلى الله عليه وسلم منهم علانيّتَهم ووكّل سريرَتهم إلى الله، أمّا النفر الثلاثة فقد اعترفوا بذنبِهم، فأمر النبيّ بهجرِهم حتى تنكّرت لهم الأرض، وضاقت عليهم بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، ثم تاب الله عليهم. بنزول قوله تعالى: ((لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)). بارك الله لي ولكم في الفرقان العظيم، ونفعني وإيّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. اللهم انفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً، اللهم ارزقنا التّمسّك بسنّة نبيّك صلى الله عليه وسلم، واجعل حياتنا في نصرة سنّته، واجعل خاتمتنا على ملّته. إنّك على كل شيء قدير. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. اهـ

فهرس الجزء الثّاني

الموضوع	الصفحة
السيرة النّبويّة:	**03**
الغزوات والسّرايا:	**04**
01- مجالس السيرة لتنوير البصيرة بمعرفة أخبار غزوة العُشَيْرَة	**06**
02- إرشاد العَوَام إلى اغتنام شهر رجب الحرام وذِكْرِ سريّة سيّدنا عبد الله ابن جحش إلى نخلة والتي كانت سببا في نزول قول ذي الجلال والإكرام ((يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ)).	**10**
03- كَشْفُ اللثام عمّا في شهر رجبٍ من فضائل عظام وذِكْرِ سببِ نزولِ قوْلِ ذي الجلال والإكرام: ((يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ))	**17**
دعاء إستغفار رجب. للعلاّمة السيّد حسن بن سيدي عبد الله باعلوي الحدّاد رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. اللهم صلِّ على سيِّدِنا محمدٍ وآله وصحبه وسلِّم.	**25**

04- المختصَر في بعضِ أخبارِ غزوةِ بَدْر وفضلِ أهلِها السّادةِ الغُرَر رضي الله عنهم	**26**
05- إنشراح الصدر ببعض أخبار غزوة بدر وفضل أهلها السادة الغرر	**35**
06- إنارة الفكر وشرح الصدر باقتطاف الدُّرَر وأَخْذ الدروس والعبر من غزوة بدر	**41**
07- التأييد والنصر لحبيب الله الأفخر في غزوة بدر وفتح مكة الأكبر	**47**
08- الذكرى بغزوة بدر الكبرى وفضل أهلها الفائزين بالبُشرى وذِكْر فتح مكة أمّ القرى	**54**
09- التّنبيه والذِّكر لأيّام الفتح والنّصر والإجتهاد في الأواخر العشر	**60**
10- إستِلهام العِظات والعِبر من غزوة بدر والفتح الأكبر مع الإستعداد للأواخِر العشر	**64**
11- طريق التمكين من خلال غزوة بدر وفتح مكة البلد الأمين	**70**
12- مشموم الزّهر في تجلّي عِظات وعِبَر من حادثتَيْ بدْر والفتح الأكبر والإجتهاد في الأيّام العشر	**75**
13- كشف القناع عن بعض أخبار غزوة يهود بني قَيْنُقاع وما هم عليه من غَدْر وخيانة وخِداع	**84**
14- أَخْذ العبرة والفائدة من أوّل سرية لسيدنا زيد بن حارثة إلى القَرْدَة	**89**
15- تذكير أهل الإسلام بأحداث غزوة أُحُد وفضل شهدائها الأعلام	**92**
16- تأييد الرّب الخالق للنبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة أحد بالمعجزات والخوارق	**98**
17- عَذْب المَوْرِد من مناهل أخبار غزوة حمراء الأسَد المتمِّمة لغزوة أُحُد	**103**
18- إفادةُ الجميع بما في التّضحيّة والثّبات على الحقّ من النّصر البديع كما في أحداث سريّة أصحاب الرّجيع أمدّنا الله من إمدادهم الفائض الوسيع	**108**
19- الحَدَثُ الجَلَل لِمَا وقع لسريّة القرّاء إلى بئر معونة من القَتْل وحُزْن الرسول على الغدر الذي بهم حلّ فنالوا بذلك الرضوان الأكمل من الله عزّ وجلّ	**114**
20- مجالس التّنوير والتّذكير من سيرة البشير النّذير ببعض أخبار	**117**

غزوة يهود بني النَّضِير	
21- طلب الإنتفاع بقَدْر المستطاع للفائدة والإستمتاع من أخبار غزوة ذات الرِّقاع	**124**
22- تحفة الأحباب بأخبار غزوة الأحزاب وذِكْر مناقب سيّدنا سلمان الفارسي صاحب الرّأي الصّواب	**130**
23- نصائح لتفادي الأعطاب بإسقاط أحداث غزوة الأحزاب على واقعنا في مواجهة (كورونا) بالحجر الصّحّي المستطاب	**136**
24- أَخْذ العِبرة والموعظة من بعض أخبار غزوة يهود بني قريظة	**143**
25- سرية زيد بن حارثة إلى العِيص وقصّة إسلام أبي العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم	**150**
26- سرية سيّدنا زيد بن حارثة إلى منطقة حِسْمى لتأديب قبيلة جُذام على اعتداءاتهم الآثمة	**155**
27- إرشاد المعتبرين بما في غزوة الحديبيّة من فتح مبين	**159**
28- جَمْع الفوائد وبشرى للحاج ولمعتادي المساجد بإسقاط أحداث صُلْح الحديبيّة على واقعنا في مواجهة مَنْع (كورونا) الحج والمساجد والمعابد	**164**
29- عبيرُ الزَّهَر وأُنْسُ السَّمَر حول أحداث غَزْوَة فَتْح خَيْبَر	**172**
30- أحداث غَزْوَة فَتْح خَيْبَر	**180**
31- تطييب مجالس أهل الصفاء بذكر أخبار عمرة القضاء	**185**
32- الأضواء المنيرة على غزوة مؤتة الشهيرة وأخذ العبرة والعظة من أحداثها الكبيرة	**188**
33- تيسير الوسائل إلى تعريف الأواخر بجهاد الأوائل كسريّة سيّدنا عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل	**194**
34- فتح مكة	**198**
35- نثْر الأزهار على مجْمَع الأخيار بذِكْر غزوة حُنَيْن ورِفْعَة مكانة ساداتنا الأنصار عند نبيّنا المصطفى المختار	**199**
36- الفوائد واللطائف لطلاّب المعارف من أخبار غزوة الطائف	**205**
37- المختصر اللطيف في قصّة إسلام ثقيف أوْ تكملة الفوائد واللطائف في إسلام أهل الطائف	**211**
38- النور المضيء من أخبار سريّة سيّدنا علي بن أبي طالب إلى قبيلة طيء	**215**
39- المدارسة الجادّة من أخبار سريّة عَلْقَمة بن مُجَزِّز المُدْلَجي إلى جدّة والعبرة من قِصّة عبد الله بن حُذافة وأَخْذ الفائدة	**219**

40- القول الجلي بتذكير الطالب الذكي عن غزوة تبوك آخِر غزوات النبي صلاةً وسلاما عليه من الله العلي	**222**